



*** * ***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة
قسم الدراسات العليا الشرعية
فروع العقيدة



بين الاسلام والعنصرية

رسالة مقدمة الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الكويت

للليل ودرجة الماجستير في الصيدلة



1000

محمد المكي محمد أمين عبد الله

وامعیراف

الدكتور / عوض الله جاد حجازي
الاستاذ / بقسم الدراسات العليا بالكلية

من سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

" بسم الله الرحمن الرحيم "

ملخص الرسالة

هذه الرسالة (الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية) بحث علمي مقارن ، قصد منه التوصل الى معرفة الحق في العقيدة النصرانية في الله تعالى ، ومقارنة ذلك بالعقيدة الاسلامية في الذات الالهية .

وقد تبين لنا من خلال البحث ، أن المسيحيين بعد المسيح كانوا يعتقدون أن الآلهة ثلاثة ، هي الآب ، والابن ، والروح القدس ، وأنهم كانوا يطلقون عليها اسم : الأقانيم الثلاثة . وأنهم يرون أن هذه الآلهة الثلاثة متساوية في الجوهر والحقيقة ، وأنهم ينسبون إلى الآب الخلق بواسطة الابن ، وينسبون إلى الابن الفداء ، وإلى الروح القدس الاحياء والتطهير ، وهم يرون أن المسيح ابن الله نزل ، وتجسد في رحم مريم ، وولد منها ، ويمتقدون أن المسيح قد أمسك به اليهود ، وقبضوا عليه ، وصلبوه وقتلوه وأنه قام بعد ذلك ، ثم صعد إلى السماء وجلس بجوار أبيه .

أما العقيدة الاسلامية فهي تؤمن بالتوحيد ، ذلك أن الخالق للعالم واحد وأن المعبود واحد . وأن هذا الاله الواحد متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، وأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، قال تعالى (قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) .

وأن الاسلام يرى أن المسيح عبد الله ورسوله ، وأنه من البشر ، ولد من مريم من غير أب ، كما نشأ آدم عليه السلام من غير أب ولا أم ، قال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) .

وأن المسيح لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله اليه .

ولقد رجعت الرسالة في كلامها عن العقيدة المسيحية ، إلى كتب النصاري الأصلية ، من العهد القديم والعهد الجديد ، ثم ناقشت عقيدة التثليث وأبطلتها بالمقل والنقل : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله إلا اله واحد) .

كما ناقشت عقيدة الصلب عند المسيحيين وأبطلتها بالعقل والنقل ، إذ كيف يرتكب آدم الخطيئة ، ثم يرسل الله ابنه ليكفر خطيئته غيره مع أن — المقتل لا يجيز أخذ البريء بجريمة المذنب ، فلا تزر وازرة وزر أخرى ، يضاف الى ذلك أن الله تعالى كان في قدرته أن يكفر خطيئة آدم بالمغفرة ، فلمماذا كان بإرسال ابنه الوحيد ؟ !!

ثم انهم يقولون ان المسيح قد نزل للفداء والتكفير ، مع أن كتبهم تقول : انه كان يهرب ، ويتخفى من اليهود ، خشية الموت والقتل ، وهو تناقض ظاهر.

والقرآن الكريم يقول : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) . ثم ناقشت الرسالة المصادر المسيحية للعقيدة النصرانية ، فبينت أنها مصادر مزيفة ، وغير حقيقية ، لا يصح الاعتماد عليها ، إذ أنها تتضارب فيما بينها في الخبر الواحد . علاوة على أن العلماء : مسيحيين وغير مسيحيين قد اختلفوا في نسبتها الى كاتبها ومؤلفيها ، الأمر الذي تنعدم معه الثقة فيها فضلا عن أن يكون كاتبوها ملهمين كما يدعون .

أما العقيدة الاسلامية فقد رجعت فيها الى القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، والى بعض كتب تفسير القرآن ، وكتب السنة الصحيحة المعتمدة ، والله ولي التوفيق ،،،

" بسم الله الرحمن الرحيم "

* شكر وتقدير *

بعد شكر الله عز وجل على ما من به من اتصام هذه الرسالة ، أتقدم
بجزيل شكرى وعرفانى الى كافة المسؤولين فى جامعة الملك عبدالمزیز
والى عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامیة ، والمسؤولين عن قسم
الدراسات الملایة على ما قدموا الى من عون فى سبیل القيام بواجبى
الدراسى ، حتى تمكنت بفضل الله تعالى ، ثم بمساعدتهم من التغلب
على كیر من الصعوبات التى واجهتنى فى بداية هذا البحث ، والتى تشمل
فى ندرة مراجعه فى المملكة ، حتى سهلوا لى السفر نحو القاهرة للاطلاع على
كیر من مصادره ، ولولا ذلك ، لما أمكن انجاز هذه الرسالة فى هذا الوقت .
وأقدم شكرى الجزیل لفضيلة الدكتور عوض الله جاد حجازى الذى أشرف
على هذه الرسالة ، وأعطانى من وقته الشئ الكیر ، وذلك لى صعوبات
جعة واجهتنى فى هذا الموضوع بفضل الله تعالى ، ثم بفضل اخلاصه وحرصه
الشديد على ما من شأنه أن یوصل الى التحصیل العلمى من أیسر أبوابه
وهو صاحب اليد الطولى فى انجازى لهذه الرسالة فشكر الله له وجزاه عنى
وعن العلم وأهله خیر الجزاء .

ثم أشكر زملائى فى الدراسات الملایة ، الذين استفدت من معاداتهم
ومشاوراتهم كما أشكر أساتذتى الكرام ، الذين قدموا لى ولزملائى الشئ الكیر
من النصح أثناء الدراسة المنهجیة . والحمد لله أولاً وآخراً ،

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحات
المقدمة	٥ - ٦
الباب الأول	
الذات الالهية كما يتصورها المسيحيون بعد المسيح	٨٥-١
الفصل الاول	١٥-١
الايمان بوجود الله عند المسيحيين	٢-٢
الأدلة على وجوده	٧-٣
صفات الله تعالى عندهم	١٣-٨
صلته بالعالم	١٥-١٤
الفصل الثاني	٢٤-١٦
التجسد وتاريخه	٢١-١٧
مناقشة أدلتهم على التجسد	٢٦-٢٢
الكلمة ومعناها عند النصارى	٣٢-٢٦
مناقشة أدلتهم فى معنى الكلمة	٣٤-٣٢
الفصل الثالث	٥٣-٣٥
نبوة المسيح عند المسيحيين	٣٩-٣٦
أبوة الآب	٤١-٣٩
الروح القدس	٤٤-٤٢
الأقانيسم	٤٥-٤٤
معنى الأبوة والنبوة فى اصطلاحهم ومناقشة ذلك	٥١-٤٥
مناقشة أدلتهم على أقنومية الآب ولاهوته بنصوص	
المسهدين القديم والجديد	٥٣-٥٢
الفصل الرابع فى التثليث	٨٥-٥٤
الوهية الابن وأقنوميته	٥٦-٥٥
أدلتها من المسهدين الجديد والقديم	٥٩-٥٦

- ج -

تابع فهرس الموضوعات

<u>الموضوعات</u>	<u>الصفحات</u>
أقنومية الروح القدس والوحيته	٥٩
أدلتها	٦١-٥٩
أقنومية الآب ولاهوته	٦١
أدلتها	٦٣-٦٢
وحدة الأقانيم	٦٦-٦٤
تاريخ التثليث	٦٨-٦٦
مناقشة أدلة النصارى على التثليث	٨٥-٦٨
الباب الثاني	
الذات الالهية في الاسلام	١٣٤-٨٦
الفصل الاول	١١٦-٨٦
الايمان بوجود الله	٩١-٨٧
الأدلة على وجوده	٩٦-٩١
صفات الله تعالى في الاسلام ، ومقارنتها بصفاته	
في المسيحية	١١٢-٩٦
صلة الله تعالى بمخلوقاته	١١٦-١١٣
الفصل الثاني	١٣٤-١١٢
وحدانية الله تعالى في الاسلام	١٢١-١١٨
الدلائل الكونية على وحدانيته تعالى	١٢٣-١٢١
المراد بالروح القدس في الاسلام	١٢٨-١٢٣
مناقشة ما يتعلق بالأقانيم	١٣٤-١٢٩
الباب الثالث	
المسيح كما يتصوره المسيحيون ووصفته الأناجيل	٢١٦-١٣٥
الفصل الاول	١٥٣-١٣٥
تمهيد	١٣٧-١٣٦
الحمل بالمسيح عليه السلام	١٣٩-١٣٧

تابع فهرس الموضوعات

<u>الموضوعات</u>	<u>الصفحات</u>
ولادته	١٤٠-١٤١
نشأته	١٤٢-١٤٧
صفاته كما وردت في الأناجيل	١٤٨-١٥٣
الفصل الثاني	١٥٤-١٦٥
دعوة المسيح ومميزاتها	١٥٥-١٥٨
المعارضون لدعوته	١٥٩-١٦٢
نماذج من الآيات التي ظهرت على يديه ...	١٦٣-١٦٥
الفصل الثالث	١٦٦-١٩١
الصلب كما تحدثت عنه الأناجيل	١٦٧-١٨٠
الصلب والأدلة الانجيلية الضافية له	١٨١-١٨٦
قيامه المسيح كما ذكرتها الأناجيل	١٨٧-١٩١
الفصل الرابع بولس وآثاره في النصرانية	١٩٢-٢١٦
تمهيد	١٩٣-١٩٤
أصل بولس ونشأته	١٩٥-١٩٦
بولس في حربه للمسيحية	١٩٧-١٩٨
اعتناق بولس المسيحية	١٩٩-٢٠٢
بولس ودعوته للناس	٢٠٣-٢٠٩
بولس يواجه معارضة	٢١٠-٢١٢
ارتداد الناس عن دعوة بولس	٢١٣-٢١٤
مؤلفات بولس	٢١٥-٢١٦
الباب الرابع :	
المسيح في القرآن الكريم	٢١٧-٢٦٤
الفصل الأول	٢١٧-٢٣٤
نسب المسيح عليه السلام	٢١٨-٢٢١
بشارة مريم بحمله	٢٢٢-
الحمل بالمسيح	٢٢٣-٢٢٤

تابع فهرس الموضوعات

<u>الموضوعات</u>	<u>الصفحات</u>
مولده.....	٢٢٥-٢٢٦
نشأته.....	٢٢٧
صفاته.....	٢٢٨-٢٣٤
الفصل الثاني.....	٢٣٥-٢٤٦
دعوة عيسى ابن مريم لبني اسرائيل عليه	
السلام.....	٢٣٦-٢٣٨
الآيات التي جرت على يديه.....	٢٣٩-٢٤٣
أثر دعوته في بني اسرائيل.....	٢٤٤-٢٤٦
الفصل الثالث.....	٢٤٧-٢٦٤
موقف القرآن من قضية الصلب.....	٢٤٨-٢٥٠
نهاية عيسى عليه السلام على الأرض وآراء-	
العلماء في ذلك.....	٢٥١-٢٥٨
ابطال القرآن لمقيدة التثليث.....	٢٥٩-٢٦٤
الباب الخامس :	
المصادر المسيحية في الميزان.....	٢٦٥
تمهيد.....	٢٦٦
تصريف كتاب الأناجيل الأربعة.....	٢٦٧-٢٧٢
تاريخ كتابة الأناجيل والخلاف فيه	٢٧٣-٢٧٩
اللغات التي كتبت بها والتي ترجمت اليها	٢٨٠-٢٨١
كتاب الأناجيل الأربعة غير معروفين	٢٨٢-٢٨٥
تضارب الأناجيل في بعض رواياتها	٢٨٦-٢٨٨
انجيل برنابا.....	٢٨٩-٢٩٢
خاتمة الرسالة.....	٢٩٣-٢٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الرسالة

الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن ، وجعله مهيمنا على الكتب السابقة عليه والأديان وارتضى لعباده الاسلام ديناً قيماً ، أساسه التوحيد واجتناب الشرك بالله ، وجعل من ابتغى ديناً غيره أن يكون نصيبه في الآخرة الهلاك والخسران ، قال تعالى : (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فقلن يقبل منه وهو فاسد الآخرة من الخاسرين) (١) والصلاة والسلام على رسولنا محمد الهادي الأمين الذي بعثه الله لهداية الثقلين من الأنس والجن والذي دعا أهل الكتاب الى كلمة سواء بأفصح بيان وأوضح برهان ، فقال تعالى مخاطباً له : (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) (٢) وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، وتسكروا بدين الله وآدابه وكل من دعا بدعوة التوحيد الى يوم الدين .

(أما بعد) :

فقد لفت نظري وأثار اهتمامي ، أثناء دراستي الأولى في الثاني في الكلية ، ما يكتنف معتقد النصارى في الذات الالهية من غموض واستعجاب ، وحيد عن المقول والمنقول ، وكنت قد عقدت المزم ، وأنا طالب في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية أن أدرس عقيدة النصارى ، وأدلتهم بما يتسكون به من شبه في دعواهم وقولهم بالتثليث ، واستمرت هذه النية في القلب الى أن حانت لي الفرصة ، وذلك عندما قدر الله تعالى لي أن ألتحق بقسم الدراسات العليا في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، والتابعة لجامعة الملك عبد العزيز ، فقد كان من شروط القسم وأنظمته المعمول بها ، أن يتقدم طالب الدراسات العليا بعد نجاحه في الدراسة المنهجية ، ببحث علمي ، ينال به درجة التخصص (الماجستير) على أن يكون هذا البحث في مجال الفرع الذي تخصص فيه الطالب .

ولما من الله تعالى علي بالتوفيق والنجاح في السنتين المنهجيتين - وكان تخصصي في فرع العقيدة - رأيت الفرصة سانحة لتحقيق رغبتي الأولى في دراسة عقيدة النصارى

دراسة علمية ، فاخترت أن يكون موضوع رسالتي لدرجة الماجستير العقيدة النصرانية ، ومقارنتها بالعقيدة الإسلامية ، ولما كان أظهر نقطة في الخلاف بيننا وبينهم ، ما يتعلق بالذات الالهية ، وما يتعلق بعيسى ابن مريم عليه السلام ، رأيت أن يكون عنوان الرسالة هو :

" الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية "

وكان ذلك لأمور :

- ١- منها ، ما ذكرته آنفا من كون عقيدة النصارى في الذات الالهية غامضة مقعدة ، فأردت لذلك دراسة أدلتهم ، وما يتعلقون به من شبه ، لأبين وجهة نظرهم في ذلك ، حتى يكون الحكم عليها بعد ذلك عن دليل وبينة .
 - ٢- ومنها : عقد المقارنة بين العقيدة الاسلامية في الذات الالهية ، وبين العقيدة النصرانية ، كي تبين على ضوءها ما يوجد بين العقيدتين من اتفاق أو اختلاف ومع صعوبة طرح المقارنة ، فإنه ينبغي أن يكون في مثل هذه الدراسة ، لأن المقارنة بين أمر علمي صحته وظهر صدقه ، واثبت يقينه وموافقته للعقل السليم ، كالاسلام ، وبين أمر لم يتبين منه ذلك ، كالنصرانية ، قد توصل المرء الى معرفة وجه الخطأ أو الصواب في ذلك المجهول .
 - ٣- ومنها : تبين أسباب الفهم في النصرانية ، وإيقاف الناس من نصارى وغيرهم على ما فيها من تضارب وتناقض يأباه العقل ، لعل ذلك يكون سببا في هداية الحيارى ممن لا يعلم من المسيحية غير الانتساب اليها ، واعتبارها فوق ادراك العقل الانساني ، مع أن الله عز وجل لم يكلف الانسان فيما أنزله على رسله بما هو فوق ادراكه العقلي ، فان العقيدة انما أنزلها الله تعالى لسادة الانسان ففهم الدارين ، وهدايتهم الى سبيل الخير والرشاد .
 - ٤- ومنها : بيان أن الدين الالهي الذي ارتضاه الله لعباده طريقا ، لا يصح أن يكون فيه دهور ولا أسرار ، اذ انه انما أنزل لكافة الناس على اختلاف درجاتهم في الفهم والعقل ، ولم يكن فهم الدين لطبقة خاصة منهم .
- وقد تقدمت بهذا الموضوع الى المسؤولين عن قسم الدراسات العليا ، فوافقوا على اعتماده وتسجيله ، وبعد ذلك شرعت في قراءة مراجعه ، ورسم الخطة والمنهج الذي يجب أن أسير عليه في دراسته ، مستعينا بالله تعالى . فوفقني جل شأنه الى بيان المنهج وخطة البحث على النحو التالي :

رُتبت هذه الرسالة على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة ، فقد بينت فيها الأسباب والدوافع ، التي من أجلها رُتبت في اختيار هذا الموضوع ، وذكرت الخطة والمنهج الذي سلكته في اعداد هذه الرسالة .
وأما الباب الأول ، فكان عن الذات الالهية كما يتصورها المسيحيون بعد المسيح ويشتمل على أربعة فصول .

الفصل الأول : وقد ذكرت فيه الايمان بوجود الله عند المسيحيين ، والأدلة التي أقاموها على وجوده ، الأدلة التاريخية ، والأدلة العلمية ، وصفات الله تعالى عندهم ، ثم صلته بالعالم .

والفصل الثاني : كان عن التجسد في نظر المسيحيين ، معناه وتاريخه ، ثم مناقشة أدلتهم على التجسد ، ثم ذكرت رأيهم في الكلمة ومعناها ، وناقشت أدلتهم في معنى الكلمة .

والفصل الثالث ، تناول البحث فيه ، بنوة المسيح لله ، وأبوة الآب ، والروح القدس ، والمراد بالأقانيم . في نظرهم ، ثم معنى الأبوة ، والبنوة ، فـسـى اصطلاحهم ، ومناقشة ذلك ، ثم مناقشة أدلتهم على أقنومية الآب ولاهوته .

والفصل الرابع : تناول البحث فيه ، الوهية الابن وأقنوميته ، وأدلتها من العهد الجديد ثم من العهد القديم ، والوهية الروح القدس وأقنوميته - والوهية الآب وأقنوميته ، وأدلتها من العهد القديم ، ومن الأنجيل ، ثم تكلمت عن تاريخ التثليث في النصرانية وناقشت أدلة النصارى على التثليث .

وأما الباب الثاني : فكان عن الذات الالهية في الاسلام . وقد اشتمل هذا الباب على فصلين .

الفصل الاول : كان عن الايمان بوجود الله في الاسلام ، والأدلة على وجوده ، وبيان صفات الله تعالى في الاسلام ، والمقارنة بينها وبين صفاته في المسيحية ، وصلته تعالى بمخلوقاته .

والفصل الثاني : كان البحث فيه عن وحدانية الله في الاسلام ، والدلائل الكونية على ذلك ، وبيان المراد بروح القدس في الاسلام ومناقشة ما يتعلق بالأقانيم

وأما الباب الثالث : فكان عن المسيح كما يتصوره المسيحيون ووصفته الأنجيل ، ويشتمل هذا الباب على أربعة فصول :

الفصل الأول : ويشتمل على تمهيد وما يتعلق بحمل المسيح وولادته ونشأته

وما يتصف به عليه السلام من صفات ، كما وردت في الأناجيل .

والفصل الثاني : ويتناول البحث فيه ، دعوة المسيح وميزاتها ، وبيان

المعارضين لدعوته ، وموسى نماذج من الآيات التي ظهرت على يديه .

والفصل الثالث : ويتناول البحث فيه موضوع الصلب كما تحدث عنه الأناجيل ،

والأدلة الانجيلية البناية له ، ثم بيان قيامة المسيح .

والفصل الرابع : تكلمت فيه عن بولس وآثاره في النصرانية وتناول البحث فيه ،

أصل بولس ونشأته ومحاربته للمسيحية ، ثم اعتناقه المسيحية ، ودعوته للناس

وبأن منهجه ونصدر تعاليمه فيها ، وما واجهه من معارضة من المسيحيين المعاصرين

له ، وارشاد الناس من دعوته ، ثم بيان مؤلفاته .

وأما الباب الرابع : فكان عن المسيح في القرآن الكريم ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ذكرت فيه نسب المسيح عليه السلام ، وشارة مريم بحمله ، وحملها

بالمسيح ، ومولده ونشأته ، وصفاته معتمدا على الآيات القرآنية الكريمة في ذلك .

والفصل الثاني : وفيه بيان دعوة المسيح لبني اسرائيل ، والآيات التي جسدت

على يديه ، وأثر دعوته في بني اسرائيل .

والفصل الثالث : ذكرت فيه موقف القرآن الكريم من قضية الصلب ، ونهاية ميسس

عليه السلام على الأرض ، وآراء علماء الاسلام فيها ، وإبطال القرآن لعقيدة التثليث .

وأما الباب الخامس : فكان عن المصادر المسيحية في الميزان ، وفيه فصل واحد ، -

ويشتمل على ترجمة لكتاب الأناجيل الأربعة ، ثم تاريخ كتابتها ، واللغة

التي كتبت بها ، والتي ترجمت اليها ، وتاريخ ترجمتها .

وأما الخاتمة ، فقد بينت فيها النتائج التي توصلت اليها من هذا البحث .

هذا ولقد رجعت في كتابة هذا البحث الى المصادر المسيحية الأصلية فيه ،

فقرأت كتب النصارى في العقيدة التي عرضت معتقدهم ، وذلك جهدي في حل

رموزهم ومعتقدهم ، ولم أنقل عقيدتهم عن غيرهم ، وتوخيت الدقة في عرض أدلتهم ووجهات

نظرهم ، وقد اعتمدت في ذلك كله على " الكتاب المقدس " من الأناجيل والرسائل

وغيرها من الكتب المسيحية الخاصة بالعقيدة ، حتى لا يكون أي حكم على عقيدتهم نتيجة

لتصور خاطئ ، بل يكون ذلك بعد تصور وفهم لها ، ليكون الحكم بعد ذلك عن بصيرة

وقد بذلت جهداً شاقاً في فهم آرائهم ، و عرضها في أبواب هذا البحث
كما هي مذكورة في كتبهم ، ليتسكن القارئ من الرؤية الواضحة لمقيدتهم من خلال
أدلتها .

ولقد واجهتني في ذلك صعوبات جمة في فهم نصوصهم ، واستخلاص آرائهم
منها ، وخاصة نصوص الكتاب المقدس ، التي تعتبر معقدة في تركيبها ، ولا تنطبق
عليها قواعد اللغة ، ولا تخضع لقوانينها ، إلا أن الله تعالى أمدني بمن دُلل
لي تلك الصعوبات ، وهو فضيلة المشرف على هذه الرسالة ، الذي أدعوا له
بالمطالعة الجزيل ، والأجر الجميل ، كما واجهتني صعوبة شاقة في فهم
كلام الشراح من السرخيين ، الذين كانوا يصورون العقيدة بتشبيهات وتشكلات
غاية في الضعف ومفرقة في الخيال .

ومعد : فهذه رسالتي أقدم بها إلى قسم الدراسات العليا ، بكلية الشريعة
والدراسات الإسلامية ، في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، وإلى أصحاب
الفضيلة ، أعضاء اللجنة الكرام ، وأضما بين أيديهم ثمرة مجهودي الذي بذلت
فيه الطاقة ، وما كورة إنتاجي الملقى ، الذي أجال الله تعالى أن يثيبني عليه .
فقد خضت هذا الموضوع رغم صمومته واستعمصائه على كثير من الباحثين ، ونسبته
مراجعته في المملكة ، مما اضطررت معه إلى السفر إلى القاهرة للاطلاع على المراجع ،
بل وشراء أغلبها .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، صلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

الذات الالهية كما يتصورها المسيحيون بعد المسيح

ويشتمل على أربعة فصول

الفصل الأول

- * الايمان بوجود الله عند المسيحيين
- * الادلة على وجوده
- الادلة التاريخية - الادلة العلمية
- * صفات الله تعالى عندهم
- * صلاته بالعالم

الايمان بوجود الله

ان الايمان بوجود الله ، يعتبر حجر الزاوية في الأديان السماوية "١" ،
وبما أن المسيحية ليست بدعاً من تلك الأديان ، فان الايمان بوجود الله يعتبر
نقطة الانطلاق والقاعدة الأولى لبناء المسيحية قديماً وحديثاً .

يقول القس الياس مقار : " وإذا كان من المحال على الإنسان ان يصل الى
آخر شوط في طريق غا الايمان بوجود الله ، فلا أقل من أن يسير في هذا الطريق
بعض الأشواط ، وسيكشف في سيره ان أجلاً أو طبعاً ما قيل قديماً :
" ان الفكر عن الله كالشمس في كبد السماء لا يقدر احد ان يحدد في موضع بعينه ،
وان كان من اليسير أن يرى في ضوءها كل شيء " "٢"

وجاء في الرسالة الى العبرانيين :

" ولكن بدون ايمان لا يمكن ارضاءه لأنه يجب ان الذي يأتي الى الله يؤمن بأنه
موجود ، وأنه يجازي الذين يطلبونه " ١١ : ٦ .

ويقول صاحب كتاب : " التفسير البيضاوي المسيحية " في شرحه لما ورد

في الرسالة الى العبرانيين ما نصه :

" وهذه عبارة ذات أهمية اذ وجد بين جماعة العبرانيين المسيحيين - وهو -
الارجح - نفر من كانوا من الأمم في الأمل ، لأن الأمم في ذلك العصر ارتابوا في
وجود الله حتى طامل مشام فوق الكل " "٣"

ان الاعتراف بوجود الله والايمان به ، أمر لا يحتاج الى نقاش ، وغير قابل للجدل
لدى المسيحيين حتى انهم يقولون ، انه لم يرد في الكتاب المقدس نص يناقش
هذه المسألة ، نظراً لبداية العلم بوجود الله . ورغم هذا فان كتابهم لا يلزمون

(١) الأديان السماوية هي التي انزلها الله تعالى على رسله منها اليهودية والمسيحية
قبل تحريفهما ، ومنها الاسلام . وهي خلاف الأديان الوضعية التي وضعها
البشر من عند انفسهم .

(٢) ايماني او قضايا المسيحية الكبرى ص ٢٢ مطبعة دار العلم العربي طبعة ثانية

(٣) التفسير البيضاوي المسيحية للكاتب هـ . ت . جردنر ، وآخرين ص :

١٢٤ - ١٢٥ أصدرته دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية بالقاهرة

طبع بمطبعة كوستاف توماس وشركاه ، طبعة ثانية

الصمت في هذا الشأن ، وإنما أقاموا الأدلة المتعددة على وجود الله ، وذلك ، نظرا لما يزرخ به العالم قديما وحديثا من المتمردين على المعايير العقلية والتعاليم الربانية الذين يرفضون الاعتراف بوجود الله تعالى ، ولذلك حاولوا تفنيد آراء المنكرين ، ودلوا على وجوده بأدلة عقلية وتاريخية ، وطبيعية ، وشهادات علمية ، فلننظر فيما يأتي في أدلتهم على وجود الله .

الأدلة على وجوده :

لما كان الإيمان بوجود الله هو الأساس الأول الذي ترتكز عليه الديانة المسيحية ، ولما كان الماديون يحاولون أن يطمسوا معالم الإيمان بوجوده ، وصاروا يبذلون في ذلك قصارى جهدهم ، كان لزاما على المسيحيين أن يبرهنوا على وجود الله ببراهين تلزم الخصوم وتقنعهم بالتسليم بوجود الله ، وقد سلك الكتاب المسيحيون مسلك الاستدلال بالأدلة الكونية ، والتاريخية ، وشهادة الكشوفات العلمية ، وهو مسلك له ثقله وجاهاته على المعادين المادي المنكر لوجود الله ، والإيماني الذي يؤمن به .

أ - الأدلة الكونية على وجود الله :

يقول العالم الطبيعي ، أ . كريسي موريسون في كتابه (العلم يدعو للإيمان) :

" أن وجود الخالق تدل عليه تنظييمات لا نهائية ، تكون الحياة بدونها مستحيلة . وأن وجود الإنسان على ظهر الأرض ، والمظاهر الفاخرة لذاته إنما هي جزء من برنامج ينفذه باري الكون " ١

ويقول عالم الرياضيات والفيزياء - إيرل تشترريكس :

" وبرغم ما للعلوم من قيود وحدود ، فلنظرياتنا ونتائجها فوائد لا تحصى ،

(١) العلم يدعو للإيمان ص ٤٦ طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥ م كريسي موريسون هو الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك ، ورئيس المعهد الأمريكي بها ، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة وزميل في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي ، وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي البريطاني .

وكذلك الحال بالنسبة لموقف العلوم من كشف أسرار هذا الكون والدلالة على خالقها • قد راسة الظواهر الكونية دراسة بعيدة عن التحيز ، تتسم بالعدل والانصاف قد اقتعتنى بأن لهذا الكون لها ، وأنه هو الذى يسيطر عليه ويوجهه ، أى أن هنالك سيطرة مركزية هى سيطرة الله تعالى وقوته التى توجه هذا الكون " ١ " .

ويقول القس الياس مقار : " والطبيعة اولى وأقدم شاهد على وجود الله ، ويكفى ان ترفع نظرك الى فوق أو تسرح طرفك فى الفضاء الواسع لتتهافت مع داود : " السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه " (مز ١٩ : ١) وتصح مع بولس : " لأن اموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمعنونات قدرته السرمدية ولا هوته " (دو ١ : ٢٠) " ٢ "

بـ الأدلة التاريخية على وجود الله تعالى :

ان التاريخ البشرى على بالتقلبات والحوادث ، وان التسلسل التاريخى لحياة البشر لا يكاد ينقطع ، وذلك منذ الانسان الاصل حتى يومنا هذا على الرغم مما يعلوه فى بعض الاحيان من غبار التقادم ، وما ترسب عليه بمرور الزمن ، وتلاحق الأيام ، ولم تخل الحياة البشرية فى يوم ما ممن يعترف بوجود الله ، ويدعو الى الايمان به ، وليس أدل على ذلك من توالى الرسل والأنبياء الذين ما برحت آثارهم وأخبارهم تصاحب الحياة الانسانية فى الكفر والايمان ، وتاريخ البشرية يحمل فى طياته الايمان بوجود الله عبر الحياة الانسانية الطويلة •

يقول القس الياس مقار : " قف قليلا على روابى الزمن وتطلع الى المدنات والحضارات والأمم والممالك وهى ترتفع وتعلو ، ثم لا تلبث أن تسقط وتغيب ، وانت تهتف مع دانيال : " ليكن اسم الله مباركا من الأزل الى الابد ، لأن له الحكمة والجبروت ، وهو يغير الاوقات والأزمنة ، يعزل ملوكا وينصب ملوكا " .

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ١٠٩ دار الاتحاد العربى للطباعة طم ١٩٦٨ م

ايل تشترريكس ، حاصل على درجة الماجستير من جامعة واشنطن ومحاضر بجامعة جنوب كاليفورنيا سابقا وعضو الجمعية الرياضية الامريكية •

(٢) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٣٣ •

(دا ٢ : ٢٠ و ٢١) أجل ، فما وحدة التاريخ ، واتجاهه الأدبي ،
وتوجهه يعينذ نفسه على توالى الأزمان والحقب ، ليس الا دليلا على وجود الله . .
يضاف الى ذلك انه لم يهمل — أى التاريخ — فى يوم من الأيام فى تدوين
الحركات الدينية والايمان القوى بوجود الله الذى صاحب الشعوب والجماعات
جيلا اثر جيل " ١ "

ج - الأدلة العلمية على وجود الله تعالى : " ٢ "

ان وجود الباطل يرفع من قيمة الحق ، كما أن وجود الظلام يرفع من قيمة
النور ، كذلك المرض يدفع بمصاحبه الى البحث عن الطبيب . والوحوش الضاربة
تلقى الانسان الى ان يحيط نفسه وماله بسور متين وحصن حصين ، وسلاح
يحتذى به ويدافع به عن النفس عند اللزوم ، وذلك مالم يتخل منه البشر منه فجر
التاريخ ، ولن يتخلى عنه حتى تقوم الساعة .

فكما أن البشر لا يزالون يواجهون أمراض البدنية بالبحث عن
الحقاقير تلوا العقاقير كلما جد مرض ، فكذلك لم تكن لأصحاب الديانات قساة
فى ايراد الدليل تلوا الدليل فى مواجهة الأمراض الروحية كلما انحرف النسل
عن الدين ، ونبذوا الاعتراف الا بما هو مادي ملمس أو يرى .

وفى مواجهة الماديين بالحقائق العلمية الثابتة التى تشهد ببديع المصنوع
وعظيم الاتقان ، كتب كثير من العلماء الأمريكيين المتخصصين فى مختلف الفنون ،
حيث ان كلا منهم أثبت بعد بحث طويل ، ان هناك نظاما معجزا يسيطر على
هذا الكون ، ويحكمه سنن وقوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، وهى فى دقة
تصميمها وبديع صنعها ، تصرخ فى وجه الماديين بأن لها خالقا بارعا حكيما ،
وتنادى بأن لا صدقة فى وجود هذا الكون العجيب .

وكان احدا أولئك الكتاب العالم الطبيعى الفيلسوف (ميرايست ستانلى
كونجدين) " ٣ " الذى قال بعد بحث طويل : " . . وكيف نستطيع ان نفهم

- (١) المصدر السابق ص ٣٤ - ٣٥
- (٢) الأدلة العلمية يمكن ان تكون دليلا على وجود الله فى الاسلام ايضا ، لأن الحقائق العلمية لا تختص بفريق دون فريق ، لأن الحق ضالة المؤمنين . لذلك ، فلا يتوهم القارىء من عرضها هنا ، أنها خاصة بالمسيحيين .
- (٣) ميرايست ستانلى حاصل لى درجة دكتوراه من جامعة بورتون ، وأستاذ سابق بكلية ترينيتى بفلوريدا ، وعضو الجمعية الأمريكية الطبيعية ، وأخصائى فى الفيزياء وعلم النفس وفلسفة العلوم والبحوث الانجيلية .

هذا الانتظام فى ظواهر الكون والعلاقات السببية ، والتكامل ، والخرضية ، والتوافق ، والتوازن ، التى تنتظم سائر الظواهر وتمتد آثارها من عصر الى عصر ؟ كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدبر هو الذى خلقه وأبدعه ودبر سائر أموره ؟

ان جميع ما فى الكون يشهد على وجود الله سبحانه ، ويدل على قدرته وعظمته ، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية ، فاننا لا نفعل اكثر من ملاحظة آثار أيادى الله وعظمته ، ذلك هو الله الذى لا نستطيع أن نصل اليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته فى انفسنا ، وفى كل ذرة من ذرات هذا الوجود ، وليست العلوم الا دراسة خلق الله وآثار قدرته " ١ "

ويقول رسل تشارلز آرنست - اخصائى علم الأحياء والنباتات :
" اننى اعتقد ان كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها ، وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شهادة تقوم على الفكر والمنطق ، ولذلك فاننى أؤمن بوجود الله ايماناً راسخاً " ٢ "

ويقول جورج هربرت بلونت - استاذ الفيزياء التطبيقية :

" ولا يمكن ان يتصور العقل أن هذا النظام قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم أو من الفوضى ، وعلى ذلك فان الانسان المفكر لا بد له ان يصل ، ويسلم بوجود اله منظم لهذه الكون ، وعندئذ تصير فكرة الالهية احدى بديهيات الحياة ، بل الحقيقة العظمى التى تظهر فى هذا الكون ، والمطابقة بين الفرض والنتيجة تعد برهاناً على صحة هذا الفرض . والمنطق الذى نستخدمه هنا هو انه اذا كان هنالك اله فلا بد ان يكون هنالك نظام . وعلى ذلك فما دام هنالك نظام فلا بد من وجود اله " ٣ "

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٠

(٢) نفس المصدر ص ٧٧ رسل تشارلز آرنست ، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة منيسوتا واستاذ فى جامعة فرانكفورت بالمانيا ، وعضو الاكاديمية العلمية بانديانا .

(٣) نفس المرجع ص ٨١ جورج هربرت ، حاصل على درجة الماجستير من معهد كاليفورنيا التكنولوجى ، وكبير المهندسين بقسم البحوث الهندسية بجامعة كاليفورنيا .

هكذا تشهد كل ذرة من ذرات الكون بوجود الله سبحانه ، ولكن هل
يكفى للايمان التسليم بوجود مدبر لهذا الكون ، أولا يد مع ذلك من التسليم
والاعتراف بصفات لهذا الصانع المدبر ؟
وهذا أيضا ما يؤمن به المسيحيون ، وسيأتي عرض بعض تلك الصفات
التي يصف المسيحيون بها الله في كتبهم .

صفات الله تعالى عند المسيحيين

ان للصفات الالهية أهمية كبيرة في جميع الديانات السماوية ، اذ ان الصفات هي التي تميز ملامح هذه العقيدة من تلك ، ومن المعلوم أن الأديان السماوية الثلاثة التي هي اليهودية والمسيحية والاسلام تؤمن بوجود الله ، وليس بينها من اختلاف في هذه البداية الايمانية ، ولكن سر الاختلاف بين هذه الأديان يكمن فيما يطلق أصحابها على الله سبحانه وتعالى من صفات ، وليس من الضروري ان يقع هذا الاختلاف في كل صفة من صفات الله ، لأن هذه الأديان تلتقى على ميدان الوفاق في كثير من صفات الله عز وجل .

وفي هذا الفصل نستعرض أهم تلك الصفات عند المسيحيين بغض النظر عن الائتلاف أو الاختلاف ، تاركين الإشارة إلى الوفاق أو الخلاف إلى حين .

لقد اصطلح اللاهوتيون ^١ على تقسيم صفات الله إلى تقسيمات مختلفة كالإيجابية ، والسلبية ، والأدبية ، والذاتية ، والمشاركة ، وغير المشاركة ، والحقيقية والنسبية . ويعنون بالإيجابية ، الصفات الكمالية التي تنسب إليه تعالى ، وبالسلبية الصفات التي تنفي عن الله ما لا يليق به ، وبالصفات الأدبية ، صفات الجمال كالقداسة والعدل ، والرحمة ، وبالذاتية ، صفات الذات ، كالعلم ، والمشية ، والقسوة ، وغير المحدودية ، وبالمشاركة ، صفات توجد في البشر كما توجد في الله ، كالقوة ، والمشية والحق ، والجودة ، وبالصفات غير المشاركة ما يختص بها الله سبحانه كالأزلية ، والأبدية ، وعدم التغير ، ويعنون بالحقيقية ما ينفرد به الجوهر الالهي بلا تعلق بما هو خارج عنه كالوحدانية ، وعدم التغير ، والكمال المطلق ، وأما النسبية ، فيعنون بها الصفات المتعلقة بشيء خارج عنه ، كالسرمدية بالنسبة للزمن وعدم التحيز بالنسبة للمكان ، والقدرة بالنسبة للخلق ^٢

(١) اللاهوتيون هم علماء العقيدة في المسيحية .

(٢) انظر إيمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ص ٧٩ — ٨٠ وشرح اصول الإيمان للقسين د . ابراهيم سعيد ود . اندراوس واطسون ص ٢٩ ج ١ طبع بمطبعة النشر بشبرا .

أ - ان الله تعالى غير محدود :

معنى هذه الصفة ان الله عز وجل غير محدود لا فى ذاته ولا فى صفاته ،
وأنة حاضر فى كل مكان بذاته ، ومنزه عن التحيز والتركيب والتجزئة والاختسلاط
مع غيره من المخلوقات " ١ " .

ب - ومن صفاته السرمدية :

ويراد بهذه الصفة تنزيهه تحلى عن البداية والنهاية ، وأنه تعالى لا
بداية لوجوده ولا نهاية لبقائه ، ويستدلون على هذا بما ورد فى المزامير
" يارب ملجأ كت لنا فى دور فدور • من قبل ان تولد الجبال أو ابدأت الأرض
والمسكونة منذ الأزل الى الأبد أنت الله " ٢ "
وما ورد فيه أيضا " أما أنت يا رب قالى الدهر جالس وذكرك الى دور فدور " ٣ "
وبما جاء فيه أيضا : " من قدم اسست الأرض والسموات هى على يدك • هى
تبيد وانت تبقى وكلها كتوب تبلى ، كذا " تغيرهن فتتغير • وانت هو وسنسوك
لن تنتهى " ٤ "

ج - ومن صفاته القوة والقدرة على كل شئ :

وتعنى هذه الصفة انه تعالى يفعل ما يريد وليس هناك من شئ يصعب عليه
عمله ، ومن مظاهر هذه القدرة ، ايجاده تعالى كل شئ من العدم ، وحفظه
جميع خلائقه من الفساد والتلاشى ، وعنايته بمخلوقاته ، وعمل الفداء بأن حمل
ابنه ثقل قصاص كل خطايا جميع المؤمنين " ٥ " .

يقول القس الياسى مكار : " ولعل اهل ما تشير اليه قوة الله فى ذهن الانسان
العظمة والجلال ، وكيف لا يبهر الانسان بهذه القوة وهو يرى مظاهرها الرائعة فى
الخليقة ، وكيف لا يصبح وهو يرى سناها بالقل : " أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك

- (١) راجع شرح اصول الايمان ص ٢٩ - ٣٠ ج ١ وانظر ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ص ٨٣ وما بعدها .
- (٢) مزامير : صلوة لموسى رجل الله مزمو ٩٠ : ١ - ٢
- (٣) مزامير ١٠٢ : ١٢
- (٤) مزامير ١٠٢ : ٢٥ - ١٧
- (٥) راجع شرح اصول الايمان ج ص ٣٤ - ٣٥ .

فى كل الأرض حيث جلالك فوق السموات ، اذ أرى سمواتك عمل اصابعك ، القمصر
والنجوم التى كونتها ، فمن هو الانسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفقده " (مز ٨ :
١ و ٢) " السموات تحدث بعجد الله والظلمة يخبر بعمل يديه " (مز ١٩ : ١٤)
" باركى يا نفسى الرب ، يا رب الهى قد عظمت جدا ، مجدا وجلالا لبست ، اللابس
النور ككوب ، الباسط السموات كشقة ، المسقف علاليه بالمياه ، الجاغل السحاب
مركبته ، العاشى على اجنحة الريح ، المانع ملائكته وخدامه ناراً ملتهبة ، المؤسس
الأرض على قواعد ها فلا تتزعزع الى الدهر والأبد " (مز ١٠٤ : ١-٥) . " ١ "

الصّلاح :

ومن صفاته تعالى الصّلاح ، وصفة الصّلاح — حينما يراد بها معناها الحقيقى
عند المسيحيين — لا يجوز ان تطلق الا على الله تعالى ، لقول المسيح طيه السلام
حينما اتاه رجل فقال له : " أيها المعلم الصّالح ماذا اعلم لارث الحياة الأبدية ؟
فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس احد صالحا الا واحدا وهو الله " ٢ "

العدل :

ومن صفاته تعالى العدل أو العدالة ، وتعنى هذه الصفة المساواة فى
العطاء ، بحيث ان العطاء الهى ينال كلا بحسبه ، ويمقتضى هذه العدالة فان الله
تعالى لا يكلف احدا فوق طاقته ، وأنه يجازى كلا من المحسنين والمسيئين بمقتضى
العدالة التى تعنى التوازن فى المنح والعطاء .

الرحمة :

ومن صفاته عز وجل الرحمة ، ويولى المسيحيون هذه الصفة اهتماما بالغاً ،
ويرون انهم وحدهم هم المختصون فى وصف الله تعالى بها من بين اصحاب الديانات
المختلفة وحتى الديانة اليهودية غير مشاركة لهم فى وصف الله تعالى بهذه الصفة
رغم أن العهد القديم الذى يعتبر فى اليهودية اساس الديانة يعتبر فى المسيحية
ايضا احد شقى الكتاب المقدس ، ومع ذلك فانهم يرون لانفسهم فضل الاختصاص

(١) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٨٨

(٢) مرقس ١٠ : ١٧ — ١٨ .

والانفراد بهذه الصفة •

والله عز وجل عندهم ليس ذلك الاله المنتقم الجبار الذى تتخلع القلوب خوفا منه ، لكنه اب رحيم يحب عباده محبة جعلتهم أبناء الله وورثة مع المسيح • ومن مظاهر تلك الرحمة وأجلى صورها أن بذل ابنه الوحيد فداء للبشر وتخليصا له من خطيئة الانسان الأول " ١ " .

يقول الأب بولس الياس اليسوعى :

" ليس الله فى تعاليم السيد المسيح على مثال ما توهمته الديانات الصينية والبابلية والفارسية سيدا يسترضيه الانسان بتقادمه وذ بائحه وما يحوطه به من كرام ... لكن الله فى تعاليم السيد المسيح سيد مطلق قائم منذ الأزل ، على القدرة والصلاح ولا صالح سواه " ٢ "

وقال ايضا : " ليس الله فى تعاليم السيد المسيح كما رآه اباة التوراه والاسرائيليون فهو عندهم اله عظيم قدوس رب الصباووت ، تتخلع القلوب لمسراه رهبة وترتعد الفرائض فرقا ، فلا يذكر الاسرائيليون من يهوه الا يدا شقت لهم طريقا فى بحر القلزم ، واطبقت بعدهم الامواه على مراكب فرعون ورجاله ، ولا يبرون منه الا وجها تحجبه البروق والرعود ، يوم انزال الوسايا العشر على موسى فى سيناء ... لكنه اب رحيم اوجد الانسان بدافع من محبة وحفظه فى الوجود بدافع من خنان ... انه أب والانسان ابن الله على اختلاف اللون والجنس والنزعة ... وسحب الله للانسان أين منها محبة الوالدين أولادهم ٤٠٠٠ " ٣ " والوحى الالهى هو احد مظاهر تلك الرحمة المنبثقة عن محبته تعالى لخلقه وضايته بهم حتى بعث فيهم الأنبياء والرسل •

الحكمة :

ومن صفاته تعالى الحكمة ، وهى وضع الأمور فى وضعتها اللائق بهـ

- (١) راجع ايمانى اوقفايا المسيحية الكبرى ص ١٠٥ وما بعدها •
- (٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٣٢ المطبعة الكاثوليكية بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٦ م
- (٣) نفس المصدر ص ٢٣٣ •

وهذه الصفة تتضمن علمه تعالى بكل شيء ، وتدبيره لها كافة ، وعلمه تعالى بكل شيء ،
هو معرفته لنفسه وبكل ما عداه معرفة كاملة من الأزل وإلى الأبد لا شيء
حاضر أمامه .

ومما يدل على معرفته تعالى ذاتا وصفة كونه تعالى غير محدود في ذاته
وصفاته ولو لم يكن كذلك لكان علمه محدودا ، وذلك مما يستحيل على الله تعالى .
ومن علامات حكمته تعالى ذلك النظام البديع الذي يسود الكون ويسيطر
على الخليقة ، وتوافق المخلوقات في جزئياتها وكمياتها ، مما يدل على حكمته التامة
وبديع صنعه .

ومن مظاهر هذه الحكمة عمل الفداء الذي محا به الخطيئة البشرية مما يسدل
على عنايته التامة بخلقه . " ١ "

السمع والبصر والكلام :

يقول عوض سمعان : " بما أن من له علاقة مع غيره يكون بصيرا وسميحا وكميما ،
وبما أن الله له مثل هذه العلاقة مع خلائقه ، لاسيما العاقلة منها ، إذن فهو بصير
سميح كليم — وطبعاً دون أن تكون له أعضاء مادية ، لأنه ليس هناك اثر للمادة
فيه ، ولذلك قال الوحي منتقداً المعترضين على قدرة الله على السمع والبصر :
" افهموا ايها البلداة في الشعب واجهلاء متى تعقلون الخافض الاذن ألا يسمع ؟
الصانع العين الا يبصر ؟ " (مز ٩٤ : ٨ — ٩) " ٢ "

ويقول أيضاً بعد سرده لصفات الله عز وجل : " انها اصيلة فيه ، فهو قدير
عظيم يريد سميع بصير كليم ازلا قبل وجود أي مخلوق من المخلوقات لانه تعالى كامل
في ذاته كل الكمال ، ولا يكتسب شيئاً من الخواص او الصفات بأي حال من الأحوال
اذ أن الاكتساب يدل على التغير وهو لا يتغير " ٣ "

-
- (١) راجع شرح اصول الايمان ج ١ ص ٣٢ — ٣٣
 - (٢) الله ذاته ونوع وحدانيته لعوض سمعان ص ٢٨ .
 - دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية القاهرة طام ١٩٧٤ م
 - (٣) نفس المرجع ص ٢٣ .

الارادة :

اما الارادة فتعنى ان الله تعالى يخلق بمحض الحرية من غير ان يملأ عليه احد ارادته ، ويفعل ما يريد بلا اكراه من احد ، وقد أوجد الله العالم مع العدم ولم يخرج شيئا منه عن ذاته ، لانه لو كان كذلك لكان مركبا ، والله تعالى لا تركيب فيه لأن المركب لا بد له من مركب ، فهو تعالى واجب الوجود أزلى قديم . "١"

العلم :

ومن صفاته تعالى العلم ومعرفة بكل شىء ، والله تعالى كما انه غير محدود فكذلك علمه تعالى غير محدود ، لا يقبل الزيادة ولا النقص ، وليس لعلمه تعالى ماض او مستقبل ، لان كل شىء حاضر امامه .

ويستدل المسيحيون على ذلك بما ورد فى كتبهم المقدسة مثل ما جاء فى سفر اشعيا : " اذكروا الاوليات منذ القديم ، لأننى انا الله وليس آخر ، الاله وليس مثلى ، مخبر منذ البدء بالآخر ، ومنذ القديم بما لم يفعل قائلا رأى يقوم وأفعل مسرتى " ٢ "

وبما جاء فى الرسالة الى العبرانيين : " وليست خليقة غير ظاهرة قدامه ، بل كل شىء مران ومكتشف للذى معه أمرنا " ٣ "

ويقول القسس الياس مقار بعد ايراده لهذا النص من الرسالة الى العبرانيين " كيف لا وقد ادركنا معنى المكان وطلاقة بالله غير المحدود ؟ وهو بالنسبة للجزئيات والكليات علم واضح غير مبهم : " الظلمة ايضا لا تظلم لديك ، والليل مثل النهار يضى " . . . لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخطأ ورقمت فى اصاق الأرض رأيت هناك اعضائى وفى سفرك كلها كتبت يوم تصورت اذ لم يكن واحد منها " . (مز ١٣٩ : ١٢ ، ١٥ ، ١٦) وهو بالنسبة للمعنويات علم دقيق عجيب ، اذ هو العلم بالافكار والنوايا والسرائر " ٤ "

(١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص ١٨ و ١٢٨ بتصرف .

(٢) اشعيا ٤٦ : ٩ - ١٠

(٣) الرسالة الى العبرانيين الاصحاح ٤ : ١٣ وانظر شرح اصول الايمان ص

٩١ - ٩٢

(٤) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٩١ - ٩٢ .

صلة الله بالعالم فى المسيحية

ان صلتا الله تعالى فى المسيحية بالعالم صلة خلق ويجاد ، صلة تدبير لشئونه ، صلة حفظ لبقائه ، ولا ترى المسيحية فى هذا اختلافا مع غيرها من الأديان السماوية التى تؤمن بصلة الله تعالى بالعالم على هذا النحو .

وليس صلته تعالى بالانسان خاصة فى المسيحية قاصرة على صلة الخلق والرزق والحفظ ، وانما صلته به ، صلة أب بابنائه . وقد ظهرت تلك الصلة وتوطدت بين الله وبين البشر حينما أرسل الاب ابنه الوحيد فداء ، وخلاصا للبشر ، وذلك لسقوط الجنس البشرى كله فى الغضب الالهى ، بخطيئة آدم ، ولا تزال هذه الصلة مستمرة فى البشر باستمرار الروح القدس فيهم معزيا لهم ومرشدا نحو الحق ، ومعلما ومعينسا .

يقول الأب بولس الياس اليسوعى مشيرا الى هذه الصلة بين الله وبين البشر ومعلقا على نص ورد فى انجيل يوحنا :

" والجدير بالذكر ، أنه ببيانه " ١ " هذا قد أطن أيضا جوهر الدين المسيحى القائم على تلك البادرة الصادرة عن محبة الاب التى خطا بموجبهها خطوته الجبارة نحو الانسان وأرسل ابنه الوحيد الى ارض شقائه ، ليحدث بظلمته ويقيه من ظلمته ، ويرفعه اليه . أجل ليس الايمان بالله من خاصية الدين المسيحى وكل دين قائم بسعى الانسان المتواصل بطلب الله ، حتى اذا ما وجده وعرفه ، اقام معه تعالى علاقات ودية تربطه به . الا أن جميع المحاولات التى قام بها الانسان من هذا النوع على توالى العصور ، باءت بالفشل ، لما بين الله الخالق المتعالى ، والا محدود وغير المتناهى ، " ٢ " وبين الانسان المخلوق ، والمحدود ، والمتناهى ، من البون الشاسع والهوة السحيقة التى بمقدور الله وحده ، أن يعبرها " ٣ "

- (١) مرجع الضمير هنا هو يوحنا صا حب الانجيل
- (٢) المراد ، أنه تعالى غير محدود فى ذاته وصفاته أى انه غير محدود كيف لا كما انظر المبحث السابق قبل هذا المبحث وهو مبحث الصفات .
- (٣) يسوع المسيح شخصيته تعالىمه ص ٧٤ .

وإذا كانت أولى هذه الصلات - في المسيحية - هي صلة الإيجاد من الحدم ،
فإن هذه الصلة ، ليست مما تمتاز بها المسيحية عن غيرها من الأديان السماوية الأخرى ،
لأن تلك الأديان السماوية ، تنطلق جميعاً من هذه القاعدة •

ولكن ، بقدر ما تتفق تلك الأديان مع المسيحية في كثير من المسائل التي تسم
بحشها ، بقدر ما تختلف معها في هذه الأمور جميعها •

وليس ذلك التوافق الذي يبدو للقارئ في أول الأمر ، سوى توافق شكلي ليس
له من الواقع غير الاسم •

والفصل التي سيتم عرضها فيما بعد ، هي التي ستوضح حق ما بين المسيحية
وبين تلك الأديان من اختلاف ، وتميز ما بينها تمييزاً يبين أن ذلك التوافق الذي سبق
عرضه ان هو الا توافق في الأسماء دون السميات •

وبعد ، فنتنقل الآن إلى بيان وشرح قضايا المسيحية الكبرى ، وأسسه
التي تميزها عن الاسلام - بل وعن اليهودية - يميزاً يضح حداً فاصلاً بينهما •
ونبدأ الحديث بالكلام على التجسد في نظرهم •

الفصل الثانى

- * التجسد - معناه - تاريخه *
- * مناقشة ادلتهم على التجسد *
- * الكلمة ومعناها عند النصارى *
- * مناقشة ادلتهم فى معنى الكلمة **

١ - التجسد وتاريخه :

سبق ان ذكرت أن المسيحيين يؤمنون بأن الله غير متحيز ، وأنه غير محدود في ذاته ولا في صفاته . وهنا ندرس قضية من القضايا المهمة في المسيحية والتي تعتبر بداية للقضايا المسيحية الكبرى ، تلك المشكلة هي مشكلة التجسد .

والتجسد معناه أن يظهر الله للبشر في صورة ما من صور المخلوقات وهذا التجسد الالهي قد بدأ في نظرهم من أيام ابراهيم عليه السلام حينما ظهر له الرب مع اثنين من الملائكة وهو جالس على باب خيمته ، وظهر لزوجته هاجر في البرية على صورة ملاك . وكذلك ظهر لابراهيم على صورة ملاك حينما هم ابراهيم يذبح ابنه ، وظهر ليعقوب في بيت خاله كذلك ، وظهر لموسى وهو يرعى الغنم في البرية على صورة ملاك يلهيب نار من وسط طيقة ، وعند خروج بني اسرائيل من مصر كان الرب يسير امامهم ، وحينما اتبعهم فرعون بجنوده سار ورائهم .

هذه الظهورات كلها في نظرهم ما هي الا ظهور أقنوم الابن للأنبياء متجسدا هذه التجسدات وبلغت هذه التجسدات ذروتها بظهور الله في المسيح واقامته بين البشر .

ولنرجع الى النصوص التي استدلو بها على التجسد في الازمنة السابقة لظهور المسيح حسبما ورد ذكره في كتبهم المقدسة .

أ - ظهوره في عهد ابراهيم عليه السلام لهاجر :

" فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية ، على العين التي في طريق شور . وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين . فقالت انا هاربة من وجه مولاتي ساراي . فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها . وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يحد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلتي فتلدين ابناً وقد عين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمح لمذلتك " ١

ب - ظهوره لابراهيم عليه السلام :

" وظهر له الرب عند يلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار
فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركن لاستقبالهم من
باب الخيمة وسجد الى الأرض وقال يا سيد ان كنت قد وجدت نعمة فسي
عينك فلا تتجاوز عهدي • ليؤخذ قليل ماء وغسلوا ارجلكم واتكئوا تحت
الشجرة • فأخذ كسرة خبز فتسندون ظوئكم • ثم أخذ زبدا ولبنا
والعجل الذي عليه ووضعه قدامهم • واذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة
أكلوا " ١ "

ج - ظهوره ليعقوب عليه السلام :

" وقال لي ملاك الله في الحلم يا يعقوب فقلت ها ائذا فقال ارفع عينيك
وانظر جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاة ومنمرة لأنى قد رأيت
كل ما يصنع بك لا يان انا اله بيت ايل • • • • • " ٢ "

د - ظهوره لموسى عليه السلام :

"وأما موسى فكان يرى غم يثرون حميه كاهن مديان • فساق الغنم الى وراء
البرية وجاء الى جبل الله حوريب • وظهر له ملاك الرب بلهب نار من وسط
طبيعة • فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تـ كـ
تحترق • فقال موسى أميل الآن لانظر هذا المنظر العظيم لماذا لا
تحترق العليقة فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة
وقال موسى فقال ها ائذا • فقال لا تقترب الى ههنا • اخلع حذاءك من
رجليك لأن الموضع الذى انت واقف عليه أرض مقدسة • ثم قال انا اله ابيك
اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب • فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر
الى الله " ٣ "

يقول القس فايز فارس في تعليقه على هذا النص :

(١) تكوين ١٨ : ١ - ٨

(٢) تكوين ٣١ : ١١ - ١٣

(٣) خروج ٣ : ١ - ٦

" ان ملاك الرب الذى ظهر فى العليقة بلهيب نار ، انما هو شخص المسيح ، وكأنما كان ذلك المنظر العظيم — منظر النار المتقدة فى العليقة ، ولكنها لا تحرقها — اشارة الى ذلك السر الحبيب ، سر التجسد ، واتحاد اللاهوت بالناسوت فسمى شخص المسيح " ١ "

ويقول عوض سمعان : " ان كلمة (ملاك) ليست فى الأصل اسما للمخلوق الذى يعرف بهذا الاسم ، بل انها اسم للمهمة التى يقوم بها ، وهذه المهمة هى تبليغ الرسائل ، فالاصطلاح " ملاك الرب " معناه حسب الأصل ، " المبلغ لرسائل الرب " . ولما كان الرب هو خير من يقوم بتبليغ رسائله (لأن كل ما عداه محدود والض محدود لا يستطيع أن يعلن اعلانا كاملا ، ذات او مقاصد غير المحدود) لذلك يحق ان يسمى الرب من جهة ظهوره لتبليغ رسائله بـ " ملاك الرب " ، بمعنى المعلن لمقاصده أو المعلن لذاته ، أو بالحرى بمعنى " ذاته معلنا أو متجليا " لانه لا يعلن ذات الله سوى الله " ٢ .

ثم يصرح عوض سمعان بأن ذلك المتجسد هو أقنوم الابن وهو الذى يظهر للانبياء والاتقيا وذلك بعد أن استعرض تلك النصوص التى سبق عرضها فى هذا الموضوع ، ويقول :

" بما أن أقنوم الابن أو الكلمة هو الذى يعلن الله أو اللاهوت منذ الأزل الذى لا بدء له ، فلا شك انه هو الذى كان يظهر للانبياء والاتقيا السابق ذكرهم ، تارة فى هيئة ملاك ، وأخرى فى هيئة انسان ، لكى يعلن لهم ذات الله أو اللاهوت مع مقاصده " ٠٠٠ ان العبارة " ظهر الرب " الواردة فى (تكوين ١٢ : ٢٧ ، ٢٦ : ٢ و ٢٤ : ٠٠) ، يراد بها فى الأصل العبرى " ظهر كلمة الرب " ولذلك نرى أن انجيلوس اليهودى الذى ترجم التوراة من العبرية الى الآرامية فى القرن الثانى قبل الميلاد ، استعاض فى ترجمته عن اسم الله بكلمة " مرا " ، أى الكلمة " ٣ "

(١) حقائق اساسية فى الايمان المسيحى ص ٧٧ .

(٢) الله طرق اعلانه عن ذاته ص ١٢ .

(٣) نفس المرجع ص ١٣ .

ويتساءل عوض سمعان قائلا : " هل يتوافق مع محبة الله للبشر أن يقتصر

في معاملته معهم على الظهور لهم في كلام يسمعونهم اياه ؟ " فيجيب قائلا :
 " الجواب : أكبر الظن أنه لا يقتصر على ذلك ، لأنه من شأن المحب أن يفسح
 المجال امام من يحبهم لكي يقتربوا منه ويتوافقوا معه . وإذا كان الأمر كذلك
 كان من البديهي أن يظهر لهم في هيئة واضحة يمكنهم ادراكها ، وعن طريقها
 يمكنهم الاتصال به والتوافق معه ، وبما أننا لا نستطيع ان نتصل أو نتوافق الا
 مع انسان نظيرنا ، لانتا لم نألف العيش الا معه ، ولا نفهم الا لغته ، كان من
 البديهي ان يتنازل الله ويظهر لنا ، أو لأكثر الناس استعدادا منا للاتصال به .
 في هيئة انسانية ، أو قريبة من الانسانية ، ولذلك لا غرابة اذا ما طالعنا الكتاب
 المقدس في مواضع أخرى منه ، بأنه تعالى كان يظهر أيضا للانبيا والقدسين ،
 تارة في هيئة ملاك وتارة أخرى في هيئة انسان " .^١

هذا هو تاريخ التجسد الالهي كما يرون وهذه ادلتهم عليه من العهد
 القديم . ولكن لم هذا الظهور الالهي ، وما ضرورته عند المسيحيين ؟ . أو ما
 الحكمة في هذه التجسيدات وخاصة التجسد الالهي الأخير في المسيح كما يرون ؟
 وللإجابة على هذا التساؤل ، أورد هنا ما يقوله بعض المسيحيين في تبرير
 هذا التجسد أو إبراز الهدف منه .

يقول الأب بولس الياس اليسوعي : " أما البواغث التي حدثت الكلمة ابن الله
 على التجسد فيمكننا ان نجعلها بكلمة واحدة هي المحبة ، فالمحبة هي التي حملته
 على التجسد ليظهر في شخصه ابوة الله وأخوة البشر فيعطيهام مثالا يحتذونه
 وليفتديهم من عبودية الخطيئة " .^٢

وبالإضافة الى هذا ، فان الحكمة أو الباعث للتجسد الأخير هو اخذ الابن
 الصورة الانسانية الكاملة ليقدّم نفسه فداءً عن خطايا البشر .

يقول الدكتور هاني رزق : " كانت هناك حتمية لتجسد المسيح وأخذ
 صورة العبد ووجوده في الهيئة كإنسان ، ليكون الوسيط بين الله والناس في قضية
 الخفران ، لتتم المغفرة ببذل نفسه فدية لأجل الجميع " .^٣

(١) الله طرق اعلانه عن ذاته ص ٨٧

(٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٨٨

(٣) يسوع المسيح في ناسوته والوهيته للدكتور هاني رزق ص ١٥٧
 طبع سنة ١٩٧١ م بمطبعة النصر طبعة ثانية

وكما يبدو من كلام الدكتور هانئ هذا ، فإن المسيحيين يرون أن الدافع إلى التجسد والباعث عليه هو تخليص البشر وتطهيرهم من تبعة مالحق بهم من الذنوب والآثام بخطيئة آدم .

ويقول عوض سمعان في بيان فائدة التجسد : " انتا بكل اعمالنا الصالحة لانستطيع ان نكفر عن خطايانا لأن خطايانا هي تعد على حقوق الله ، وحقوق الله لا حد لها كما ان ذاته لا حد لها ، بينما اعمالنا الصالحة مهما كثرت وتنوعت فهي محدودة ، ولا يستطيع الانسان الخالي من الخطيئة (اذا فرضنا وجود مثله بيننا) أو الملاك الذي لا عيب فيه امانا أن يقوم بهذه المهمة نيابة عنا ، لأن كلا منهما محدود ، والمحدود لا يستطيع ادراك حقوق الله غير المحدودة ومن ثم لا يستطيع احدهما ان يكفر عن الاساءة التي وجهت الى حقوقه تعالى بسبب خطايانا ، ويكون الله وحده هو الذي يستطيع ان يكفر عنها " (١) "لانه هو وحده الذي يعرف حقوقه غير المحدودة . واذا كان الأمر كذلك ، كان من البديهي ان يتفضل ويأخذ جسدا من جنسنا ، لأن تكفيره عن خطايانا نيابة عنا ، لا يتأتى الا اذا تنازل وأخذ مثل هذا الجسد ، لأن النائب يجب ان يكون واحدا من الذين ينوب عنهم كما هو معلوم لدينا . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لكى يقبل في الجسد المذكور نتائج خطايانا اتي كان يجب علينا ان نقبلها نحن حتى يكون تكفيره عنا تكفيرا حقيقيا أو قانونيا " . (٢)

لقد اوضح عوض سمعان في كلامه هذا الباعث على التجسد والفائدة منه في نظر المسيحيين ، وهو كما لا يخفى يدور على المصالحة بين الله وبين البشر بعد ما حصل من خطايا وآثام ، ولم يجد المسيحيون طريقة تصلح لتكفير تلك الخطايا سوى هذه الطريقة الفريدة في تاريخ البشر وأديانهم السماوية .

(١) هنا يقول المصنف في الهامش : " ويتفق معنا القرآن في بعض آياته على ان الله هو الذي يكفر عن آثامنا فقد جاء في (سورة آل عمران : ١٩٣) هذا الدعاء : " فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا " .

(٢) الله طرق اعلانه عن ذاته ص ١٤١ .

٢ — مناقشة ادلتهم على التجسد الالهى :

اتضح مما سبق ان التجسد عند المسيحيين يعنى الظهور الالهى للانسان فى صورة ملاك ، كما تبين لنا انهم يستدلون على ذلك بنصوص من العهد القديم ، وعرضا نماذج لتلك الأدلة .

وأول ما نراه من تناقض فى هذه العقيدة ، هو قولهم بالتجسد الالهى مع ما سبق ان علمناه من قولهم فى مبحث الصفات باستحالة التحيز على الله تعالى .

وتدور المناقشة هنا حول دلالة تلك النصوص التى يستدلون بها على التجسد ، لئلا ما اذا كانت تدعم ما ذهبوا اليه أولا .

أما ما استدلو به من أن ملاك الرب ظهر لهاجر زوجة ابراهيم طيه السلام على عين الماء فى البيرة ، فهو نص يحل فى كلماته ما يمتنع الاستدلال به على التجسد ، وذلك لقوله : " فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البيرة " ^١ " لأن ملاك الرب هو غير الرب قطعاً ، وقد تكررت عبارة " ملاك الرب " فى ذلك النص أربع مرات مما يدلنا على ان ذلك الملاك المضاف الى الرب ، هو ملك أرسله الله ببشارة هاجر ، وليس فيه دليل على التجسد الذى يستدلون طيه بهذا النص .

وأما ما قالوه من ظهوره لابراهيم عند يلحوظات مرآ ومعه ثلاثة رجال حيث قدم لهم خبزا ولبنا وزيدا وعجلا مشويا ، ^٢ " فلا ادل على بطلانه من النص القرآنى الذى يدل بوضوح على ان الملائكة هم الذين جاءوا الى ابراهيم بالبشرى مرسلين من قبل الله عز وجل ، وحتى اولئك الملائكة ، لم يأكلوا مما قدم ابراهيم من الطعام ظنا منه أنهم جماعة من البشر .

قال الله تعالى : (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ . فلما رأى ايديهم لا تصل اليه شكرهم وأوجس

(١) تكوين ٦ : ١
(٢) " ١٨ : ١ — ٨

منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها
باسحاق ومن رؤا اسحاق يعقوب) "١" —

وأما النص الذي استدلوا به على ظهوره ليعقوب عليه السلام في الحلم ، فلا
يفهم منه غير ان ذلك المرئى في الحلم هو ملك من الملائكة ، لقوله في النص :
" وقال لى ملاك الله في الحلم يا يعقوب الخ " "٢" وملاك الله ليس هو الله عز
وجل .

وأما قولهم بأنه ظهر لموسى واستدل لهم على ذلك بما ورد في سفر الخروج
" وظهر له ملاك الرب بلبيب نار من وسط طيقة " "٣" ، فليس فيه دليله طسى
ان الله ظهر له بصورة ملاك ، ولكن النص يدل على ان الذى ظهر له هو ملاك السرب
لا الرب بعينه . ومع هذا فان لنا ان تناقش هذا النص المأخوذ من التوراة بنص
من القرآن الكريم وهو يدل بوضوح على أن موسى لم ير الله سبحانه رغم طلبه ذلك
من الله عز وجل ، مما يدل على عدم صحة ما قالوه من ظهور الله له ، قال الله تعالى :
(ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعبا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وانا اهل المؤمنين) "٤"

وهذه القصة وردت في التوراة كما وردت في القرآن الكريم ولكن مع شىء من
التفسير في سفر الخروج ، وفيه ارجح لله نادى موسى من شجرة العليقة وقال له
(لا تقترب الى ههنا اخلع حذاءك من رجلك لان الموضع الذى انت واقف عليه
أرض مقدسة . ثم قال انا اله ابيك اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب " وهذا يتطلب
مع ما في القرآن ، ولكن قوله بعد هذا : " فغطى موسى وجهه لأنه خاف ان ينظر
الى الله " يختلف مع ما في القرآن ، لأن الوارد فيه انه طلب أن يرى الله فلم يجب
لصعوبة ما طلب لأنه لا يستطيع ان يرى الله فيبقى حيا كما ورد ذلك في سفر الخروج "٥"

-
- | | |
|-------|---|
| (١) | هـسود ٦٩ — ٧١ |
| (٢) | تكوين ٣١ : ١١ |
| (٣) | خروج ٣ : ٢ |
| (٤) | الاعراف ١٣٤ |
| (٥) | خروج ٢٠ : ٢٠ " وقال لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الانسان لا يراى
ويعيش " وجاء في انجيل يوحنا قوله : " الله لم يره احد قط " ١ : ١٨ |

والنص الوارد في القرآن في هذا هو قوله تعالى : (وهل اتاك حديث موسى
اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتاكم منها بقبس أو أجد على
النار هدى • فلما أتاها نودى يا موسى • انى انارك فاطلع نعليك انك بالسوادى
المقدس طوى) " ١ "

وبهذا يتبين ان المسيحيين حملوا هذا النص مالا يتحملة بقولهم ان موسى
رأى الله على صورة ملاك ، مع ان سفر الخروج صريح فى دلالة على أن موسى رأى
ملاك الرب ظاهرا له بلهيب نار ، ولم يقل انه رأى الله ، ولو كان الأمر كما يقولون ،
لكان النص هكذا : " فظهر الله له على صورة ملاك بلهيب نار " وهو شئ لم يسرد
فى ذلك السفر ، فبطل استدلالهم بهذا النص ، واتضح بطلان هذا الاعتقاد •

أما قول عوض سمعان فى الملاك : " ان كلمة ملاك ليست فى الأصل اسما
للمخلوق الذى يعرف بهذا الاسم ، بل انها اسم للمهمة التى يقوم بها ، وهذه
المهمة هى تبليغ الرسائل ، فالاصطلاح " ملاك الرب " معناه حسب الأصل
" المبلغ لرسائل الرب " ، ولما كان الرب هو خير من يقوم بتبليغ رسائله (لأن
كل ما عداه محدود ، والمحدود لا يستطيع ان يعلن اعلانا كاملا ذات أو مقاصد
غير المحدود) ، لذلك ، يحق ان يسمى الرب من جهة ظهوره لتبليغ رسائله
بـ " ملاك الرب " ، بمعنى المعلن لمقاصده ، أو المعلن لذاته ، أو بالحرى
بمعنى " ذاته معلنا أو متجليا " ، لأنه لا يعلن ذاته الله سوى الله " ٢ "

— قوله هذا ، فأمر واضح التناقض ، لأن تفسيره ملاك الرب بذات السرب ،
مخالف لما هو معلوم من لغة العهدين ، القديم ، والجديد •

أما مخالفته للعهد القديم ، فواضح من النص السابق ، والنصوص التى قبله ،
حيث اضافت كلمة " ملاك " الى الله ، ولو كان الملاك هو الله ، لما اضيف السرى
لفظ الجلالة تارة ، وكلمة الرب تارة أخرى ، لأن الشئ لا يضاف الى نفسه •

ثم ان فى اسفار العهد القديم نصوبا تدحض ما يقوله عوض سمعان ، من ذلك ،
ما ورد فى سفر التكوين من أن الله سمع صوت اسماعيل عليه السلام وهو غلام حينما

(١) طه ٩ — ١٢

(٢) الله طرق اعلانه عن ذاته ص ١٢

فرغ الماء من القرية ، فخشيت عليه أمه " فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت
فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها مالك يا
هاجر لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام " ١ " وهذا النص يدل على أن
ملاك الرب نادى هاجر من السماء ، ولو كان الملاك هو الله ، لكنت هاجر
كليمه الله ، ولما كان لموسى امتياز على سائر الناس بأنه كليم الله ، فبطل
بهذا ، أن يكون الملاك هو الله .

وأما مخالفته للعهد الجديد ، فواضح ماورد في انجيل لوقا من أن ملاك
الرب ظهر لزكريا عليه السلام واقفا عن يمين مذبح البخور ، وأن هذا الملك
قال له : " أنا جبرائيل الواقف قدام الله ، وأرسلت لكك وأبشرك بهذا " ٢ "

وقول عوض سمعان بعد ذلك ، " فالاصطلاح " ملاك الرب " معناه حسب
الأصل ، المبلغ لرسائل الرب ، يؤكد ما ورد في العهدين من أن المراد بالملك
هو المخلوق الموكل بتبليغ الوحي الالهي .

وأما قوله : " ولما كان الرب هو خير من يقوم بتبليغ رسائله " ، لذلك ،
يحق أن يسمى الرب من جهة ظهوره لتبليغ رسائله بـ (ملاك الرب) ، بمعنى
المعلن لمقاصده أو المعلن لذاته " فقول يبين ما في المسيحية من غسوس
وتعقيد ، ويحكم على من يحتقده بالعقم الفكري ، والسقم العقلي ، بحيث لا يحتاج
إلى تخليق .

وتبرير التجسد بأن من شأن المحب أن يفسح المجال أمام محبيه ، فيظهر
لهم " في هيئة واضحة يمكنهم ادراكها ، وعن طريقها يمكنهم الاتصال به والتوافق
معه " ، فأمر في غاية الفساد ، لأن هذه الهيئة التي يمكن عن طريقها الاتصال
به — وهي إما هيئة ملاكية ، أو إنسانية — لا يمكن أن تعطى صورة واضحة لهذا
الاله المتنازل عن هيئته وحقيقته ، والهيئة الملائكية أو الإنسانية ، هي بلا شك
دون الهيئة الالهية ، والله لا بد أن يكون فوق هذه الهيئات ليبقى لها ، ولا ،
فليس لالهية ميره عن آلهة الوثنيين التي تعبد فوق كل زمان ومكان .

(١) تكوين ٢١ : ١٦ — ١٧

(٢) لوقا ١ : ١٩

وهذا الإدراك الذى يذكره عوض سمعان على هذه الهيئة ، لا يعتبر ادراكا للذات الالهية وحقيقتها على الاطلاق ، وانما هو ادراك لتلك الهيئات الملائكية أو الانسانية القاصرة ، فستان ما بين الحقيقة الالهية ، وهذه الهيئات .

٣ - الكلمة في نظر النصارى :

لا ينكر ما للكلمة بين البشر من دور عظيم فى نشر العلوم والأخبار ونقل ما يدور فى الفكر الانسانى من خواطر ، بها يسود الاخاء والسلام والتعاون بين البشر . ولو لا الكلمة التى يتفاهم بها الانسان فى الحرب والسلام ، ويتبادل بها العلوم والأسرار لما وصلت العلوم الانسانية الى ما وصلت اليه من تقدم وازدهار ، ولما كان هناك اى فرق بين الانسان والبهائم . والكلمة هى الترجمان العظمى للعقل الانسانى الذى يعتبر أهم ما يمتاز به الانسان عن بقية الحيوانات اذ الانسان حيوان ناطق .

وهذا كله فى الكلمة المتبادلة بين البشر فى طلاقاتهم المختلفة فيما بينهم ، سواء كانت تلك الكلمة منطوقة او مكتوبة . أما كلمة الله — وهى التى يدور عليها البحث هنا — فهى أسمى وأعظم مما يتصوره الانسان فى فهمه للكلمات البشرية .

جاء فى الاصحاح الأول من سفر التكوين : " فى البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه . وقال الله ليكن نور فكان نور وقال الله ليكن جلد فى وسط الماء وليكن فاصلا بين مياه ومياه وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك وقال الله لتنبث الأرض عشباً ونباتاً يبزر بزرها وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض وكان كذلك وقال الله لتكن انوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وقال الله وقسم الله لتفصل المياه زحافات ذات نفس حية وليطير طير فوق الأرض على وجه جلد السماء وباركها الله قائلا اثمري واكثري واملائي المياه فى البحار وليكثر الطير على الأرض وقال الله لتخرج الأرض ذات انفس حية كجنسها وقال الله ليكن كذلك

فخلق الله الانسان على صورته ٠٠٠٠٠ ذكرنا وانشى خلقهم وباركهم الله
وقال لهم اثمروا وأكثروا واملاؤا الأرض واخضعوها وتسلبوا على سمك البحر
وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض "١"

هذه هى كلمة الله فى المتوراة وهى كلمة " كن " التى بها كون المخلوقات
خلق بها الأرض والسموات وكون ما فيهما وما بينهما وخلق بها الانسان
انها كلمة " كن " ، يوجهها الله الى ما يريد ايجاده من عدم
فيقول له كن فيكون ، مهما تعاظم حجمه وتكاثر عدده ، وصعب على العقول
حده وعده *

هذه هى كلمة الله عند اليهود فكيف يراها المسيحيون ؟

ولمعرفة معنى الكلمة المضافة الى الله فى نظر المسيحيين يتحتم الرجوع الى
كلام المسيحيين أنفسهم ، لأن ما يعنون بالكلمة غير ما يعنيه غيرهم .
يقول القس منيس عبد النور : " كان الرسل ينقلون الرسالة الجديدة عن
المسيحية لليهود ، فكانوا يجدون الكلمات التى تنقل لليهود الحق الجديد عن
المسيح ، فكانوا يطلقون على المسيح لقب المسيا وابن داود وابن الانسان ٠٠٠٠
وعندما بدأ الرسل يعظون بالمسيح للأُم وجدوا ان فهمهم للكلمات
اليهودية ناقص أو معدوم ، فاذا قالوا ان المسيح ابن داود ، لم يعرف الامم من
هو داود ولا من هو ابنته ٠٠ واذا قالوا انه ابن الله ظن السامعون ان المسيح
يشبه آلهتهم الوثنية التى كانوا يقولون انها ان الاله يختار فتاة جميلة تعجبه
فيتزوجها وينجب منها ابنا يكون نصف اله ونصف انسان ٠٠٠٠ وبالروح القدس
وصل الرسل يوحنا الى لفظة توصل الحق الكامل للأُم بطريقة مفهومة ، وهى " الكلمة "
فقال : فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ٠٠٠ "٢"

ومعنى هذا الكلام أرسالة المسيحية الاوائل لم يهتدوا الى استعمال هذه
الكلمة الا بعد مرور مدة من الزمن بعد المسيح حتى اهتدى يوحنا الى استعمالها
وأن استعمالها ايضا لم يكن معروفا فى عهد المسيح الا بمعناها اللغوى الذى

(١) تكوين ١ : ٢٨ —

(٢) القاب المسيح ص ١٤٣ — ١٤٤

دلت عليه نصوص العهد القديم ، أما بالمعنى الجديد — وهو إطلاقها —

على المسيح — فلم يكن معروفاً كما يتبين ذلك من خلال هذا النص :

يقول حبيب سعيد : " وفكرة مجيئ المسيح وملكه الشامل بحسب

الفكر اليهودي ، كانت عقيدة غريبة ومعادية للأمم ، فما لهم ورجاء اليهودية

وأحلامها وملكها ؟ ولم تكن سلسلة نسب المسيح وانتائه الى داود ، وحسابه

حسب الجسد من النسل الملكي تعنى شيئاً بالنسبة لليوناني . هذا لبالمشكل

فكيف تقدم المسيحية للعالم اليوناني ، وما من شك أن قوة أية عقيدة من العقائد

لا تعتمد على قوة هذه العقيدة قدر اعتمادها على توافقها مع فكر العصر واستعداد

الجماهير لقبولها ، وكان على المسيحية ان تخلق هذا التوافق وأن تهني نفسها

لقبول الجماهير لها ، الا يوجد مدخل فكري جديد غير المدخل اليهودي

تستطيع به المسيحية ان تجتذب أصحاب الفكر الهليني الى حظيرتها ؟ أيلزم

للامم ان يتهود أولاً حتى يدرك اسرار المسيحية ؟ لقد كانت المشكلة تكمن

في كيف يقدم المسيح والمسيحية في ثوب يستطيع اليوناني ان يدركه ويستوعبه ؟

ولقد استخدم الوحي الالهى يوحنا الرسول ليقوم بحل هذا المشكل . . .

فتقدم ببشارته لليونانيين واليهود على السواء تحت عمة الوحي الالهى وارشاد

الروح القدس . ولقد تمجد الاعلان لالهى فيه حينما ارشده بأن المدخل للفكر

اليوناني واليهودي على السواء ، هو في الحديث عن الكلمة ، هنا يستطيع ان

يصل الى العقل اليهودي ويستوعبه الفكر اليوناني " ١٣ "

من هذا الكلام يتبين استعمال يوحنا للكلمة في بشارته لم يكن الا للتقريب

بين الفكر المسيحي والفكر اليوناني الهليني ، ولولا ما قام به يوحنا — الذي عاش

في مدينة افسيس عام ١٠٠ م — من جهد للتوفيق بين العقل المسيحي والعقل

اليوناني لما أمكن اجتذاب اليونانيين الى حظيرة المسيحية في ثوبها المتطور .

والكلمة في الفكر اليهودي لا تخرج عن إطارها اللغوي ، الذي دلت عليه

نصوص العهد القديم ، الا أن بعض اليهود — في نظر المسيحيين — عبروا عن

ذات الله ب (كلمة الله) وذلك اجلالاً لله وتنزيهاً له عن كل ما من شأنه

أن يصور الله بصورة إنسانية : " ١ "

وبالإضافة إلى ما سبق يقول حبيب سعيد في بيان معنى الكلمة : " كلمة الله ، فكر الله ، قد تجسد إلى العالم في شخص يسوع المسيح " ٢ .

ويقول الأب بولس الياس اليسوعي : " ولما كان عقل الله وذاته الإلهية شيئاً واحداً لبساطته كانت معرفته ذاته أقنوماً قائماً بنفسه مثل الأب لأن كل ما في الله هو الله ، ولا سبيل إلى التمييز فيه ما بين جوهر وعرض ، لأنه جوهر محض ولا عرض فيه ، وهكذا يمكننا القول أن ابن الله الذي هو كلمته ، الأسمى ، كان يكلم الناس عندما اتخذ جسماً ترابياً ، يكشف لهم جنان الأب السماوي ، ويشفي أسقامهم ويغفر لهم خطاياهم ، ويشق لهم الطريق المؤدية " إلى الأب " ، وكان ما يزال في الوقت عينه قائماً في الله أبيه متحداً به اتحاداً تاماً " ٣ .

ويقول القس الياس مقار : " ... وواضح أن الرسول يوحنا امسك باللفظ وحدد معناه ومدلوله وعقيدته فيه من أول سطر في إنجيله . وعقيدة يوحنا في الكلمة أنه أولاً وقبل كل شيء " شخص وليس شيئاً ، أو مجرد فكرة أو صفة من الله ، وهذا الشخص له ذاتيته الأزلية السرمودية القائمة في الله إذ هو الاقنوم الثاني في اللاهوت . " والكلمة كان عند الله " . وقطعاً لكل ليس يمكن أن ينشأ في الذهن حول كون الكلمة شخصاً وليس شيئاً ، وحول كونه ذات الله وليس آخر ، قال يوحنا : وكان الكلمة الله ولا يغرب عن البال أيضاً أن الكلمة هذا عند يوحنا ليس إلا المسيح يسوع بعينه ... " ٤ .

ويحاول حبيب سعيد في موضع آخر توضيح معنى الكلمة وتجسدها فيقول : " الإنسان يفكر في بعض المعاني مثل العدل والإيمان والثبات والمحبة ، هذه الأفكار كلمات حتى قبل أن انطق بها ، لأن الكلمة الصوتية أن هي إلا تعبير عن الكلمة الداخلية الكامنة في عقل . وهذه الأفكار أو الكلمات الكائنة " مولوده " .

فمثلاً من ذا الذي جلس يوماً إلى مائدة عشاء مع العدل أو من ذا الذي سمح

(١) انظر أديان العالم ص ٢٧٠ وما بعدها .

(٢) نقل لمرجع ص ٢٧٨

(٣) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص ٧٧ .

(٤) إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص ١٢٢

أن المحبة خرجت يوما الى نزهة خلوية

ومع ذلك فهي حقائق لا سبيل الى انكارها • ولكن من اين جاءت ؟ ان
العقل قد ابدعها أو ولدها لا فى مولد طبيعى كما تلد الحيوانات صغارها
بل فى توالد روحى الذى به تلد الافكار أو الكلمات الكامنة وأخيرا
فكر الانسان قد يأخذ طابع شخصيته فتعرفه لهاق المعرفة
والآن لنطبق هذا كله على فكر الله ، الله يفكر ، وفكره هو كلمة ، كما ان
فكرى هو كلمتى بعد أن انطق بها ، وهذا الفكر يولد فيسمى ابنا • وأخيرا يعبر
هذا الكلمة أو الابن عن شخصية الله • على ان ثمة فارقا بين الله وبين الانسان
فى ميدان التفكير ، فلانسان فكر كثيرة وآراء متباينة ، ولكن لله فكرا واحدا ،
وعنده كلمة واحدة ، وهذا الكلمة الذى هو فكر الله لانهاى ومعادل لله ، فريد
لا مثيل له ، البكر من روح الله " ١ "

وهذا الكلام بطوله يوضح كيف ان المسيحيين تبنا فكرة الكلمة التى استعملها
يوحنا لأول مرة فى انجيله بالمعنى الخاص المتعارف بينه وبين اليونانيين الذين
بشر فيهم يوحنا بدعوته • وبعد أن كان المفهوم من الكلمة قولاً له دلالة اللغوية
بحسب الألفاظ المستعملة فيه ، تخير معناها مع بقاء صورة الكلمة ومبناها فى العهد
القديم •

وبدل كلام حبيب سعيد على أن الله يفكر ، وأن تفكيره هو كلمته ، وأن كلمته
ذات منتقلة من مكان الى مكان ، لأن الكلمة صارت جسدا ، وحلت ، وطاشت
بين البشر فى شخص المسيح باجماعهم •

ويقول الدكتور هانى رزق : " وكلمة الله ليست مجرد كلمة محدودة زمانا ومكانا
زائلة كالمفهوم المعروف - ينأ عن معنى الكلمة • وإنما هو اقنوم قائم بذاته
ثابت ازلى أبدى هو اقنوم الكلمة - كلمة الله - الذى هو يسوع المسيح ابن الله
(صورة الله) " ٢ "

ويتفق الدكتور هانى مع حبيب سعيد ، فى اعتبار كلمة الله فكرة الله ، ويضرب
فى ذلك مثلا يذكر فيه أن للانسان ثلاث خواص ، وهى العقل والحياة والوجود

(١) اديان العالم ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(٢) يسوع المسيح فى ناسوته والوهي ، ص ٢٠٥ •

وكلام اثنا سيوس هذا يدل — كما سبق ان قلت — على أن الناس — سواء اليهود منهم واليونانيون — لم يقبلوا فكرة تجسد الكلمة على أنها قضية لا تقبل النقاش والجدل * وطلبه فان ما يقال من أن الوحي الالهى استخدم يوحنا فى التوفيق بين العقيدة المسيحية وبين الفكر اليونانى حتى اهتدى الى اطلاق الكلمة على المسيح ، لم يكتب له النجاح حتى فى عهد اثناسيوس الذى عاش بعد قرنين أو أكثر من استعمال يوحنا لهذه الكلمة فى انجيله لأنه كتبه — على ما يقال — ما بين سنة ٨٥ و ٩٥ م ، ^١ ومع هذا العهد الرئسنى الذى يفصل بين يوحنا — واثناسيوس ، فان مقاومة مفهوم الكلمة عند يوحنا لم تتوقف من قبل خصميين رئيسيين للمسيحية ، وهما ، اليهود واليونانيون .

٤ — مناقشة فى معنى الكلمة :

الكلمة المتجسدة ماهى وكيف تجسدت ؟؟

لقد طمنا معنى الكلمة عند اليهود من خلال ما فى العهد القديم من نصوص ورأينا استعمال المسيحيين للكلمة بطريق مخالفة لما هو معلوم عند اليهود ، وتبين لنا أن الدافع لهم الى ذلك اجتذاب الوثنيين الرومان الى المسيحية بعد تطويعها وتقريبها الى اذهانهم .

وهذا هو الدافع للمسيحيين الى تغيير معالم رسالة المسيح ، وأول من قام بهذا الدور هو يوحنا الانجيلى الذى يؤكد المسيحيون انه اول من استعمل لفظ الكلمة بالمعنى المفاير للغة العهد القديم ، وأنه الف انجيله لاثبات الوهية المسيح ، وقد استفححه بتلك العبارات الخاضعة التى يتخذها المسيحيون وسيلة عظمى من وسائل الايمان بالوهية المسيح .

يقول الأب بولس الياس اليسوعى : " وخية يوحنا فى انجيله ، اظهر الوهية المسيح الذى عرفه ورآه ولمسه والذى يريد ان يرسخ فى الازمان انه هو الله وابن الله والورث الشرعى للعهد القديم " ^٢

(١) يسوع المسيح شخصيته تعالىمه ص ٢٧ .

(٢) يسوع المسيح شخصيته تعالىمه ص ٢٨ .

وبإضافة هذا النص الى ما سبق من نصوص في مبحث الكلمة ، نرى بوضوح أن المسيحية بعد المسيح ، ليست هي المسيحية في عهده ، وأن صاحب الدور الكبير في تغيير وجه المسيحية الحق ، هو يوحنا كاتبا الانجيل الذي ذكر في انجيله بنوة المسيح لله نحو من خمس وستين مرة ، مما يدل بوضوح على أن يوحنا هو الذي تبني فكرة بنوة المسيح لله كما تبني فكرة التعبير عن الله بالكلمة ليلتقى مع الوثنيين في نصف الطريق متنازلا عن عقيدة المسيح الصافية التي وجد ان اليونانيين لا يمكن ان يستوعبوا الا بدخال تغيير ذي بال يقرهم الى هذه المسيحية في ثوبها الجديد .

لقد سبق عرض نصوص تتعلق بمعاني الكلمة ضد المسيحيين ورأينا هناك ما قاله القس الياس مقار من أن " عقيدة يوحنا في الكلمة أنه اولا وقبل كل شيء شخص وليس شيئا أو مجرد فكرة أو صفة عند الله " ، وبمقارنة كلامه هذا بما قاله حبيب سميد من أن كلمة الله فكر الله " ، نجد أن المسيحيين لم يتفقوا على معنى واحد دقيق لمفهوم الكلمة حتى يومنا هذا ، مما جعلهم يتناقضون في شرح معناها تناقضا نرى اثره واضحا في هذين النصين .

وأوضح من هذا التناقض تناقض الأب بولس الياس في كلامه هذا مع نفسه في موضع آخر حيث يقول : " ولما كان عقل الله ذاته الالهية شيئا واحدا لبساطته كانت معرفته ذاته أقتوما قائما بنفسه مثل الأب " ونقول . . . اذا كان عقل الله ذاته شيئا واحدا كما يقول فكيف انفصل هذا العقل عن الذات وتجسد ؟ وكيف يتجسد العقل وهو أمر معنوي ؟ وكيف أصبح اقتوما قائما بنفسه وهو الذات الالهية شيء واحد لا سبيل الى التمييز فيه بين جوهر وعرض ؟

ويقول حبيب سميد في الكلمة وتجسدها : " الانسان يفكر في بعض المعاني مثل العدل والايمان والثبات والمحبة هذه الافكار كلمات حتى قبل ان انطق بها وهذه الافكار والكلمات الكامنة مولودة . . . فمثلا من ذا الذي جلس يوما الى مائدة عشاء مع العدل أو من ذا الذي سمع أن المحبة خرجت يوما الى نزهة خلوية ؟؟ ومع ذلك فلا سبيل الى انكارها ولكن من اين جاءت ؟ ان العقل قد ابدعها أو ولدها لا في مولد طبيعي كما تلد الحيوانات صغارها بل في تولد روحي الذي به تلد الافكار والكلمات الكامنة " .

وبعد هذه المقدمات الطويلة الواهية جاء بنتيجة أوهى وأوهن حيث قال :
" والآن لنطبق هذا كله على فكر الله ، الله يفكر ، وفكره هو كلمة ، كما ان فكسى
هو كلمتى بعد ان انطق وهذا الفكر يولد فيسمى ابنا ، واخيرا يعبر هذا الكلمة
أو الابن عن شخصية الله " .

لا شك أن الانسان يفكر فى المعانى كما يفكر فى الذات ، ولا يختلف فى
هذا اثنان من البشر ، ولكن من غير المسلم به أن تلك الأشياء المعنوية التى يفكر
فيها الانسان تسمى كلمات ، اذ الكلمات هى التعبير عن تلك الافكار نطقا او
كتابة بما يدل عليها من الألفاظ ، والدال ، وهو اللفظ ، غير المدلول ، وهو
المعانى القائمة بالذهن .

ثم ان الانسان يفكر فى الذات كما يفكر فى المعانى ، ولا يمكن اعتبار
تلك الذات التى يفكر فيها الانسان مولودة منه ، كما يزعم حبيب سعيد فى تفكير
الانسان فى بعض المعانى ، وعلى هذا فلا يمكن ان يكون الفكر كلمة ، كما لا يمكن ان
يولد ، لأنه امر معنوى يفهم ولا يرى أو لمس ، ولأنه معنى تدل عليه الكلمة .
ومادام قد بطلت المقدمات التى بنى عليها حبيب سعيد رأيه فى تجسسد
الكلمة ، فقد بطلت النتيجة التى رتبها على تلك المقدمات .

الفصل الثالث : وفيه مباحث

- * بنووة المسيح
 - * ابوة الآب
 - * اللروح القدس
 - * الاقانيم
 - * معنى الابوة والبنوة في اصطلاحهم • ومناقشة ذلك
 - * مناقشة ادلتهم على اقنونية الآب ، ولا هوته ، بمفصوص
- من العهدين القديم والجديد

(بنوة المسيح لله عند المسيحيين)

يومن المسيحيون بأن المسيح عليه السلام ابن الله على وجه الحقيقة وعلى شكل يخالف البنوة المعتادة بين البشر ، اذ هى نتيجة للاقتان الجسدى بين الزوجين ، وأما بنوة المسيح عندهم فليست من هذا القبيل — وان كانت البنوة فى حقه بنوة حقيقية لا جد ل فيها عندهم — وانما هى بنوة ازلية اصلية من قبل كل الدهور .

لقد ورد فى الاناجيل الاربعة تسمية المؤمنين بأبناء الله فى مواضع كثيرة ، كما ورد أيضا تسمية المسيح بابن الله فيها كذلك ، ولكن المسيحيين يفرقون بين ما ورد فى حق المؤمنين من هذه العبارة وبين ما ورد فى حق المسيح . ويقولون ان بنوة المؤمنين لله بنوة انعام وتفضل وهى بنوة مكتسبة بالصالح . أما بنوة المسيح فليست مكتسبة وانما هى بنوة ازلية اصلية .

يقول القس منيس عبد النور :

" ٠٠٠ بنوة المؤمنين مكتسبة أنعم الله بها عليهم ، أما بنوة المسيح فهى ازلية اصلية ٠٠٠ بنوة المسيح اصلية اصلية من قبل كل الدهور ، ولكن بنوة المؤمنين تأتيمهم عن طريق اتحادهم بالمسيح وثبوتهم فيه " ٠ " ٢ "

ثم يتساءل القس منيس عبد النور قائلا :

" ما هو الفرق اذن بين المسيح ابن الله ، وبين المؤمنين أولاد الله ؟ " فيجيب قائلا : " الفرق الأول ان المسيح ابن الله من الاصل بالطبيعة منذ الازل أما المؤمن فهو ابن بالتبني اذا رضى الله فى رحمته ان يجعله ابنا له ، والمسيح هو الابن الوحيد الذى وحده يقدر ان يقول : " أنا والآب واحد (يوحنا ١٠ : ٣٠) " وهو وحده الذى يقدر ان يقول : " من رآنى فقد رأى الآب " (يوحنا ١٤ : ٩) " ولكن ما هو المعنى من لقب المسيح ابن الله ؟

(١) انظر (حقائق اساسية فى الايمان المسيحى للقس فايز فارس ص ١٥٢ وما

بعدها دار الجيل للطباعة طبعة اولى سنة ١٩٦٨ م .

(٢) القاب المسيح ص ١٩ .

المسيح مثل الله .. " ابن الله " معناها يشبه الله ...
وكما ان ابن الرعد معناها يشبه الرعد في قوته ، وكما ان ابن السلام معناها يشبه
السلام في هدوئه ، وكما أن ابن الوعظ يشبه الوعظ في التعزية ، هكذا ابن الله
معناه يشبه الله انه هو صورة الله غير المنظور ... وهو الذي حل فيه
كل مل " اللاهوت جسديا .

فان من عرف المسيح يعرف الله ومن رآه فقد رأى الله " ١ "

ويقول الاب بولس الياس اليسوعى :

م " لقد سمعته الجماهير يدعو الله اياه ويقول في صلاة خاشعة : " أشكرك
يا ايت رب السماوات والأرض لانك اخفيت هذه عن الحكماء والعقلاء وكشفتها للاطفال
نعم يا ايتاه لأنه هكذا حسن لديك كل شئ قد دفع الى من ابى وليس احد يعرف
الابن الا الاب ، ولا أحد يعرف الاب الا الابن " (متى ١١ : ٢٥) .

" ففى هذا التصريح كشف عن سر دخيلته وأعلن أنه من الله وأن له وشائج
طبيعية تربطه به عز وجل ، اذ أن ليس بمقدور احد أن يعرفه كما هو الا الله ، وأن
ليس بمقدور احد ان يعرف الله كما يعرفه هو لأنه ابنه بالطبيعة ، وقد اكد انه
يستطيع ان يعمل اعمال ابيه ، يقيم الموتى ويحييهم ، وأن له حقا مشروعا بما يقدم
لله من الاكرام " ٢ "

ويفسر الاب بولس الياس اليسوعى كيف أن المسيح ولد من الاب بقوله :
" لا حاجة بنا الى القول ان ولادة الابن من الاب تختلف عما نفهمه عادة بهذه
اللفظة . فولادة الابن من الاب معناها أنه صدر عنه كما يصدر النور من الشمس
وهو صدر باطنى ، ونعنى بالصدر الباطنى أن المعلوم يبقى داخل طته كالفكرة
تبقى داخل العقل المفكر بخلاف الصدر الخارجى الذى ينفصل فيه المعلوم عن
طته شأن الولد الذى ينفصل عن والده وطه كيانه " ٣ "

-
- (١) القاب المسيح ص ٢٠ - ٢١
(٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٧٢
(٣) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٧٧

هكذا يبدو ما يعنيه المسيحيون من بنوة المسيح لله ، وقد اتضح مما سبق عرضه من نصوص أن المسيحيين لا يريدون من البنوة غير تلك البنوة المفهومة من اللفظ عند اطلاقه ، ولكن تفسيرهم لكيفية صدور الابن من الآب هو الفرق الذي يلاحظ في العبارة هذه لا غير .

ولتقريب معنى هذا الصدور يقول الآب بولس الياس اليسوعي " لنأخذ مثلاً لعلمنا نفلح في تقريب هذه الحقيقة في الأفهام . إذا جادت قريحة شاعر بقصيدة عباءة فأثبتها على القرطاس وانتشرت بين الناس فراحوا يتناشدونها اغيمنع اثباته إياها على القرطاس من أن يبقيا في الوقت عينه مطبوعة في حافظته ؟ وليس في ذلك أي غرابة ، وهكذا القول عن الله ، لقد عرف ذاته منذ الأزل بفعل عقله داخل ، فكان ابنه الكلمة الإلهي الذي ثبت فيه وحل فينا بالجسد في الوقت عينه " ١ "

ومعنى هذا أن علمه تعالى بذاته هو الذي تجسد وحل في بطن مريم واتخذ جسماً ترابياً ليتصل بالبشر بعد تأنسه .

ويقول القس ليبب ميخائيل :

" وقد سمي المسيح ابن الله ليس على أساس تناسله من الله فالتناسل عمل من أعمال الجسد وحاشا لله أن يتناسل فهو لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وهو روح يملأ السموات والأرض ولا يحد ، لكن المسيح سمي ابن الله باعتبار أنه هو الذي أظهر لنا الله ، الله لم يره أحد قط " ٢ "

من هذا العرض نعرف معنى البنوة عند المسيحيين حينما يريدون بها بنوة المسيح لله تعالى ، ويبقى أن نعرض النصوص الواردة في الأناجيل ، والتي يؤيدون بها ما ذهبوا إليه من معنى البنوة .

(١) نفس الصفحة من نفس الكتاب

(٢) هل المسيح هو الله للقس ليبب ميخائيل ص ٨٠ المطبعة التجارية الحديثة الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٢ م .

ولكن قبل عرض تلك النصوص يجب ان نعرف معنى الابوة الذى ترتبط به
البنوة التى سبق أن عرضناها •

(ابوة الله للمسيح) :

سبق ان بينا مراد المسيحيين بالبنوة التى يلقيون بها المسيح دون غيره من البشر
ولم نتعرض خلال الكلام على معنى البنوة لتعريف الابوة ، أى ابوة الله للمسيح
كما يراها المسيحيون ، وهنا اشير اشارة موجزة الى معنى تلك الابوة مع أن معرفتنا
لمعنى البنوة يجعلنا ندرك معنى الابوة الالهية للمسيح فى نظرهم وذلك لتلازم
البنوة والابوة وجودا وعدما ، وهذا ما يجعلنى اوجز فى عرض فكرة الابوة عند
المسيحيين •

يرى المسيحيون أن الابوة الالهية للمسيح ابوة خاصة تتضمن مشابَهة
الابن للآب فى طبيعته ، وتبادل المحبة بينهما ، ووراثة الابن للآب •

ويرون انه لم يوجد زمن لم يكن الله فيه ابا للمسيح ، كما أنه لم يكن زمن
لم تثبت فيه بنوة المسيح لله ، وقد سُمى الله تعالى آبا من حيث نسبته الأزلية
للابن ، كما أن الابن سُمى ابنا من حيث نسبته الأزلية للآب ، وهذه الابوة ابوة
أزلية بولادة أزلية ، وليست هذه الابوة كابوته تعالى لغير المسيح لأن ابوته
لغيره ابوة بالتبني أو بالولادة الجديدة بالروح القدس وهذه الابوة ابوة انضمام
وتفضل وهى مستحدثة بعد ان لم تكن بخلاف تلك الابوة الواردة فى حق المسيح^١

وما دنا قد عرفنا معنى الابوة عندهم فلنعد الى عرض نصوص الاناجيل التى
تدل على ما ذهب اليه المسيحيون فى معنى الابوة والبنوة •

فى انجيل متى :

" وكان هناك الى وفاة هيرودس فكسى يتم ما قيل من الرب بالنبي القايل من مصر
دعوت ابنى " ٢ "

" فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله

(١) راجع شرح اصول الايمان ج ١ ص ٥٥ وما بعدها و ص ٢٣٨ وما بعدها -

(٢) متى ٢ : ١٥

نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السموات قائلا : هذا هو ابني الحبيب
الذى سررت به " ١ " .

" فبعد ما صام اربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا ، فتقدم اليه المجسرب
وقال له ان كنت ابن الله فقل ان تصير هذه الحجارة خبزا . فأجاب مكتوب ليس
بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم اخذه ابليس
الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل . وقال له ان كنت ابن الله فاطرح
نفسك الى اسفل لانه مكتوب انه يوصى ملائكته بك فعلى اياديهم يحملونك لكى لا
تصدم بحجر رجلك . قال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك . ثم اخذه
أيضا ابليس الى جبل طل جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له لا عطيك
هذه جميعها ان خذرت وسجدت لى حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه
مكتوب للرب الهك تسجد وأياه وحده تعبد " ٢ "

" ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل ارادة
ابى الذى فى السموات " ٣ "

" فى ذلك الوقت اجاب يسوع وقال احمذك ايها الآب رب السماء والارض لانتك
أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للاطفال نعم ايها الآب لأن هكذا
صارت المسرة امامك كل شىء قد دفع الى من ابنى وليس احد يعرف الابن الا الآب
ولا احد يعرف الآب الا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له " ٤ "

" ... فأجاب رئيس الكهنة وقال له استحلطك بالله الحى ان تقول لنا هل انت
المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع انت قلت "

" وكذلك المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين يانا قس الهيكل
وبانيه فى ثلاثة ايام خلص نفسك انج كنت ابن الله فانزل عن الصليب " ٥ "

-
- | | |
|-------|------------------|
| (١) | متى ٣ : ١٦ — ١٧ |
| (٢) | متى ٤ : ٢ — ١٠ |
| (٣) | متى ٧ : ٢١ |
| (٤) | متى ١١ : ٢٥ — ١٧ |
| (٥) | متى ٢٦ : ٦٣ — ٦٤ |
| (٦) | متى ٢٧ : ٣٩ — ٤٠ |

" قد اتكل على الله فليُنقذه الآن ان اراده لانه قال انا ابن الله ومذ لك كان اللسان اللذان صليها معه يعيرانه " ١

" واما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان خافسوا جدا وقالوا حقًا كان هذا ابن الله " ٢

هذه النصوص مع نصوص أخرى مشابهة لها في الالفاظ والمعاني ، هي التي يجد المسيحيون فيها الدلالة الواضحة على بنوة المسيح لله تعالى ، وهي نصوص لا تختلف في دلالتها مع النصوص التي تدل على بنوة المؤمنين لله ، وهي نصوص تتفق مع ما ورد في حق المسيح في اللفظ بحيث لا يمكن التفريق بين النصوص كلها سواء في ارادة المعنى المجازي بها أو المعنى اللغوي .

وستأتى مناقشة هذه النصوص بنصوص وردت في حق غير المسيح ، طما بأن تلك النصوص كلها واردة في الاناجيل الأربعة .

(١) متى ٢٧ : ٤٣

(٢) متى ٢٧ : ٥٤

الروح القدس

سبق ان بينا ان المسيحيين يؤمنون بوجود الله تعالى وأبوته للمسيح كما يؤمنون ببنة المسيح له ، وبالإضافة الى هذين الإيماني ، فأنهم يؤمنون بانبثاق الروح القدس من الآب وحدة أو من الآب والابن معا على اختلاف فسي ذلك بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية "١"

اما شخصية الروح القدس ، فمن الصعب تصورها تصورا يبين هويتها والروح القدس الذي يعتبر الركن الثالث في الايمان المسيحي يصفه القس الياس مقار بقوله :

" والروح القدس هو ذات الله وشخصه " ٠٠٠ وان كان قد وجدت تلك القلة الضئيلة التي زعت مع اريوس أنه دون الله ، او ما كيدونيوس سنة ٣٦١ م ، والقاتل بأنه قوة الله وليس شخص الله ذاته ٠٠٠ او تلك التي لم تتكز لا هوتته وان كانت قد انكرت أقنوميته في ذات الله كسباليوس وأشياحه وأذناه من الموحدين ممن ينكرون فكرة وعقيدة الثالوث عند المسيحيين ٠٠ ولكن الرأي الثابت والدائم في الكنيسة المسيحية على مختلف العصور هو ان الروح القدس ذات الله ، وهو الأتوم الثالث شخص اللاهوت العظيم " ٢ "

وهنا يصح القول الياس بأن الروح القدس هو ذات الله وشخصه ولكن بعد هذا كله ، نجده يصح بأن من الصعوبة بمكان فهم الروح القدس فهما كذلك الذي يمكن ان يحصل بالنسبة لشخص الآب أو الابن فيقول :

" ولعل مرجح الصعوبة في فهم الروح كشخص وكأقنوم ، قائم في ذات التعبير أو اللفظ " الروح " اذ ليس من السهل على المرء ان يتصور شخص هذا الروح كما يتصور شخص الآب او شخص الابن ، فالإنسان يمكنه مثلا ان يتبع بالخيال او الفكر شخص الله الآب الصانع أو الخالق العظيم أو المعتنى أو الحارس أو الضامن أو الضابط للكون ، كما يمكنه ان يتبع شخص المسيح ابن الله الحي ٠٠٠٠٠٠٠٠

(١) راجع تاريخ الكنيسة تأليف : موريس يقا ريني ترجمة الأب ج . عتيق اليسوعي

ج ٢ ص ٢٢ - ٢٣

(٢) إيماني او قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١

أما الروح القدس قلعل من الصعب تصويره بذات السهولة واليسر سواء في شخصه أو في أعماله ، ومن ثم جنح الخيال القاصر الاحتمق لهذه الفئة المتباعدة المتناثرة في التاريخ الى تصور أنه اله من دون الله ، أو قوة من قوى الله أو سفة قائمة في شخص الله أو ما اشبه " ١ " .

وللهو الروح القدس عند المسيحيين القاب متعددة يشير كل واحد منها الى عمله الذي يختص به دون الآب والابن ، وهذه الالقاب هي :

١ — الروح القدس : وهو أشهر الالقاب ، وهو يعني — بالإضافة الى التسمي والتعالى والطهر — ما يفعله الروح في البشر من تبكيت وطم مهاده للشر والأثم .

٢ — الروح المعزى : ويعنى هذا اللقب ان الروح القدس يقف الى جوار من يؤمن به للدفاع عنه مما يعزى ويقوى النفس البشرية .

٣ — روح الحق : وهذا اللقب يدل على ان الروح القدس يرشد الى الحق ويقنع النفس به ويقود اليه .

٤ — الروح المبكيت : وسمى بهذا لأنه يبكيت على المعاصى ويقنع النفس بفساد الخطيئة ويوبخها على ارتكاب الآثام .

٥ — روح الإلهام : وهذا اللقب يعنى ان الروح القدس — بالإضافة الى كونه روح الرعى والاعلان للانبيا والرسل وكتاب الرعى — يلهم البشر ويعينهم على الخير ويفنص قلوبهم .

٦ — روح القوة : ويعنى هذا اللقب أن الروح القدس هو روح القوة في العالم وهو روح القوة الجسدية والنفسية في البشر " ٢ " .

أما أعمال الروح القدس التي يختص بها من دون الآب والابن فهي العمل في الخليقة عموما وفي الناطقة منها على وجه الخصوص بإرسال من الآب والابن معا ، وهو الذي لا يمكن ان يكون تقديس الا به ، كما لا يمكن ان يوجد التهنسى

(١) ايماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١ — ١٨٢ .

(٢) راجع شرح اصول الايمان ج ١ ص ٥٧ وما بعدها وانظر : ايماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨٤ وما بعدها

الا من الآب ، وكما لا تحصل الكفارة الا بالابن •

الاقانيم

يطلق المسيحيون هذه الكلمة على ما سبق ان عرفنا بالآب والابن والروح القدس ، وهذه الكلمة مفرد ها اقنوم وهى كلمة يونانية يصهر بها المسيحيون من شخصية كل من الآب والابن والروح القدس مع اشتراكهم فى الجوهر الواحد غير المتجزى •

ويحتفظون — فى استعمالهم لهذه الكلمة — من كلمة (شخص) العربية لكونها تعنى الشخصية المنفصلة بعضها عن بعض فى الجوهر •

يقول عوض سمعان : " فكلما " الاقانيم " تختلف كل الاختلاف عن كلمة (الاشخاص) من ناحيتين رئيسيتين :

الاولى : أن الاشخاص هم الذوات المنفصل احدهم عن الآخر •
أما الاقانيم فهم ذات واحدة هى ذات الله •

الثانية : ان الاشخاص — وان كانوا يشتركون فى الطبيعة الواحدة — الا انه ليس لاحد هم ذات خواص او صفات او مميزات الآخر •

أما الاقانيم فمع تميز احدهم عن الآخر فى الاقنومية ، هم واحد فى الجوهر بكل صفاته وخواصه ومميزاته لأنهم ذات الله الواحد " ١ " •

ويرى البعض الآخر من المسيحيين أن كلمة اقنوم وشخص هما بمعنى واحد ، وطيه فان ما يقال من فرق بين الكلمتين ليس مجمعا عليه بين المسيحيين •

ثم ان المسيحيين يقولون بأن كل واحد من هذه الاقانيم له الطبيعة الالهية الكاملة ، ويرون عدم تعدد الطبيعة بتعدد الاقانيم •

(١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص ١٢٢ •

ويقول الأب بولس الياس اليسوعي :

" ان الطبائع لا تتعدد حتى عندما تتعدد الاقانيم ، ولو تعددت الطبائع في الثالث الاقدس لكان لنا ثلاثة الهة يستقل احدهم عن الآخر وهذا منتهى السخافة " ١ "

ويقول ايضا في توضيح الفرق بين الاقنوم والطبيعة في تعليقه على هذه

المسألة :

عندما اقول : أنا رجل ، هو ملاك ، اضى بعبارة انا وهو ، اقنوما او شخصا ، وعبارة رجل وملاك ، طبيعة ، دلالة على اني املاك طبيعة بشرية ، وهو يملك طبيعة ملائكية . فالشخص مالك والطبيعة مملوك . وهكذا يتجلى الفرق بين الاقنوم والطبيعة " ١ "

تعليم

البنوة والابوة الواردتان في الاناجيل ما معناهما ؟

الأصل في الألفاظ ، ان تدل على معانيها اللغوية من غير حاجة الى قرينة تؤيد ما دلت عليه ، اذ انها وضعت للدلالة على تلك المعاني بلا قرينة تنضم اليها . وقد يجنح المتكلم عن المعنى اللغوي الى معنى مجازي لعلاقة بين المعنى الأصلي الموضوع له اللفظ ، والمعنى المجازي الذي اراده ، ولا بد في هذه الحالة من قرينة تدل على ارادة المعنى المجازي .

وعلى ضوء هذه القاعدة ، ننظر الى لفظتي (الابوة والبنوة) الواردتين في الاناجيل الاربعة مرادا بكلمة الابن المسيح تارة والمؤمنون به تارة أخرى ، ومضافة في كلتا الحالتين الى الله سبحانه ، كما وردت لفظة الأب مرادا بها الله سبحانه ومضافة الى المسيح تارة والى المؤمنين به تارة أخرى ، وعلى هذا ، فليس استعمال هذين اللفظين قاصرا على المسيح في كلتا الحالتين : (حالة اضافة كلمة " ابن " وحالة اضافة كلمة " أب " . وكذلك وردت هاتان الكلمتان مقطوعتين

(١) يسوع المسيح شخصيته تعالىمه ص ٧٨ .

عن الاضافة • "١" •

ولقد وردت هاتان الكلمتان في حق غير المسيح نحو من خمس وعشرين مرة
في الانجيل الأربعة ، كما وردت في حق المسيح نحو من مائة وتسع عشرة مرة مضافة
وغير مضافة •

وبما ان بعض النصوص الدالة على نبوة المسيح للآب وابوة الآب له قد سبق
عرضها في المبحث الأول من الفصل الثالث في الباب الأول فاثنا نورد بعض النصوص
الدالة على عدم اختصاص المسيح بالنبوة في الانجيل الأربعة ، فنقول وبالله التوفيق :

أولاً : من انجيل متى :

" فليضي نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذي
في السموات " "٢"

ثانياً : من انجيل مرقس :

" ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على احد شيء لكي يغفر لكم ايضاً ابوكم الذي
في السموات زلاتكم وان لم تغفروا انتم ، لا يغفر ابوكم الذي في السموات ايضاً زلاتكم " "٣"

ثالثاً : من انجيل لوقا :

" متى صليتم فقولوا ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك " "٤"

رابعاً : من انجيل يوحنا :

" ... قيافا تنبأ ان يسوع مزعج ان يموت عن الامة ، وليس عن الامة فقط ، بل ليجمع
ابناء الله المتفرقين الى واحد " "٥"

(١) أعني كلمة الآب وكلمة : الابن ولكن الملاحظ ان كلمة الآب عند قطعها
عن الاضافة لا يقتصر معناها على ابوته للمسيح ، لاعتقاد المسيحيين الابوة
العامة للمؤمنين •

(٢) متى ٦: ٥

(٣) مرقس ١١ : ٢٥ - ٢٦

(٤) لوقا ١١ : ١١

(٥) يوحنا ١١ : ٥١ - ٥٢

هذا بعض ما ورد من اطلاق هاتين الكلمتين فى الاناجيل. الأربعة فى حق غير المسيح عليه السلام ، وقد اقتضت على هذه الأربعة مع ورودها بكثرة فى الاناجيل وذلك مخافة الاطالة ، ولأن ما تركت عرضه هنا لا يخالف هذه النصوص الأربعة فى دلالة على ما نحن بصدده ، وهو الاستدلال على عدم اختصاص المسيح بالبنوة سواء كان معنى الكلمة مجازيا ، وهو الحق ، أو حقيقيا ، وهو ما لا نوافق عليه على الإطلاق .

كيف يوجه المسيحيون معنى الكلمتين على كلا الاستعمالين ؟

يرى المسيحيون أن الأبوة والبنوة حينما يردان فى حق المسيح ، فالمسراد منهما المعنى الحقيقى الذى تدل عليه الكلمة بالوضع .
وأما عند ورودهما فى حق غير المسيح ، فإن الأمر يختلف عن ذلك ، لأن بنوة غير المسيح ، بنوة غير طبيعية ، لذلك ، فهى مكتسبة غير مؤصلة .

يقول القس منيس عبد النور : " يتحدث الكتاب المقدس عن ان المؤمنين هم أيضا أبناء الله ، المؤمنون يخاطبون الله على انه الآب السماوى بدالة البنين قائلين يا أبى الآب . . . كما ان المسيح خاطب الآب السماوى بدالة الابن قائلا يا أبى الآب . . . لكن الفرق الكبير بين المؤمنين كأبناء الله ، وبين المسيح ، كابن الله ، هو ، ان بنوة المؤمنين مكتسبة انعم الله بها عليهم . . . أما بنوة المسيح ، فهى ازلية اصلية " ١
ثم يؤكد القس منيس الفرق بين الاستعمالين بقوله : " . . . الفرق الأول ، ان المسيح ابن الله من الأصل بالطبيعة منذ الأزل . . . اما المؤمن فهو ابن بالتبني اذ رضى الله فى رحمته ان يجعله ابنا له " ٢

وفى تفسير آخر لمعنى البنوة فى حق غير المسيح ، يقول القس فايز فارس :
" لقد اطلق هذا الوصف على الملائكة فى قول الرب لايوب : " أين كنت حين اسست الأرض . . . عندما ترنمت كواكب المصباح مغا وهتف جميع بنى الله " . . . وذلك

(١) القاب المسيح ص ١٩

(٢) القاب المسيح ص ٢٠

باعتبار الملائكة مخلوقون من الله على رتبة سامية ، ومحفوظون بالله في حالة المجد والقداسة وقد نلقب البشر جميعهم بأنهم أبناء الله ، بمعنى أنهم مخلوقون على صورة الله وشبهه ، لكن هذا اللقب زال عن الانسان عند سقوطه وعيانه وصية الله وبذلك صار البشر أبناء إبليس لأنهم يحملون مشيئته " ١ " .

بهذه النصوص يتبين لنا كيف أن المسيحيين يوجهون معنى الآبوة والبنوة على كلا الاستعماليين ، وكيف أنهم يوجدون فرقا في المعاني مع توافق المباني ، وعدم وجود فارق يسوغ ما ذهبوا اليه من معنى الكلمتين .

لقد وردت كلمة ابن الله في حق المسيح كما وردت كلمة أبناء الله في حق غير المسيح . ووردت كلمة أب مضافة إلى المسيح ، ومضافة إلى غير المسيح ، كما وردت الكلمتان " الأب والابن " مقطوعتين عن الإضافة ، وفي هذه الحالة الأخيرة تبقى كلمة أب دالة على الآبوة الشاملة ، وذلك لورود هذه الكلمة في حق المسيح وغيره في نصوص العهد الجديد ، ولعدم وجود مرجح للمعنى الخاص .

وعلى هذا فيجب على المسيحيين أن يعترفوا بواحد من أمرين لا ثالث لهما :

١ — أما أن يعتبروا أن اللفظين استعمالا استعمالا لخوا في حق المسيح وغيره من غير تفريق بين الاستعماليين ، فتكون الآبوة والبنوة حقيقتين في حق الجميع وعلى هذا المعنى ، فليقولوا ببنوة غير المسيح الحقيقية والوهيتهم ، كما قالوا ببنوة المسيح الحقيقية والوهيته ، لأن كثرة ورود هاتين الكلمتين في حق المسيح وغيره ، وعدم وجود قرينة تسوغ التفريق بين الاستعماليين ، يحتمان القول بعدم التفريق .

٢ — وأما أن يعتبروا أن اللفظين استعمالا استعمالا مجازيا في حق غير المسيح وحق المسيح على السواء ، لأنه لا دليل على التفريق أيضا ، ولأن الخصائص البشرية الموجودة في غير المسيح ، متوفرة في المسيح أيضا ، وطيه ، فليقولوا ببشرية المسيح وعدم الوهيته وبنوته لله على وجه الحقيقة . ولا فيكون الحال تفريقا بين متماثلين من غير دليل ، يرجح ذلك التفريق ، بل الدليل قائم على بطلان هذا التفريق .

وإذا تأمل المرء في الاناجيل الأربعة ، يجدها تزخر باطلاق لفظ ابن الانسان على المسيح طيه السلام ، وقد كان المسيح يحب ان يطلق على نفسه هذا اللقب .

وكل من قرأ الاناجيل الأربعة وتصفحها ، لا يجد للمسيح كلاما يدل على انه ابن الله بنوة حقيقية ، كما لا يجد فيها ايضاً أن المسيح اطلق على نفسه كلمة " ابن الله " ، ولكن الوارد في الاناجيل الأربعة على لسانه قوله : " ابي " ، و " ابيها الآب " و " الابن " و " الآب " . واما ما ورد في الاناجيل من اطلاق كلمة " ابن الله " على المسيح ، فقد جاء على السنة الناس الذين اطلقوها طيه ، اما على طريقة الاستفهام ، كقول رئيس الكهنة له : " هل انت المسيح ابن الله ؟ " واما على سبيل التهمك ، كقول الشيطان له : " ان كنت ابن الله فاطح نفسك الى اسفل " ^١ وقول المجتازين طيه عند صليبه — كما يعتقدون — : " ان كنت ابن الله فانزل عن الصليب " ^٢ .

ومما يدل على ان هذا اللقب لم يطلقه المسيح على نفسه ، رده على رئيس الكهنة حينما سأله هل انت المسيح ابن الله ؟ ، بقوله : " انت قلت " ^٣ ورده على السائلين الآخرين بقوله : " انتم تقولون اني انا هو " ^٤ ، ومعنى هذا ، ان بنوة المسيح لله ، أمر قاله الناس عنه فقط ، ولم يكن ذلك صادراً عنه ، وهو امر نلص اثره في الاناجيل الأربعة عند تصفحها ، ولا يوجد فيها نص صريح عن المسيح يدل على البنوة الحقيقية التي يتمسك بها مؤلهو المسيح .

ومع هذا ، فان كثرة ما ورد في الاناجيل على لسان المسيح من أنه ابن الانسان ، تدفعنا ما ذهب اليه المسيحيون ، فقد وردت عبارة ابن الانسان في الاناجيل الأربعة

-
- (١) متى الاصحاح ٢٦ : ٦٣
 - (٢) متى الاصحاح ٤ : ٦
 - (٣) متى الاصحاح ٢٧ : ٤٣
 - (٤) متى الاصحاح ٢٦ : ٦٤
 - (٥) لوقا الاصحاح ٢٢ : ٧٠ وهذا اختلاف بين هذا الرد المذكور في متى ولوقا ورد آخر في مرقس وهو : " فقال يسوع انا هو " مما يدل على تضارب بين الاناجيل نفسها في القضية الواحدة . (مرقس ١٤ : ٦٢)

في اكثر من ثمانين موضعا منها ، اضيف الى هذا العدد ما ورد فيها على لسان معاصريه من انه وانسان مرسل من قبل الله عز وجل " ١ "

يقول القس منيس عبد النور : " كان المسيح يحب ان يلقب نفسه " ابي-
الانسان " وقد استعمله هو دائما على نفسه اكثر من ٣٠ مرة في انجيل متى ، و ١٥
مرة في انجيل مرقس ، ٢٥ مرة في انجيل لوقا ، وحوالي ١٢ مرة في انجيل
يوحنا " ٢ " .

ومع محبة المسيح لقب ابن الانسان ، فان المسيحيين اعتبروا هذا تواضعا
منه ليس الا ، ولم يعيروا اى اهتمام لكثرة ما ورد من هذا اللقب على لسانه طيبه
السلام .

وفي تفسير معنى هذا اللقب يقول القس منيس عبد النور :

" والآن ، ما هو قصد المسيح من هذا اللقب الذى كان يحبه واستعمله كثيرا ؟ . .
وما هو المعنى الموجود فيه ؟ . . . ما اجمل تواضع المسيح وهو يحسب نفسه
واحدا من البشر بعد ان اخلى نفسه من مجده وصار مثل واحد من الناس ، ما عدا
الخطيئة . لم يقل المسيح عن نفسه انه ابن النجار ، او ابن اليهود . لكنه كان
يحب ان يلقب نفسه بلقب ابن الانسان ، لانه اراد ان يحسب نفسه من البشر
كلهم " ٣ " .

كيف يقال ان هذا تواضع من المسيح مع اعتقاد الوهيته ؟ كيف يتواضع
الاله مع ان المفروض في حقه ، ان يبين للناس مظاهر الوهيته وروبيته ، وذلك ،
حتى لا يكون اى اختلاف بين العباد حول هويته ، وهو ما حدث بالفعل حول
شخصية المسيح ، فالتواضع ليس صفة من صفات الاله ، ولكنه صفة من صفات العباد
الذين يرجون من تواضعهم ثواب الله ، وما دام المسيح الهيا يستحق العبادة ،
والتواضع له ، فلمن يتواضع هذا الاله في نظر المسيحيين ؟ ولماذا لم يرد

(١) كما ورد في انجيل يوحنا " فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع ، قالوا
ان هذا هو بالحقيقة النبى الذى الى العالم يوحنا ٦ : ١٤

(٢) . القاب المسيح ص ٢٨

(٣) نفس المصدر ص ٢٨ - ٢٩

على لسانه "لقب ابن الله" بهذه الصورة من الكثرة ؟

ومجرد ورود هذه الكلمة في الاناجيل على فرض صحة نسبتها الى المسيح ، لا يدل على المعنى الحرفي للكلمة لانه عليه السلام ، فسر مراده بهذه الكلمة لليهود حينما ضرب لهم مثلا بعد ان اراد اليهود رجمه بقوله : " أعمالا كثيرة حسنة أرىكم من عند ابي بسبب اى عمل منها ترجموننى ؟ أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك من اجل عمل حسن ، بل لاجل تحديف ، قانت — وانت انسان — تجعل نفسك الهيا . أجابهم يسوع ، أليس مكتوبا فى ناموسكم : أنى قلت انكم الهة ؟ ، فان قال لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله ، ولا يمكن ان ينقض المكتوب ، فالذى قدسه الآب ، وأرسله الى العالم اتقولون له انك تجدف لأننى قلت انى ابن الله " ١ "

فدل كلامه هذا على انه لا يريد بهذه الكلمة سوى المعنى المجازى ، كما يدل على انه لم يطلق على نفسه كلمة ابن الانسان تواضعا ولا عدا لنفسه ابنا لكل الاجناس البشرية ، ولكنه قال ذلك جهرا بالحق الذى تعود ان يجهريه ، لما لمس فى معاصريه من ميل الى نسبته الى الله على وجه الحقيقة ، لئلا يكون نزاع فى حقه بعد هذا الهيئان الواضح المتكرر منه عليه السلام . ولكن الله غالب على امره ، فصار ما صار من تأليهه ونسبته الى الله خلافا لادلة القائمة على بشريته . وكل من امعن النظر فى الاناجيل الأربعة يجد فيها ما يؤكد بشرية المسيح ورسالته من قبل الله عز وجل ، وينافى الوهيته وينوته لله ، ورغم ان النصارى يستدلون بالاناجيل الأربعة وغيرها على ذلك ، فان ما يدل منها على بشريته وعدم الوهيته أكثر وأوضح مما يستدلون به .

اقتومية الآب ولاهوتيه :

على الرغم من ان المسيحيين يحاولون اثبات اقتومية الآب ، فان ذلك مما لا وجود له البتة في العهدين ، القديم ، والجديد ، ولكن الشئ الوحيد الذى يمكن استنباطه منهما ، هو الدلالة على الوهية الله ووحديته الحق ، ونصوص العهدين الدالة على الوحدانية غنية من التعليق لوضوحها وصراحتها فى الفاظها ومعانيها ، ولم تكن رموزا وطلاسم على غرار تلك النصوص التى يحاول المسيحيون الاستدلال بها على اقتومية والوهية المسيح والروح القدس على الرغم من ركافة ألفاظها وغموض معانيها وهذه النصوص الدالة على وحدانية الله . فى الوهيته وربوبيته ترد على المسيحيين اعتقادهم بالوهية المسيح والروح القدس .

جاء فى سفر الخروج من العهد القديم قوله : " ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا انا الرب الهك الذى اخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى امامى لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السما وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهم ولا تعبدهم لاني انا الرب الهك اله غيور اهتم ذنوب الآباء فى الابناء فى الجيل الثالث والرابع من من مبعضى " ١

" فانك لا تسجد لاله آخر لأن الرب اسمه غيور اله غيور هو " ٢
" اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد " ٣

" الرب الهك تتقى وایاه تعبد واسمه تحلف لا تسيرها ورا الهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم لأن الرب الهكم غيور فى وسطكم لئلا يحمى غضب الرب الهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض " ٤

هذه هى نصوص العهد القديم تنطق بالحق وتشهد به وهو الوهية الله الواحد وعدم الوهية غيره كائننا من كان مما فى الأرض أو فى السما ، وهى بوضوحها

(١) خروج ٢٠ : ١ - ٥

(٢) خروج ٣٤ : ١٤

(٣) تثنية ٦ : ٤

(٤) تثنية ٦ : ١٣ - ١٥

فى الفاظها ومعانيها تغضى الباحث عن غناء التعليق والنظر والتوقف • ولقد ناقشناهم هنا بنصوص من العهد القديم نظرا لايمانهم به ، وان كلاً منّا معهم لا يقتصر على ما فى الانجيل • بل يمتد الى العهد القديم لايمانهم به مع العهد الجديد

وما دنا قد رأينا هذه النصوص الدالة على الوهية الله ووحديته من العهد القديم فان من الأفضل ان نذكر بعض نصوص من العهد الجديد لنرى ما اذا كانت آثار الوحدة الالهية باقية فيها كما لمسا ذلك فى العهد القديم أو لا •

جاء فى انجيل متى على لسان المسيح قوله فى رده على الشيطان عندما دعا الى القاء نفسه من مكان عال : " مكتوب ايضا لا تجرب الرب الهك " وجاء فيه كذالك قوله للشيطان حينما طلب ان يسجد له : " اذهب يا شيطان لانه مكتوب للمسيح الهك تسجد واياه وحده تعبد " ، وعندما سأل المسيح عن أولى الوصايا العشر أفاد بأن ذلك " اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد " •

وهذه النصوص الانجيلية أيضا غنية عن التعليق لما دلت عليه بوضوح وجلاء من دعوة المسيح الى عبادة الله والوهيته الحققة ، واعترافه بأنه عبد من عبياده المرسلين ، وليس فى هذا اختلاف بين نصوص العهد القديم ، ونصوص العهد الجديد ولعل هذه النصوص وأشباهاها فى العهدين هى خلاصة مابقى من تعاليم موسى وعيسى ضد اهل الكتاب •

الفصل الرابع : فى التثليث

- * ألوهية الابن وأقوميته
- * أدلتها من العهد الجديد
- * أدلتها من العهد القديم
- * ألوهية الروح القدس وأقوميته
- * ألوهية الأب وأقوميته
- * أدلتها من العهد القديم
- * أدلتها من الاناجيل.
- * وحدة الاقانيم
- * تاريخ التثليث فى النصرانية
- * مناقشة ادلة النصارى على التثليث

التثليث فى نظر النصارى

أولا : ألوهية الابن

سبق ان ذكرنا فيما مضى ، أن المسيحيين يؤمنون بوجود الله تعالى ، وأنهم يؤمنون كذلك ببنة المسيح لله تعالى ، وبأقومية الروح القدس ، وتضحست هناك بعض الخصائص والمميزات التى تنسب الى كل واحد من هذه الاقانيم الثلاثة .

وبقى أن نعرف مفهوم كلمة " الله " عند المسيحيين وما اذا كان المسيحيون يؤمنون بالوحدانية الالهية فى ايمانهم بوجود الله تعالى .

هذا ما تهدف الى بحثه وايضاحه فى هذا المبحث ، وهذا المبحث — وان كان امتدادا لمباحث الفصلين السابقين قبله — يعتبر توضيحا وتشخيصا لما سبق ان عرفناه هناك ، كما يعتبر ثمرة ذينك الفصلين وخلاصتهما .

ولعل ما سبق عرضه هناك ، أو شك أن ينبىء بمعنى هذا المبحث الذى افردنا له فصلا لاهميته . وما أن الحكم على الشئ فرع عن تصويره ، وأن التصوير لمعنى التثليث ، لا يمكن ان يحصل الا بالرجوع الى المراجع المسيحية ، لذلك ، فاقنا سنرجع الى ما كتبه المسيحيون أنفسهم فى هذا الموضوع ، حتى يتبين ويتضح ، ويكون حكمنا عليهم من كتاباتهم .

فأقول والله التوفيق .

لقد عد المسيحيون فى ايراد النصوص المثبتة لعقيدة التثليث الى ترتيب معين ، ذلك انهم يوردون أولا ، ما ثبت اقومية الابن ولاهوته ، ثم ما ثبت اقومية الروح القدس ولاهوته ، ثم ما ثبت اقومية الآب ولاهوته ، ثم ما يذكر فيه كل واحد ممن الاقانيم الثلاثة ، وأخيرا ، ما يذكر فيه الاقانيم الثلاثة معا . " ١ " ومفهوم كلمة " الله " عندهم هو ، هذه الاقانيم الثلاثة .

وجاء في شرح أصول الايمان قوله : " ان لاهوت الابن يشهد من آيات عديدة تقتصر على ايراد بعضها بالترتيب الآتي : أولا : لكون الالفاظ الالهية قد نسبت اليه ثانيا : لكون الكلمات الالهية قد نسبت اليه . ثالثا : لكون الاعمال الالهية قد نسبت اليه . رابعا : لكون العبادة الالهية قد أمرنا بتقديمها اليه " ١

أما النصوص التي تثبت لاهوت المسيح في نظرهم ، فهي عين تلك النصوص التي سبق عرضها في الاستدلال على بنوة المسيح لله ، لذلك ، فلاداعي الى ايرادها مرة أخرى . والنصوص التي تنسب الى المسيح الكلمات الالهية في نظرهم ، فنوردها هنا :

منها وصفه بالآزلية :

يقول يوحنا في انجيله ، " في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله " ٢
كما وصف المسيح نفسه بالآزلية فيما حكاه يوحنا ايضا بقوله لليهود : " الحق اقول لكم قبل ان يكون ابراهيم انا كائن " ٣

ومنها ما وصفه بعدم التغير :

من ذلك ما جاء في الرسالة الى العبرانيين اذ جاء فيها : " وأنت يا رب في البدء أسست الأرض ، والسموات هي عمل يديك ، هي تبدي ، ولكن انت تبقى ، وكلها كتوب تبلى ، وكرداء تطويها فتتغير ، ولكن انت انت وسنوك لن تفتنى " ٤
وجاء في الرسالة أيضا : " يسوع المسيح هو هو أصلا ، واليوم والى الأبد " ٥

ومنها وصفه بالحضور في كل مكان :

يقول يوحنا : " وليس احد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابسن الانسان الذي هو في السماء " ٦

-
- (١) نفس المصدر ج ١ ص ٤٨ (شرح اصول الايمان)
 - (٢) يوحنا ١ : ١ - ٢
 - (٣) يوحنا ٨ : ٥٧
 - (٤) عبرانيين ١ : ١٠ - ١٢
 - (٥) عبرانيين ١٣ : ٨
 - (٦) يوحنا ٣ : ١٣

ويقول متى وهو يحكى عن المسيح قوله : " وأقول لكم ايضا : ان اتفق
اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه ، فانه يكون لهما من قبل ابنى
الذى فى السموات ، لانه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى ، فهناك
أكون فى وسطهم " ١

ومنها وصفه بأنه عالم بكل شىء :

يقول متى حكاية عن المسيح : " كل شىء قد دفع الى من ابنى ، وليس
احد يعرف الابن الا الآب ، ولا احد يعرف الآب الا الابن ، ومن اراد
الابن ان يعلن له " ٢

ومنها الخلق واحيا الموتى ومجازاة الخلق يوم الحساب :

ومما يستندون اليه فى قولهم بأنه ديان الخلق اجمعين ، قوله لليهوذا
فى انجيل يوحنا : " لأن الآب لا يدين أحدا ، بل قد اعطى الدينونة
للابن ، لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب ، من لا يكرم الابن ، لا
يكرم الآب الذى ارسله " ٣

ومنها وصفه بالقدر على كل شىء :

كما جاء فى الرسالة الى العبرانيين : " الله يعد ما كلم الانبياء بالانبياء
قد يما ، بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الايام الاخيرة فى ابنه الذى
جعله وارثا لكل شىء ، الذى به ايضا عمل العالمين ، الذى هو بهاء مجده
ورسم جوهريه ، وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته ، بعد ما صنع نفسه تطهيراً
لخطايانا ، جلس فى يمين العظمة فى الاعلى " ٤

بهذه النصوص وغيرها مما لم نذكره هناك يستدل النصارى على الوهية المسيح ،
وبالاضافة الى هذه النصوص ، فثم نصوص أخرى يستدلون بها على ذلك ، كالآمر بتقديم
العبادة له ، وذلك يدل على الوهية فى نظرهم *

(١) متى ١٨ : ١٩ — ٢٠

(٢) متى ١١ : ٢٧

(٣) يوحنا : ٢٢ — ٢٣

(٤) عبرانيين ١ : ١ — ٣

ومما جاء في الأمر بحيادته : ما جاء في انجيل متى على لسان المسيح وهو يخاطب تلاميذه : " فاذ هيوا وتلمذوا جميع الأمم وعدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " ^١

ويعد ، فهذه بعض أدلتهم من العهد الجديد على الوهية المسيح ، ولسم نورد ها على سبيل الاستقصاء خشية الاطالة ، ولأن ما تركناه منها ، لم يكن أكثر دلالة على ما ذهبوا اليه من هذا المعتقد . لهذا نعود الى عرض أدلتهم على ذلك من العهد القديم ، فنقول :

العهد القديم والوهية المسيح :

لا يقتصر المسيحيون في الاستدلال على الوهية المسيح على ما ورد في العهد الجديد ، بل يستدلون ايضا من العهد القديم بالنصوص الآتية :

" في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم بحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحطهم كل الأيام القديمة " ^٢

في هذا النص يرى المسيحيون ان المراد بقوله : " ملاك حضرته " هو المسيح كما يرون لهم دليلا على ذلك بما جاء في سفر اشعيا ايضا :
" لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعوه اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أبا أبديا رئيس السلام " ^٣

وفيه ايضا قوله :

" ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ، ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل . زيدا وصلا يأكل " ^٤

وما ورد في المزامير ايضا من قوله :

" قال الرب الرب اجلس عن يميني حتى اضح اعداءك موطننا لقد منك " ^٥

-
- (١) متى ١٨ : ١٩
 - (٢) اشعيا ٦٣ : ٩
 - (٣) اشعيا ٩ : ٦
 - (٤) اشعيا ٧ : ١٤ - ١٥
 - (٥) مزامير ١١٠ : ١

وما جاء في سفر الامثال ايضا على لسان سليمان :

" انى ابلد من كل انسان وليس لى فهم انسان ولم اتعلم الحكمة
ولم اعرف معرفة القدس ، من صعد الى السموات ونزل • من جمع
الريح فى حفثيه • من صر المياه فى ثوب • من ثبت جميع اطراف
الأرض • ما اسمه • وما اسم ابنه ان عرفت " ١ "

وجاء فى ميخا قوله :

" أما انت يا بهت لحم أفراته وانت صغيرة أن تكون بين الوف
يهودا فمناك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه
منذ القديم منذ ايام الأزل " ٢ "

هذا ما يورده المسيحيون دليلا على الوهية المسيح من العهد القديم ، وهى لا
تعد وأن تكون رموزا يرى المسيحيون حلها فى شخص المسيح

ثانيا : أقنومية الروح القدس والوهيته

أشرت فيما مضى عند الكلام عن الاقانيم الثلاثة الى أن الروح القدس احد
تلك الاقانيم الثلاثة ، وأن من الصعب تصور شخصية الروح القدس هذه المسيحيين
ونقلت فى ذلك كلامهم •

وهنا اذكر بجايجاز كلامهم عن الوهية الروح القدس وأقنوميته ، مع ان ما
سبق ذكره ليس ببعيد عن النصوص التى سوف اقدمها هنا •

جاء فى شرح اصول الايمان :

" ان اقنومية الروح القدس تثبت من استعمال الضمائر (انا) و (أنت) و
(هو) ، حين تكلم المسيح عن نفسه ، وعن الآب ، وعن الروح القدس وعن
تمييز المرسل والمرسل منه والتشاهد والمشهود له ، وعن ارشاد الروح القدس
للناس الى جميع الحق ، وتعليمه اياهم وتقديسه اياهم ، وفحصه قلوبهم

(١) امثال : ٣ : ٢ - ٤

(٢) ميخا : ٥ : ٢

وتبكيته اياهم ، واطنته لهم ، وشفاعته فيهم ، وتحزنته لهم " ١ " وأشار الى النصوص التالية من العهد الجديد :

" وأنا اطلب من الآب فيعطيك معزيا آخر ليمكث معكم الى الابد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه . واما انتم فتعرفونه لانه ماكث معكم ويكون فيكم " ٢ "

" لكن لانى قلت لكم هذا " ٣ " قد ملأ الحزن قلوبكم . لكننى أقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق ، لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعنى ولكن ان ذهبت أرسله اليكم . ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئته وعلى بر وطق دينونة " ٤ "

وكذلك ما ورد فى رسالة بولس الى اهل كورنثوس من قوله :

" ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعترف الأشياء الموهوبة لنا من الله . التى نتكلم بها أيضا لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية بل بما يعلمه الروح القدس قارئى الروحانيات بالروحيات " ٥ "

وما جاء فى رسالته أيضا الى اهل رومية من قوله :

" وكذلك الروح أيضا يعين ضعفائنا لأننا لسنا نعلم ما نطلب لاجله كما ينبغي لكن الروح نفسه يشفع فينا بأناات لا ينطق بها " ٦ "

(١) شرح اصول الايمان ج ١ ص ٥٩ - ٥١

(٢) يوحنا ١٤ : ١٦ - ١٧

(٣) الاشارة هنا الى صليبه وقيامه من الموتى

(٤) يوحنا ١٦ : ٦ - ٨

(٥) كورنثوس ٢ : ١٢ - ١٣

(٦) رومية ٨ : ٢٦

هذا ما يستدل به المسيحيون على اقنومية الروح القدس وشخصيته ، وأما ما يستدلون به على الوهية الروح القدس ، فهي النصوص الآتية :

" فقال بطرس يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس ، وتختلس من ثمن الحقل ، أليس وهو باق كان يبقى لك ولما بيع ألم يكن في ساطانك فما بالك وضعت فسي قلبك هذا الأمر انت لم تكذب على الناس بل على الله " . " ١ "

" لذلك كما يقول الروح القدس اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسو قلوبكم كما في الأسباط يوم التجربة في القفر حيث جبرني آباؤكم اختبروني وابصروا أعالي اربعين سنة . لذلك مقت ذلك الجبل وقلت انهم دائما يضلون في قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سبلي " . " ٢ "

وبالإضافة الى هذه النصوص هناك نصوص يستدلون بها على الوهية الروح القدس وهي اما انها تصفه بالعلم بكل شيء ، واما انها تصفه بالقدرة على كل شيء أو الحضور في كل مكان أو تأمر بتقديم العبادة له . " ٣ "

ثالثا : اقنومية الآب ولا هوته

ان الكتاب المقدس يعهده ، القديم والجديد ، يزخر بأدلة مستفيضه على الوهية الله سبحانه ، لا على اقنوميته ، ولكن المسيحيين لا يعرجون عليها في الاستدلال على الوهية الله في كثير من كتبهم ، لا اعتقادهم ان الوهية لله مسلم بها ، غير ان المسلم به في هذه المسألة الوهية فقط لا اقنوميته بالنسبة الى القانين .

إلى يكتدل المسيح من جميع جانيه ، تذكر هنا بعض النصوص الدالة على الوهية الله تعالى من العهدين القديم والجديد .

- (١) اعمال ٥ : ٣ - ٤
- (٢) عبرانيين ٣ : ٧ - ١٠
- (٣) راجع شرح اصول الايمان ج ١ ص ٥٢

أولا : نصوص من العهد القديم :

ان العهد القديم يمكن أن يستدل به على الوهية الله تعالى ضد المسيحيين ،
ذلك لانهم يؤمنون بالعهد القديم (التوراة) مع العهد الجديد . ومن النصوص
التي تفيد هذا المعنى من اسفاره ، ما ورد في سفر الخروج ، اذ يقول :

" ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا : انا الرب الهك الذى
أخرجك من ارض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى
امامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما مما فى السماء وما فى
الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهم ، ولا
تعبدهم ، لأننى انا الرب الهك اله غيور ، أفقتد ذنوب الآباء فى
الآباء ، فى الجيل الثالث والرابع من وبغضى " ١ "

" فانك لا تسجد لاله آخر ، لأن الرب اسمه اله غيور هو " ٢ "

وفى سفر اللاويين :

" لا تلتفتوا الى الأوثان وآلهة مسبوكة . لا تصنعوا لانفسكم ، انا الرب
الهكم " ٣ "

وفى سفر التثنية :

" الرب الهك تتقى ، وایاه تحب ، وباسمه تحلف ، لا تسيروا وراء
آلهة أخرى من آلهة الامم التى حولكم ، لأن الرب الهكم اله غيور
فى وسطكم ، لئلا يحى غضب الرب الهكم عليكم فیهبكم من وجه
الأرض " ٤ " اسمح يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد " ٥ "

هكذا تتوالى الأدلة على الوهية الله من العهد القديم ، وهى نصوص صريحة
فى دلالتها بحيث لا يحتاج الباحث الى تأمل ونظر فى دلالتها .

-
- | | |
|-------|-------------------|
| (١) | خروج ٢٠ : ١ - ٥ |
| (٢) | خروج ٣٤ - ١٤ |
| (٣) | لاويين ٩ : ٤ |
| (٤) | تثنية ٦ : ١٣ - ١٥ |
| (٥) | تثنية ٦ : ٤ |

ثانيا : نصوص من الاناجيل :

ان الاستدلال على الوهية الله من العهد القديم لدى المسيحيين ، تابع من ايمانهم بأن دعوة المسيح امتدادا لشرعة موسى ، ولذلك ورد عن المسيح عليه السلام قوله :

" لا تظنوا اني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل " " أ. "

وهذا النص يدل على الاعتراف المسيح بالناموس الالهي في التوراة ، وقد رأينا كيف أن العهد القديم نطق بالوهية الله ، فدل ذلك على أن العهدين يتفقان في الدلالة على الوهية الله تعالى .

ومما ورد في ذلك ما جاء في انجيل متى على لسان المسيح حينما جاء به الشيطان وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له :

" ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى اسفل ، لأن الله يوصي بك ملائكته فيحملونك على ايديهم لئلا تصطدم بحجرة "

فرد عليه المسيح بقوله :

" مكتوب ايضا لا تجرب الرب الهك . "

ثم اخذه ابليس الى جبل عال جدا وراه جميع ممالك العالم وسجد لها وقال له :

" أعطيك هذه جميعها ان خرت وسجدت لي . "

حينئذ ، قال له يسوع :

" اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد " " أ. "

فدلت هذه النصوص على الوهية الله تعالى ، وهي التي دلت عليها النصوص

السابقة ، من العهد القديم ، والتي أشار المسيح هنا بقوله :

" مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد " " أ. "

أي أن هذا أمر الهى مكتوب في التوراة لا يمكن ان يحيد عنه .

رابعاً : وحدة الاقانيم

اتضح مما مضى بحثه من المسائل ان الايمان المسيحي يركز على الاعتقاد بالوهمية الاقانيم الثلاثة ، وان تلك الاقانيم لها شخصيتها ومميزاتها ، وهنسا سوأل يطرح وهو ، هل تلك المميزات التي تخص كل واحد من الاقانيم تجعلها آلهة ثلاثة ، وأنها معا اله واحد ؟

يجيب المسيحيون على هذا السؤال بقولهم : ان الاقانيم وان كانت ثلاثة في اقنوميتها وشخصيتها — ليس لها سوى طبيعة الهية واحدة — والفرق بين — الطبيعة والاقانيم عندهم هو أن الطبيعة مطلوبة والاقانيم مألوك ، ومع هذا فان المسيحيين يرون ان كل واحد من الاقانيم يملك الطبيعة الكاملة . فمعنى هذا أن الالهية الكاملة ثلاثة ايضاً لأن الاقانيم ثلاثة ولكل واحد منها الطبيعة الالهية الكاملة . "١"

يقول القس الياس مقار :

" والايمان بوحداية الله اساس العقيدة المسيحية وقاعدتها وقد جاء هذا الايمان الى المسيحية — كما هو معلوم — من الديانة اليهودية التي اعتنقتها وتمسكت به واصرت عليه في عالم امتلا وقتئذ بما لا يعد او يحصى من الآلهة المختلفة " . "٢"

وكما سبق ان بينا فان التوراة مطلوبة بنصوص كثيرة تدل على الوهمية اله وتلك النصوص نفسها تدل على الوجدانية الالهية بعبارات صريحة ، واليهاء يشير القس الياس مقار في كلامه السابق ، وذلك لأن المسيحيين يؤمنون بالعهد القديم بالاضافة الى تمسكهم وانفرادهم بالعهد الجديد . ولكن كيف يجمع المسيحيون بين احتفاظهم بنصوص الاناجيل والتوراة التي تدل على الوجدانية الالهية اذ تقول :

" انت الاله الحقيقي وحدك " و " الرب الهنا رب واحد "

و " انت هو الاله وحدك " و " للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد "

وبين ايمانهم بالثالوث ؟ قال مسيحيون انفسهم وجدوا ان التعارض بين هذه

(١) انظر : يسوع المسيح شخصيته تعالىه ص ٧٨

(٢) ايماني او قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٦

النصوص والقول بالتثليث ظاهر ، ولكنهم يرون ان هذا التعارض ، تعارض فسى
الظاهر فقط دون ان يكون له اثر عند الدراسة العميقة .

اذن ما الحل ، أو كيف يمكن الجمع بين تلك النصوص وهذه العقيدة فسى
نظر المسيحيين ؟؟

يقول القس الياس مقار :

" ان اول اسم لله تعالى ورد فى العهد القديم هو لفظ "الوهيم"
ومن العجيب أن يجىء هذا الاسم فى الأصل العبرانى بصيغة

الجمع لا المفرد ... وقد حاول بعض المفسرين اليهود وغير اليهود أن يردوا
صيغة الجمع هذه الى التعظيم اللائق بشخص الله كما يفعل الملوك عادة عندما
يتحدثون عن انفسهم ، ولكن هذا الرأى مردود لأكثر من سبب ، اذ ان طمس
اللغات يقطعون بأن هذه العادة لم تكن معروفة فى القديم " ١ "

ثم يستدل القس الياس على عدم صحة هذه العادة عند الملوك بما ورد
فى سفر التكوين من أن فرعون تحدث الى يوسف بصيغة المتكلم المفرد ، " ٢ "
وكذلك بنوخ نصر أصدر اوامره باحضار حكما بابل تكلم بصيغة المفرد " ٣ " وان
الملك داريوس تكلم أيضا بضمير المفرد حيثما أصدر امره ببناء بيت الله فى اورشليم " ٤ "

ثم يقول القس الياس : " ان اللفظ الوهيم الذى ورد فى العهد القديم
الذى مرة يشير بجلاء الى التثليث فى شخص الله ، التثليث الذى اتضح بالتدريج
فى الاعلانات الالهية عن الله الواحد الأحد حتى اشرق نوره تماما فسى العهد
الجديد " ٥ "

ويشير القس المذكور الى ان هذه الاقانىم ليست تجليات أو مظاهر لذات
الله الواحد قائلا :

-
- | | |
|-------|--------------------------------------|
| (١) | ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٦٩ |
| (٢) | تكوين ٤١ : ٤١ |
| (٣) | دانيال ٦ : ٤ |
| (٤) | عزرا ٦ : ١١ |
| (٥) | ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٦٩ |

" وهذه الوجدانية الجذبة هي المعروفة في الكتاب باسم (الآب والابن والروح القدس) وقد التزم بها المسيحيون كإعلان عمن الاله الواحد ذي الثلاثة الاقانيم ، وليست كتجليات أو مظاهر في ذات الاله الواحد مما نفينا ونحن ندحض بدعة شباليوس ، أو كالوجدانية البسيطة التي ذهب اليها اريوس وهو ينكر مساواة الابن والروح القدس بالآب " . " ١ "

خامسة : متى وجد التثليث في المسيحية ؟

ان التثليث بشكله الحالي عند المسيحيين لم يكن معروفا عند اباؤنا ، وليس من المسلم به لدى الفرق المسيحية في القرون الأولى ، بل كان بينهم من الاختلاف حول شخصية المسيح وشخصية الروح القدس ما جعلهم يتميزون ويتبادلون العداء الصريح مما دأبهم الى عقد مجامع مسكونية أو محلية للقضاء على اسباب الاختلاف ان امكن او على المخالفين بحرمانهم وتحريم آرائهم على المجتمع المسيحي .

وكان اول خلاف ظهر في شخصية المسيح في القرن الأول المسيحي بصورة مختلفة . فطائفة تنكر ناسوت المسيح ، وأخرى تنكر صلبه وتعتقد ان شخصا آخر حل محله ، اذف الى ذلك من انكر ازلية المسيح ونوته للعه الا بالتبني الذي يقال في غيره من المؤمنين " ٢ "

وقد استمرت هذه الخلافات حول شخصية المسيح من القرن الأول الميلادي حتى بداية القرن الثالث متخذة اشكالا مختلفة ، فلما كان القرن الثالث في الريح الأول منه انعقد مجمع نيقية الأول وتمكن من القضاء على ما رآه فتنة وبدعة اطلقت بال المسيحيين مدة طويلة . ولكن القضاء طيها كان قضاء حكاما فقط ، وذلك

- (١) ايمانى او قضايا المسيحية الكبرى ص ٧٠
- (٢) راجع تاريخ الكنيسة ج ١ ص ٩٢ ج ٢ ص ٥ وما بعدها . و " التجسد " ص ٢٦ وما بعدها (للاب فرنسيس فرييه ترجمة الى العربية الاب لويجس ابادير منشورات المعهد المعادي سنة ١٩٦٢ م) .

ويصدر هذا القانون وانضمامه الى القانون النيقوي ، اتخذت المسيحية هذه الصورة التي تشاهدنا عليها اليوم ، وهي الايمان بالتثليث •

أما نص الأمانة التي اعترف المسيحيون فيها بالوهمية المسيح فهكذا :
" نؤمن بالله واحد آب ضابط الكل ، خالق جميع الأشياء المنظورة وغير المنظورة ،
وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الواحد المولود من الآب أي من جوهر الآب ،
اله عن اله ، نور من نور ، اله حق من اله حق مولود غير مخلوق ، مساو للآب في
الجوهر ، به كان كل شيء مافي السماء وما على الأرض ، الذي من اجلنا نحن البشر ،
ومن اجل خلاصنا ، نزل وتجسد وصار انسانا وتألم ، وقام في اليوم الثالث ، وصعد
الى السموات ، وسوف يأتي ليدين الاحياء ، والأموات ، وبالروح القدس . " ١

هذه الأمانة هي التي اسست القول بالوهمية المسيح بعد ان لم تكن قبل ذلك
التاريخ ، كما يعلم ذلك من أسباب انعقاد المجمع النيقوي •

سادسا : مناقشة ادلة المسيحيين على التثليث

تصورنا فيما سبق معنى التثليث وادلته عند المسيحيين ، وهنا نحاول مناقشة
رأيهم وأدلتهم ، على ضوء الادلة الانجيلية والتوراتية التي تنافي القول بالتثليث •

لقد تبيننا ان مدار التثليث انما يقوم على القول بالوهمية الآب والابن والروح
القدس ، وأن هؤلاء الثلاثة يسمون عند المسيحيين " الاقانيم الثلاثة " ، ولكل
واحد من هذه الاقانيم أدلة يستدلون بها على الوهيته ، وتبين لنا ايضا ان المسيح
عليه السلام ، أحد هؤلاء الثلاثة • وإذا اتضح ذلك ، فهل فيما استدل به
المسيحيون على الاقنومية والا لوهية ، دليل على الوهمية المسيح ؟ هذا ما سنحرفه
خلال هذه المناقشة •

ان ادلة المسيحيين على الوهمية المسيح غير صريحة في دلالتها على مرادهم

واليك نصوصهم التي يحاولون الاستدلال بها :

ان لاهوت المسيح عندهم ثابت بأمور :

١ — منها : نسبة الكلمات الالهية اليه في قول يوحنا :

" في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة
الله ، هذا كان في البدء عند الله " ١

ويرى ان هذا النص قد وصف المسيح بالأزلية ، وهي صفة من صفات الالهية .

ولكن هذا النص الانجيلي لا يمكن ان يفهمه معنى مستقيم فضلا عن ان يكون
دليلا على هذه القضية الخطيرة من العقيدة ، والعقيدة لا تثبت الا بنص
صحيح صريح الدلالة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فان قوله : " في
البدء " ليس نصا على الأزلية ، لأن البدء الوارد في قول يوحنا ، لم يفسر
من قبله على ان المراد منه الأزلية ، أو بداية المخلوقات ، والقول بأن المراد
به البداية المطلقة الدالة على الأزلية ، تلاعب بالالفاظ وترجيح لاحد
الاحتمالين بلا مرجح .

ومن جهة ثالثة ، فان قيد الكلمة بالعندية في النص المذكور ، يبدل
على الانفصال الذاتي للكلمة عن الله تعالى ، والانفصال الذاتي يعنى ان
يكون في الأزل الهان كل منهما قائم بذاته ، هذا على المعنى الذى فهمه
المسيحيون من البدء .

ثم في قول يوحنا : " وكان الكلمة الله " ، تناقض واضح مع قوله :
" والكلمة كان عند الله " . كيف تكون الكلمة عند الله ، وهى عن الله ؟

يقول عبد الكريم الخطيب معلقا على هذا النص : ... وكيف يتفسق
ان تكون الكلمة بدءا بمعنى الأولوية المطلقة ، ثم توصف بأنها كانت عند الله ؟
ثم أخيرا ، كيف ترتفع هذه العندية ويكون الكلمة هو الله لا عند الله ؟
هذا التناقض ، هو ما يعطيه هذا النص ، كما تتطرق بذلك الفاظه وعباراته ٢

(١) يوحنا ١ : ١

(٢) المسيح في القرآن والتوراة والانجيل ، الطبعة الثانية مطبعة دار التأليف
بالقاهرة ص ١٦٢

ثم ان هذا النص مع ما فيه من تضارب وتناقض ، فانه ليس مما تثبت به العقيدة ، لأنه ليس من كلام المسيح عليه السلام ، ولا من كلام من قبله من الأنبياء والرسل ، وقد عرفنا في مبحث الكلمة أن يوحنا ، هو أول من استعمل عبارة الكلمة بدل المسيح ، ليجتذب الوثنيين اليونانيين الى المسيحية المتطورة بعد المسيح . وليس فيما كتبه ما يلزم اعتقاده ، لأنه غير معصوم من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان هذا النص لا يوجد ما يعضده من العهد القديم ، بل في العهد القديم ما يدحضه ويدحض حجج القائلين بالوهية المسيح كما سيأتي ذلك في حينه ان شاء الله تعالى .

ثم ان المسيحيين ذكروا ان يوحنا قد اختلط ولا يعلم ما يقول ، كما ذكروا أنه لم يكتب انجيله الا بالحاج من الناس في آخراياه . ولعل هذا النص ما يشير الى انه خرف حينما كتب الانجيل .

٢ — ويستدلون ايضا على الوهية بوصفه بعدم التغير في الرسالة الى العبرانيين عند قوله " يسوع المسيح هو هو أما واليوم والى الأبد " ١ .
وليس في هذا النص دليل على الوهية المسيح ، لأن قوله هو هو أما واليوم والى الأبد لا يدل على اكلت من انه كان بشرا فيما مضى وهو بشر اليوم والى الأبد ، ولا تفارقه البشرية في الأزمنة الثلاثة .

ثم انهم يقولون انه موصوف بالحضور في كل مكان مما يدل على الوهية ، ويستدلون على ذلك بهذا النص : " وليس احد صعد الى السماء الا الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء " ٢ .

وهذا ليس فيه راحة تدل على ما ذهبوا اليه فضلا عن ان يدل بعبارة صريحة ، وصعود المسيح الى السماء ونزوله منها أو كونه فيها ، ليس مما يدل على الحضور في كل مكان ، ذلك لأن السماء ليست هي كل الأمكنة ولكنها بعض الأمكنة ، والمكان المذكور في النص هو السماء لا كل الملائكة ، ثم ان النزول من السماء والصعود اليها ليس من صفات الألوهية فقط ، فالملائكة ينزلون

(١) الرسالة الى العبرانيين ١٣ : ٨

(٢) يوحنا ٣ : ١٣

ويصعدون ويقيمون في السما ، وهم مع ذلك عباد مكرمون وليسوا آلهة ، ولا
رباً أن المسيحيين لا يعتقدون بالوهمية الملائكة لسكانهم في السما ، وصعودهم
اليها ونزولهم منها ، وكيف قالوا بالوهمية المسيح استنادا على هذا النص
وغيره مما لا يغني عن الحق شيئا ؟ وعلى فرض دلالة على ما ذهبوا اليه ، فإن
واضح النص مع اختلافهم في هويته ، لا يوثق بقوله ، كما أنه ليس معصوماً من
الخطأ "١" ويستدلون على حضوره في كل مكان ايضاً بما جاء في انجيل متى :
على لسان المسيح :

" واقول لكم ان اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه
يكون لهما من قبل ابي الذي في السموات ، لانه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة
باسمي فهناك اكون في وسطهم " ٢ .

وهذا النص ايضاً لا دليل فيه على حضوره في كل مكان ، لأن كونه في وسطهم
حيثما يجتمعون باسمه ، لا يدل على أكثر من أنه يوجد في هذه الامكنة التي
يجتمع فيها اثنان أو ثلاثة باسمه ، هذا على فرض صحة نسبة هذا الكلام الى
المسيح ، ثم ان هذا الحضور الذي يقولون به لا يصح أن يكون حضوراً ذاتياً ،
لأن الحضور الذاتي يلزم منه التحيز والتحيز يستحيل على الاله كما سبق ببيان
ذلك في مبحث الصفات عند المسيحيين .

٣ — وما يستدلون به على الوهيته ، وصفه بأنه عالم بكل شيء في قوله : " كل شيء
قد دفع الى من ابي وليس احد يعرف الابن الا الاب ، ولا احد يعرف الاب
الا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له " ٣ .

وهذا النص كذلك لا دليل فيه على علم المسيح بكل شيء وقوله : " كل
شيء قد دفع الى من ابي " ، لا دليل فيه على ان ما دفع اليه هو العلم بكل
شيء ، ولكن المفهوم منه ان ما دفع اليه هو ما يتعلق بأمر العقيدة والشرعة
ومعرفة الله وصفاته ، بدليل قوله بعد ذلك : " ... ولا أحد يعرف الاب

(١) يقال ان مؤلف الرسالة الى العبرانيين هو ، بولس . وقيل ايلوس ، وقيل برنابا
انظر التفسير البيضاوي المسيحية على الرسالة المذكورة .

(٢) متى ١٨ : ١٩ — ٢٠

(٣) متى ١١ : ٢٧

الا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له " وما من شك في أن الرسل والانبياء هم أظم الناس برهم بما لهم من خصائص اختصهم الله بها ، ثم ان قوله : " . . . ومن اراد الابن ان يعلن له " ، يدل على ان من اراد المسيح اعلامه بتلك المعرفة ، حصل له ذلك العلم بالله وصفاته وأحكام شريعته التي اطلع الله عليها المسيح عليه السلام .

ولاشك أن هذه المعرفة معرفة خاصة بأمور الدين ، أما المعارف غير الدينية فغير داخلية في معنى هذا النص ، لا ما اراد الله ان يكون معنا على تبليغ الرسالة ، كعلم المسيح بما يأكل قومه وما يدخرونه في بيوتهم واخباره اياهم بذلك ، ليكونوا على بينة من صدقه في رسالته ، اما ان يفهم من هذا النص غير هذا المعنى ، فأمر لا يتحمله النص ، وذلك كفهم من قال ان الابن يحرف الآب عن طريق الاتحاد وكذلك الآب يحرف الابن عن طريق الاتحاد^١ اذ يرد على هذا قوله : " ومن اراد الابن ان يعلن له " لأنه لو كانت هذه المعرفة من طريق الاتحاد بين الآب والابن ، لكانت معرفة من اراد الابن ان يعلن له بالآب والابن ، عن طريق الاتحاد بهما ايضا ، ثم اراد المسيح عليه السلام يقول : " أيها الآب البار انا ، العالم لم يعرفك ، أما انا فعرفتك ، وهو لا عرفوا انك ارسلتني " ^٢

وهذا النص يدل على ان المؤمنين برسالته يشاركون المسيح في معرفتهم بالله ، لأنهم عرفوا ان الله هو الذي ارسله .

٤ — وما يستدلون به على الوهيته ، احياءه للموتى كما جاء في انجيل يوحنا قوله : " . . . فانزعج يسوع أيضا في نفسه وجاء الى الغير . . . قال يسوع : ارفعوا الحجر . . . فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوفا ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال ايها الآب اشكرك لأنك سمعت لى وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لى ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتني ، ولما قال هذا

(١) راجع يسوع المسيح في ناسوته والوهيته ص ١٧٤ وما بعد ها

(٢) انجيل يوحنا ١٧ : ٢٥

صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجا "١"، فخرج الميت ويداؤه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب "٢" هذا النص الانجيلي الذي افادنا أن المسيح احيا هذا الميت واقامه من قبره ، افادنا كذلك ان المسيح لم يفعل هذا الا بإذن الله تعالى ، وذلك في قوله مخاطبا ربه : " أيها الآب اشكر لك لأنك سمعت لى وأنا طمعت انك فى كل حين تسمع لى " وافادنا هذا النص ايضا بأن المسيح ما احيا هذا الميت الا بعد دعائه وتضرعه الى الله ، وان الله يستجيب له كلما دعاه وتضرع اليه .

ثم انه عليه السلام بين الغرض من احيا هذا الميت ، وهو ان يعلم الذين اجتمعوا حوله من اليهود ان الله عز وجل هو الذى ارسله فيصدقوه ويؤمنوا به ، وذلك حين يقول : " ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلست ليؤمنوا انك ارسلتنى " .

ومع هذا البيان الواضح من المسيح عليه السلام الذى صرح فيه بأنه ما فعل هذا الا بإذن الله ، وليؤمن من اليهود برسالته ، أي مؤلهو المسيح الا ان يقولوا ان هذه القضية تدل على ان المسيح اله ، وبذلك خيبروا امسل المسيح الذى هو الايمان برسالته وصدق نبوته استنادا الى هذه الواقعة ، وحرفوا معنى النص المراد منه مع بقاء الفاظه شاهدة عليهم .

٥ — ومن ادلتهم على الوهيتة ، وصفه بالقدرة على كل شىء فى الرسالة الى العبرانيين بقول كاتبه : " الله يعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بانواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الايام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شىء الذى به ايضا مل العالمين ، الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته ، بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الاعلى "٣

وليس فى هذا النص ما يدل على ان المسيح قادر على كل شىء ، وما جاء فيه من أنه جعله الله وارثا لكل شىء ، لا يدل على اكثر من انه اوتى من العلم

(١) العازر اسم الميت الذى احياه المسيح بإذن الله

(٢) انجيل يوحنا ١١ : ٣٨ — ٤٤

(٣) عبرانيين ١ : ١ — ٣

بالشريعة ما جعله وارثا لكل شئ من تراث الانبياء الذين سبقوه • وقوله :
 " وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته " ، لا يدل أيضا على ان هذه القدرة هي
 القدرة الالهية الشاملة لأن حمل المسيح كل الاشياء بكلمة قدرته ، يراد منه
 أنه حامل كل الاشياء التي اورثه الله تعالى من العلم بالشريعة والوحي الالهي
 بقدرة الله تعالى لا بقدرته هو •

وما يدل على نفى قدرة المسيح على كل شئ قول المسيح عليه السلام
 في ذلك : " الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن على ان يعمل من نفسه شيئا
 الا ما ينظر الآب يعمل " ١
 وقال ايضا : " أنا لا اقدر ان افعل من نفسي شيئا كما اسمع أديبن
 ودينونتي عادلة لأنني لا اطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي ارسلني " ٢
 كيف يوصف المسيح بالقدرة على كل شئ ، وهو يصدع بأنه لا يقدر على
 ما يقدر عليه الآب ، فضلا عن ذلك ، فانه لا يقدر ان يعمل شيئا الا بقدرة الله ؟
 أين تلك النصوص التي يستدلون بها على انه قادر على كل شئ وعظيم بكل
 شئ ؟ قدرة الآب وعظمه بكل شئ من هذه النصوص الواردة على لسان المسيح
 عليه السلام ؟

ان رسالة المسيح عليه السلام واضحة جلية ، ولم تختف آثارها الباقية
 في الاناجيل حتى يومنا هذا • ولكن المسيحيين عطلوا تلك الآثار الباقية
 وتجاهلوا معنايتها رغم وضوحها وصراحتها ، ولم يكن اعراضهم عن هذه النصوص
 العيسوية لغموض فيها ووجود ما هو اوضح وأصرح منها ، ولكنها المواجهة قد حيك
 ضد المسيح ورسالته وهي لم تنزل في مهدها ، ولا تزال تحاك بالاعراض عما بقي
 من تعاليم المسيح الدالة على رسالته وبشريته المحضة ، وما هي الاناجيل قد
 اشتملت على كثير من اقواله التي تدحض حجج المؤمنين له ، متجاهلين
 تعاليمه ، وضارين بها عرض الحائط ، ولم يكن ذلك الاعراض كله الا لغرض في
 نفوس الذين مكروا برسالة المسيح ، ومرض في قلوب الذين كفروا بها •

(١) يوحنا ٥ : ١٦

(٢) يوحنا ٥ : ٣٠

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
وقد ورد في النص السابق من الرسالة الى العبرانيين قوله : " وحامل كل الاشياء"
بكلمة قدرته . "

ما هذه الكلمة الواردة في هذا النص ؟ أهى الكلمة المسيح كما يقسول
المسيحيون ، أم هى الكلمة الالهية التى يتم تكوين الاشياء ، وهى كلمة
" كن " كما يفهمها المسلمون ، وكما وردت في نصوص العهد القديم ؟

ان هذا النص يدل على أن المراد بالكلمة هنا ، غير ما يفهمه المسيحيون
من لفظة الكلمة وهى كلمة الله التامة التى يتم بها تكوين جميع الاشياء بقوله :
" كن " فيكون . وهذا ما دلت عليه التحاليم السماوية ، وفهمه المسلمون من القرآن
الكريم ، واليهود من اسفار العهد القديم .

هذه المناقشات جرت على ضوء تلك الأدلة الواردة في مبحث التثليث والتى
يستدل المسيحيون بها على الوهية المسيح عليه السلام ، وعلى هذه المناقشات
مناقشات أخرى على ضوء الأدلة الانجيلية التى تنافى القول بالوهية المسيح عليه
السلام .

الاناجيل وبشرية المسيح

وردت في الاناجيل الأربعة نصوص على لسان المسيح عليه السلام ، تدل على
أنه بشر أرسله الله عز وجل ، وتنافى القول بالوهيته مناقاة لوالقى المسيحيون لها
سمعا لوجدوها تدعو الى وحدانية الله تعالى ، وتجهز ببشرية المسيح وهوديته لله
عز وجل .

من ذلك ، ما جاء في انجيل متى من أن الشيطان أخذ المسيح الى المدينة
المقدسة واقفه على جناح الهيكل وقال له : " ان كنت الله فاطرح نفسك الى اسفل
لأنه مكتوب انه يوصى ملائكته بك فعلى ايديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر " ١

وأقول ، كيف يجروء الشيطان على حمل المسيح الى المدينة المقدسة ، وإيقافه

على جناح الهيكل وهو اله ؟ بل كيف يقدر على حمل الاله الى المدينة المقدسة وهو الذى يقول سليمان فى حقه : " هو ذا السموات وسما السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت " ١ "

هذه القصة الانجيلية تدل على ان المسيح انسان ، ولاحظ له من اللوهية مطلقا ، وقد اكد المسيح هذا المعنى بقوله فى رده على الشيطان : " مكتوب ايضا لا تجرب الرب الهك " وهو فى هذا النص يعترف بالوهية الله الحققة ، وعبوديته له .

ثم ان ابليس اخذه عليه السلام مرة أخرى الى جبل عال وأراه ممالك الدنيا ومجدها ، ووعد به باعطائها له ان هو اطاعه وسجد له ، فقال له عليه السلام " اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد " ٢ "

وهذا النص لا يترك مجالا للقول بالوهية المسيح ، وذلك لتصريحه عليه السلام بأنه الله وحده يسجد واياه وحده يعبد ، فلا يمكن ان يسجد للشيطان ، كما لا يمكن ان يكون هو الهها يعبد ، ولكنه عبد من عباد الله يلتزم بشريعة الله وتعاليمه ، وبهذا يبطل القول بالوهيته .

هذه كلمات المسيح لا تزال تشهد ببطلان عقيدة التثليث ، والمسيح عليه السلام لم يضح لهم منهج التثليث ، بل وضع لهم منهج التوحيد الخالص ، الذى دعى اليه كل نبي مرسل من قبل الله عز وجل ، وسيتسرا المسيح عليه السلام ما ينسب اليه المسيحيون ظلما ، من تعاليم مخالفة لمنهج الرسل والأنبياء وقد بين ذلك فى انجيل متى بقوله : " كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب اليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ اصرح لهم انى لم اعرفهم قط اذ هبوا عنى يا قاعلى الائم " ٣ "

هكذا يتبرأ المسيح من يعبدونه ويؤلهونه ، وقد اعظمهم بهذا قبل ان يكونوا بين يدى الله ، ليكونوا على بينة من امرهم فى شأن المسيح ، ولكنه الهوى والتقليد المتوارث بلا تعقل ، قد شوه رسالة المسيح النيرة ، وصورتها المشرقة حتى استحالت وثنية وظلمات بعضها فوق بعض .

(١) اخبار الايام الثانى ٦ : ١٨

(٣) متى ٧ : ٢١

(٢) متى ٤ : ١٠

ولقد اكد القرآن الكريم براءة المسيح ممن ينسبون اليه الألوهية في قوله تعالى : (واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانست على كل شيء شهيدا) "١"

وجاء في انجيل يوحنا قوله المسيح عليه السلام : " وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك انك الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته " "٢"

فبين عليه السلام أن الألوهية الحققة والوحدانية فيها ثابتتان لله تعالى ، وأن المسيح رسوله ، وجعل توحيد الله الخالص في الوهيته ، الحياة الابدية مع الايمان برسالته عليه السلام ، ولم يترك لاحد من دعاة التثليث القول بالوهية المسيح لو كانوا ينصفون ويتجردون من اتباع الهوى وتقليد من سبقهم ممن اشبهوا فسي قلوبهم حب الوثنية الرومانية والافلاطونية الحديثة .

وجاء في انجيل يوحنا أيضا قوله عليه السلام : " والكلام الذي تسمعون ليس لي بل للآب الذي ارسلني بهذا كلمتكم وأنا عندكم " "٣"

فدل على ان كلامه في الدين موحى اليه من قبل الله عز وجل وليس له في ذلك أمر سوى التبليغ للرسالة الالهية ، كما دل على التفريق بينه وبين الله دلالة واضحة ، وهذا ايضا ينافي الوهيته ومساواته لله تعالى .

وقال ايضا : " بهذا كلمتكم وأنا عندكم " ، ليقطع الطريق على رسل الوثنية الذين يأتون بعده لافساد رسالته ، وليكون اتباعه على حذر ممن يترص برسالة المسيح من الوثنيين واليهود ، فقد انذر بذلك وأعذر .

وعنه ايضا انه قال : " لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنني قلت أمضي الى الآب لأن أبي اعظم مني " "٤"

(١) سورة المائدة ١١٦ — ١١٧

(٢) انجيل يوحنا ٧ : ٤

(٣) " " ١٧ : ٢٤ — ٢٥

(٤) " " ١٤ : ٢٨

وهذا النص من اوضح الادلة الانجيلية على ان الله أعظم من المسيح ، وان المسيح لا يساويه ولا يدانيه ، وهو رد قاطح على من يزعم أن المسيح مساو لسلاّب في كل شيء* .

وجاء في انجيل مرقس مانصه : " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما احد ولا الملائكة الذين في السموات ولا الابن الا الآب " ١

وفي انجيل متى ورد هذا النص هكذا : " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما احد ولا ملائكة السموات الا ابي وحده " ٢

وهذان النصان دلا على أن علم المسيح دون علم الله تعالى ، وأنه عليه السلام لا علم له الا ما علمه الله تعالى ، وبهما يبطل قول المسيحيين ان المسيح ظلم بكل شيء ، ولو كان المسيح ظالما بكل شيء كما يقولون ، لما خفى عليه علم تلك الساعة وأوانها ، وخاصة على رأى من قال من المسيحيين بأن الفكر الالهى أو علمه تعالى قد تجسد في بطن مريم ، لأن العلم الالهى ، لا يخفى عليه شيء مما كان وما سيكون ، وهو العلم المحيط بكل شيء ، فكيف خفى على هذا العلم المتجسد في نظرهم موعد تلك الساعة ؟

يقول الشيخ رحمة الله الهندي محققا على النص الأول الوارد في انجيل مرقس : " وهذا القول ينادى على بطلان التثليث ، لأن المسيح عليه السلام ، خصص علم القيامة بالله ونفى نفسه كما نفى عن عباد الله الآخرين ، وسوى بينه وبينهم في هذا ، ولا يمكن هذا في صورة كونه لها ، سيما اذا لاحظنا أن الكلمة واقسم الابن عبارتان عن علم الله وفرضنا اتحادهما بالمسيح ... " ٣

وهناك نصوص أخرى من العهد القديم يستدلون بها على الوهية للمسيح عليه السلام ، من ذلك ، ما ورد في سفر اشعيا " في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته ، خلصهم بمحبته ورأفته ... " ٤ ويرى المسيحيون ان المراد بقوله : " وملاك

(١) مرقس ١٣ : ٣٢

(٢) متى ٢٤ : ٣٦

(٣) اظهر الحق ج ٢ ص ٥

(٤) اشعيا ٦٣ : ٩

حضرته " ، هو المسيح عليه السلام ، وحيث انه هو المخلص لهم ، فيكون لها ، ولكن ليس في النص ما يدل على ان ملاك حضرته هذا ، هو المسيح ، وحتى لو صح ان المراد به هو المسيح ، لما كان فيه دليل على الوهيته ، لأن كونه ملاك حضرة الله ، يدل على خلاف ما يعتقدون ، لأن الملاك هو غير الله قطعاً ، ولا يقول احد ان كل ملاك اله .

ومن ذلك ايضا ، ما ورد في اشعيا " لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً لها قديراً اباً ابدياً رئيس السلام " ١٣ " ١

وبما ورد فيه ايضا من قوله : " هك العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه صانويل زيدا وصلاً يأكل " ٢ " ٢

وبما جاء في المزامير من قول داود عليه السلام : " قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعدائك موطئاً لقدميك " ٣ " ٣

وبما ورد في سفر الامثال مما ينسب الى سليمان عليه السلام حيث يقول : " اني ابلد من كل مخلوق وليس لي فهم انسان ولم اتعلم الحكمة ولم اعرف معرفة القدوس من صعد السموات ونزل ، من جمع الريح في حفتيه ، من صر الرياح في ثوب ، من ثبت جميع اطراف الأرض ما اسمه وما اسم ابنه ان عرفت " ٤ " ٤

وبما جاء في ميخا أيضاً من قوله : " أما انت يا بيت لحم أفراتة وانت صغيرة ان تكون بين الوف يهوذا ، افنك يخرج الذي يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل " ٥ " ٥

وهذه النصوص التي يستدل بها المسيحيون على اخطار قضية دينية ، لا تعدو ان تكون رموزاً في دلالتها على المسيح ، فضلاً عن ان تكون دليلاً قاطعاً على الوهيته ، ولو فرضنا انها تدل على المسيح بلا غرض ، فان دلالتها على الالهية ، أمر فسي

-
- (١) اشعيا ٩ : ٦
 - (٢) " ٧ : ١٤ - ١٥
 - (٣) مزامير ١١٠ - ١
 - (٤) امثال ٣٠ : ٢ - ٤
 - (٥) ميخا ٥ : ٢

غاية البعد ، اللهم الا ذلك اللفظ الوارد فى اشعيا عند قوله : " ويدعى اسمه عجيبا مشيرا لها قديرا " .

ولكن الالهية الوارد فى العهد القديم لم تكن مقصورة على الله تعالى بل استعملت فى غيره تعالى ، واطلقت على بعض الانبياء بمعنى السيادة والامامة فى الدين ، ولا نذهب بعيدا فى الاستدلال على هذا المعنى ، وعندما ورد فى شرح اصول الايمان وهو :

" هل من تناقض بين وحدانية الله ، وبين تسمية بعض الخلائق آلهة فى الكتاب المقدس كموسى والقضاة وما اشبه ؟ " ج " كلا ، لأن موسى تسمى الها من الله ذاته دلالة على نيابته عن البارى لدى فرعون ، وليس لكونه اتصف بصفات الهية ... وكذلك القضاة سمو آلهة ، لكونهم ينقدون مقاصد الله ... " ١ "

ويعد : فما المانع من تخريج معنى الالهية الواردة فى اشعيا على هذا النحو فى حق المسيح مع ان كون هذا النص دالا على المسيح ، لا يمكن القطع به . وما يؤكد هذا المعنى من العهد الجديد ، ما جاء فى انجيل يوحنا ان المسيح عليه السلام قال لليهود حينما حاولوا رجسه بالحجارة : " ١٠ اصلا كثيرة حسنة اريتم من عند ابي ، بسبب اى عمل منها ترجموننى ؟ اجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف ، فأنك وانت انسان تجعل نفسك الها . اجابهم يسوع : أليس مكتوبا فى ناموسكم انا قلت انكم الهة ؟ ان قال الهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله ، ولا يمكن ان ينقض المكتوب ، فالذى قدسه الآب وارسله الى العالم ، اتقولون له انك تجدف لاني قلت انى ابن الله ؟ " ٢ "

لقد بين المسيح عليه السلام فى هذا النص ، أن المراد بالالهية او البنوة المنسويتين اليه ، كالهوية المنسوبة الى الانبياء الاقدمين الذين صارت اليهم كلمة الله ، وهو اذن ، ليس الها حقيقيا كما هم ليسوا الهة حقيقيين ،

(١) شرح اصول الايمان ج ١ ص ٤٤

(٢) يوحنا ١٠ : ٣٢ - ٣٦

وهذا يدحض رأى القائلين بالوهيته على وجه الحقيقة على الرغم من نفيه ذلك، عن نفسه .

وأما قول داود عليه السلام ، قال الرب ليس ، فلا يدل على الوهيته أيضا لأن الرب في حق البشر ، معناه السيد والمربي ، ومنه قول يوسف عليه السلام في حق العزيز الذي أحسن مثواه وتولى تربيته لمادته امرأة العزيز الى نفسها :
 " .. قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي .. " ^١ فتبين بهذا ان النص غير دال على اللوهية مطلقا .

وأما النص الوارد في سفر الامثال على لسان سليمان عليه السلام فهو غير صريح ايضا في دلالة لأن الصفات الواردة فيه من صعود ونزول ، وجمع للريح وصر للمياه ، وتشبيت لجميع اطراف الأرض ، ليست من صفات الابن المذكور في ختام النص بدليل قوله : " ما اسمه " أى صاحب هذه الصفات " وما اسم ابنه " أى اسم ابن صاحب هذه الصفات . وهذا يدل على المغايرة ، والبنوة لا تدل على اللوهية ، كما سبق البحث حولها في مبحث الآبوة والبنوة .

بهذه النصوص وامثالها يستدل المسيحيون على الوهية المسيح ، وقد تبين لنا من خلال مناقشتها عدم دلالتها على ذلك ولودلالة بعيدة ، كما لا توجد في النصوص الواردة في العهدين كلمة اقنوم التى تعتبر الركن الركين في المسيحية .

مناقشة اقنومية الروح القدس :-

ان النص الأول الذى سبق عرضه عند استدلال المسيحيين على اقنومية الروح القدس ، ليس فيه ما يدل على اقنوميته ، لأن قول صاحب النص : " ان اقنومية الروح القدس تثبت من استعمال الضمائر انا وانت وهو حين تكلم المسيح عن نفسه وعن الآب والروح القدس الخ " ، لا يدل على كونه احدا لا قانيم الثلاثة ، لأن تعبير المسيح عن نفسه بقوله انا وعن الآب بقوله : انت وعن الروح القدس بقوله : هو ، ليس فيه ان هذه للضمائر تشكل ثلوثا واحدا ، كما لا تدل على اولوية الآب بضمير أنت عن الروح القدس ، كما لا يدل على اولوية الروح القدس بضمير هو من الآب .

ان اى شخص من الأشخاص يعبر عن نفسه بنفس العبارة ويعبر عن غيره عند الخطاب بأنت ، وعند الغيبة ب (هو) وهذا تعبير طبعى لا يخالف عرف التخاطب وسنته فى المجتمع البشرى ، وأى شخص من الأشخاص اما ان يتكلم عن نفسه أو عن غيره ، وعند الكلام عن نفسه يتحتم عليه استعمال ضمير المتكلم وتكونا ، وعند الكلام عن غيره ، اما ان يكون ذلك الخير حاضرا أو غائبا ، فاذا كان حاضرا فيستعمل فى حقه ضمير الخطاب وهو انت ، واذا كان غائبا فيستعمل فى حقه ضمير الغيبة وهو : هو . وهذه الحالات الثلاث لا يخلو منها اى تعبير فى المجتمع الانسانى . وطيه فلا يمكننا ان نقول ان البشر الذين يملأون الأرض ثلاثة فقط ، كما لا يمكننا ان نقول ان استعمال هذه الضمائر من المسيح ، دل على ذات ثلاث . وبهذا يبطل ما استدلوا به من الضمائر على اقنومية الروح القدس .

اما استدلالهم بالميرسل والمرسل منه ، والشاهد والمشهود له ، على اقنوميته ، فامر فى غاية البعد والخرابة ، فالمرسل الذى هو الآب فى نظرهم ، غير المرسل الذى هو الروح القدس ، وهذا لا يدل على الاقنومية بل يدحضها ، لأن الاقنومية كما سبق ان طمنا ، لاتعنى الاستقلال الذاتى ، والانفصال بين هذه الاقانيم ، فاستدلالهم بالمرسل والمرسل منه على الاقنومية ، استدلال خال من الدلالة ، بل يدل هذا الكلام على ان المرسل مستقل ذاتا عن الرسل ، وكذلك الشاهد والمشهود له كالمرسل والمرسل منه .

ثم ان النص الوارد فى انجيل يوحنا لم يدل ايضا على اقنوميته ، بل دل على استقلاله الذاتى عن الآب والابن ، لدلالته على طالب هو المسيح ، ومطلوب هو الروح القدس ، ومطلوب منه هو الآب ، وذلك عند قول المسيح عليه السلام " وانا اطلب من الآب فيعطيك معزيا آخر ليصير معكم الى الابد . . . " ١ هذا على فرض كون المراد بالمعزى المذكور فى الاناجيل هو الروح القدس ، والا فليس فى هذا النص دليل على اقنومية الروح القدس ، والروح القدس كان ينزل بالوحي على الأنبياء قبل المسيح وهو الذى بشر زكريا بالولد وبشر مريم بحمل المسيح ،

وذلك قبل ان يولد المسيح ، فكيف يطلب المسيح ارسال الروح القدس وهو يرسل باستمرار الى الانبياء باعتراف المسيحيين أنفسهم ؟ وهذا يؤكد ما قاله كثير من علماء المسلمين من أن هذا النص يدل على البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم "١"

وكذلك النص الذى جاء بعده ، لا يدل على اقنومية الروح القدس ، وفضلا عن ذلك ، فإنه لا يدل على ان المراد بالمعنى المذكور فيه ، هو الروح القدس .

وقول المسيح عليه السلام فى هذا النص ، " ان لم انطلق لا يأتيكم المعنى " "٢" ، يدل على ان المعنى لم يأتيهم عند كلامه عليه السلام ، ويدل هذا على أن المعنى غير الروح القدس قطعاً ، وذلك ، لمجى الروح القدس قبل ولادة المسيح ، وظهوره فى عدة مناسبات ، كما تبين لنا ذلك مما سبق .

وأما النصان الواردان فى رسالتى بولس الى اهل كورنثوس ورومية ، فإنهما لا يدلان أيضا على ذلك مع ما يكتنفهما من غموض فى المعنى وركاكة فى اللفظ .
وطى وجه العموم فان النصوص التى سبقت مناقشتها ، لم تدل على الاقنومية المنسوبة للروح القدس من قريب أو بعيد .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — بعد ايراده لقوله تعالى فى سورة قمر طيهما السلام (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) وقوله حكاية عن مريم (قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) يقسول : " ثم قال : (انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا) ، وفى القراءة الأخرى "٣" (ولاهـب لك غلاما زكيا) ، فأخبر هذا الروح الذى تمثل لها بشرا سويا انه رسول ربها ، فدل الكلام على ان هذا الروح عين قائمة بنفسها ليست صفة لغيرها ، وأنه رسول من الله ليس صفة من صفات الله ، ولهذا قال جماهير العلماء : انه

(١) راجع اظهر الحق ج ٢ ص ٢٧٨ والجواب الصحيح ج ٤ ص ٦ — ٧

(٢) يوحنا ١٦ : ٧

(٣) قرأ ورش وابوعمر " ليهب لك " بالياء المثناه وكذلك يعقوب وروى هذا ايضا عن قالون انظر تفسير فتح التدبير للشوكانى ج ٣ ص ٢٢٨ وكتاب التيسير فى القراءات اى مع اللامام ابى عمرو عثمان بن سعيد الدائى طبع الاصل =

جبريل عليه السلام ، فان الله سماه الروح الامين وسماه روح القدس ، وسماه جبريل ، وهكذا عند اهل الكتاب انه تجسد من مريم ومن روح القدس . لكن ضلالهم حيث يظنون ان روح القدس حياة الله ، وأنه اله يخلق ويرزق ويعبد ، وليس في شئ من الكتب الالهية ، ولا في كلام الانبياء ان الله سمي صفته القائمة به ، روح القدس ، ولا سمي كلامه ولا شيئا من صفاته ابنا ، وهذا احد ما تبين به ضلال النصارى " ١ " .

ثم انطلق شيخ الاسلام وبين المراد بالروح القدس الوارد ذكره في كتب النصارى فقال : " وروح القدس ، يراد به الروح التي تنزل على الانبياء كما نزلت على داود وغيره ، وأن المسيح قال لهم : " ابي وابيكم والهي والهيكم " فسماه ابا للجميع ، لم يكن المسيح مخصوصا عندهم باسم الابن ، ولا يوجد عندهم لفظ الابن الا اسما للمصطفى المكرم ، لا اسما لشئ من صفات الله القديمة حتى يكون الابن صفة الله تولدت منه . واذا كان كذلك ، كان في هذا ما يبين انه ليس المراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية التي يقولون انها تولدت من الله عندهم مع كونها أزلية ، ولا بروح القدس حياة الله ، بل المراد بالابن ناسوت المسيح ، وروح القدس ما انزل عليه من الوحي والملك الذي نزل به فيكون قد امرهم بالايمان بالله وبرسوله وما انزل على رسوله والملك الذي نزل به " ٢ "

والمراد بقول ابن تيمية : " فيكون قد امرهم الخ هو ما ورد في انجيل متى منسوبا الى المسيح عليه السلام : " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعهدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " ٣ " ، ويفترض ابن تيمية صحة ورود هذا الكلام عن المسيح عليه السلام ، ثم يذكر المعنى الصحيح الذي يدل عليه النص بلا تكلف ولا تحريف ، خلافا لما يراه النصارى من أن المراد به الأمر بالدعوة الى عقيدة التثليث .

- = في استانبول بمطبعة الدولة سنة ١٩٣٠ م واطاعت طبعه بالافست مكتبة
المثنى ببغداد ص ١٤٨
(١) الجواب الصحيح ج ١ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ مطبعة المدني بالقاهرة
(٢) نفس المصدر ص ٢٤٠ — ٢٤١
(٣) متى ٢٨ : ١٩

وبذلك نكون قد فرغنا من مناقشة ما يستدلون به على اقومية الروح القدس .
ولما كانت الاقومية وحدها لا تدل على الالهية ، فارجو المسيحيين يستدلوا على
الوهية الروح القدس بنصوص نورد مناقشتها فيما يلي :

مناقشة ادلتهم على الوهية الروح القدس

أما النصوص التي سبق عرضها في معرض استدلال المسيحيين على الوهية
الروح القدس فهي ايضا غير دالة على الوهية الروح القدس ، وذلك لأن قول
بطرس لحنانيا : " يا حنانيا لماذا ملاً الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس
وتختلس من ثمن الحقل . . . فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر انت لم تكذب
على الناس بل على الله " (لا يدل على ان الروح القدس اله ، وإنما دل على ان
حنانيا يكذب به ، قد كذب على الروح القدس وكذب على الله تعالى باختلاسه ثمن
الحقل ، ولا شك ان حنانيا كذب على الناس ولكن بطرس شفع عليه كذبه طيه وبالغ
في التشجيع حتى قال انه لم يكذب على الناس ولكنه كذب على الله ، وذلك بعد ان
ذكر انه كذب على الروح القدس ، وهو امر لا يدل على الالهية مطلقا كما هو واضح .

وأما ما جاء في الرسالة الى العبرانيين من قول كاتبه " لذلك كما يقبل الروح
القدس اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسو قلوبكم الخ " (٢) " فلم يدل ايضا على
الوهية الروح القدس ، لعدم ورود ما يدل على الالهية فيه ، وليس في الاكثار
من مناقشة هذه النصوص سوى التطويل وهو امر ينبغي تحاشيه في مثل هذه النصوص
الخاصة من الدلالة على المراد .

الباب الثاني

الذات الالهية في الاسلام

وفيه فصلان :

الفصل الأول :

- ✱ الايمان بوجود الله
- ✱ الادلة على وجوده
- ✱ صفات الله تعالى في الاسلام والمقارنة بينها وبين صفاته في المسيحية
- ✱ صلة الله تعالى بمخلوقاته

الايمان بوجود الله

ان الايمان بوجود الله تعالى يعتبر الأساس الأول للحقيقة الاسلامية وعلى هذه القاعدة تلتقى جميع الأديان السماوية ، اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام . وما كان بين هذه الأديان من اختلاف ، فنفسه تصور هذا الوجود الالهى كيف يكون ؟ وعلى أى وجه يكون حصوله ؟ .

ان الايمان بوجود الله والدعوة اليه فى الاسلام لم يأخذ حيزا كبيرا فى كتاب الله الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن البشر فى تاريخهم الطويل لم يكن بينهم من لا يؤمن بأن هناك مدبرا لهذا الكون الفسيح سوى فئة قليلة منهم تمردت على منطق العقل ، وتنكرت للفطرة السليمة ، لذلك بدأ الاسلام رسالته بالدعوة الى افراد الله تعالى بالعبادة وتوحيده فيها .

لقد كان العرب الذين بحث فيهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون بوجود الله تعالى وأنه الخالق الرازق المحيى المميت ، ولا ينازعون فى شىء من هذا ، ولكنهم مع ايمانهم هذا يؤمنون بآلهة أخرى ، ويتقربون اليها بأنواع العبادات ، اعتقادا منهم بأن تلك الآلهة تقربهم الى الله زلفى .

اذن ، فليس فى كتاب الاسلام الأول نقاش وجدل مع من ينكرون وجود الله تعالى لقد تهم من جهة ، ولتضافر الأدلة على وجوده من جهة أخرى .

والآية الوحيدة التى اشارت الى من ينكرون وجود الله هى آية سورة الجاثية قال تعالى : " وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون " ١ .

وكذلك الآية التى ناقشت المنكرين لوجود الله هى آية سورة الطور : قال تعالى : " أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون " ٢ .

(١) الجاثية ٤٥

(٢) الطور ٣٥ - ٣٦

هـ هذا رأى الخالبية العظمى ولا ينافى ذلك أن هناك بعض من شذ فانكر وجود الخالق

وأولئك الذين ينكرون وجود الله سبحانه هم الذين يقولون ان تقلب الليل والنهار وتعاقبهما هما سبب الحياة والموت والهلاك من غير ان يكون للكسوف خالق ومدبر •

وأما الايمان والاعتراف بوجود الخالق المدبر لهذا الكون فهو ما يدين به العرب قاطبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وحتى مبعثه ، والقليل منهم هم الذين لا يعترفون بوجود الله ، وليس ادل على قلتهم من افعال القرآن الكريم ذكرهم سوى ما ورد في تلك الآية السابقة من سورة الجاثية •

ولايمان الكثير منهم بوجود الله ، سلك القرآن الكريم معهم مسلك الالتزام بتوحيد الربوبية الذي يقرون به على توحيد الألوهية الذي ينكرونه ويؤفكون عنه • وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل على انهم ما كانوا ينكرون وجود الله ، بل كانوا يقرون بربوبيته الشاملة ، ولكنهم ، يجحدون انفراده بالألوهية • قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون " ١ • وقال تعالى : " ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد لله ، بل اكثرهم لا يعقلون " ٢ •

وعلى ضوء هذه الآيات نرى أن قضية الاعتراف بوجود خالق مدبر لهذا الكون قضية لا نزاع فيها بين المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك كان القرآن الكريم يناقشهم ويحاجهم في توحيد الألوهية •

وما من نبي الا وكان دعوته لقومه الى عبادة الله وحده ، وليس في تاريخ الأمم وانبيائهم ما يدل على ان فيهم من ينكرون وجود الله ، لأن هذه القضية قضية لا يشك فيها طافل ، ولذلك قالت لهم رسلكم : أفى الله شك ؟ • وكل واحد

(١) العنكبوت ٦١

(٢) " ٦٣

وانظر بهذا المعنى الآيات من سورة : لقمان آية ٢٥ وسورة الزمر آية : ٢٨ وسورة الزخرف آية : ٩ وسورة الزخرف آية : ٨٧ • وكلها تدل على ان المشركين يقرون بربوبية الله تعالى •

يدرك انه لم يوجد له احد ابويه او كلاهما ، وأنه لم يوجد نفسه على هذه الصنعة العجيبة والصفات الدقيقة ، وهذا أمر تستوى في ادراكه العقول البشرية وتتعانسق عليه الفطر الانسانية في جميع الامكنة والازمنة .

إذا ف قضية الربوبية لم تكن موضع نزاع بين الرسل واممهم ، وإنما النزاع كان في قضية الألوهية ، لذلك يقول تعالى : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " ^١ . ويقول تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا انا فاعبدون " ^٢ .

وواضح من هاتين الآيتين أن كل رسول أرسل الى قومه إنما كان يدعوهم الى عبادة الله تعالى الذي يعترفون — بما فطروا عليه — بربوبيته وتدبيره للكون ؛

والاسلام الذي هو خاتم الأديان السماوية وطراز دعوة الرسل ، لم يكن يفرق بين تلك الأديان السابقة والدعوات الخالية ، واعتراف الدين الاسلامي بوجود الله أصل من تلك الأصول الدينية التي تلتقي طية الأديان الالهية مع احتفاظ كل دين بعلامه تميزه عن غيره في الشريعة والمنهاج اللذين لا صلة لهما بالذات الالهية .
وأما الذات الالهية وما يتعلق بهما من صفات ، فليس موضع خلاف بين تلك الشرائع مهما تعددت واختلفت مناهجها ، ولذلك كان الاسلام بمفهومه العام ينظم دعوة الرسل جميعا وان كان بمعناه الخاص يطلق على دين محمد صلى الله عليه وسلم .

فكلمة التوحيد التي هي الركن الأول من أركان الاسلام ، تنفي ان يكون لله شريك في الوهيته وتثبت الألوهية الحق له وحده ، وهذه الكلمة هي التي دعت الى تحقيق معناها الرسل ، من أول رسول الى البشر الى آخر رسول اليهم ، وآية سورة الانبياء هذه خير دليل على أن كل رسول كانت دعوته الى تحقيق توحيد الألوهية في أمته ، لاعترافهم وقرارهم بوحداية الله في الربوبية ، واليهاد ونوح في قوله تعالى : " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره فلا تتقون " ^٣ .

-
- (١) النحل ٣٦
 - (٢) سورة الانبياء آية ٢٥
 - (٣) سورة المؤمنين ٢٣

واليها دعا ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى : " قال افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون " ١ .

وبها وصى يعقوب بنيه قائلا : " ماتعبدون من بعدى ، قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهنا واحدا ونحن له مسلمون " ٢ .

وبها خاطب موسى في قوله تعالى : " اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدون واقم الصلاة لذكركى ان الساعة آتية أكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى " ٣ .

واليها دعا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في قوله عز وجل : " . . . وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار " ٤ .

وأخيرا ، هى دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وأساس دينه ، وهى سبب النزاع بينه وبين قومه عند مبعثه .

وبهذه النصوص القرآنية يتبين أن توحيد الألوهية فقط هو موضع النزاع بين كل رسول وقومه ، ولم يكن ثم خلاف بينهم على توحيد الربوبية ، لهذا يخاطب كل رسول أمته بقوله : " اعبدوا الله ما لكم من اله غيره " .

وبما أن هذا المبحث يدور على المقارنة بين عقيدة المسيحيين وعقيدة المسلمين فى الذات الالهية فإن المبحث الأول من الباب الأول يشابه هذا المبحث الأول من الباب الثانى ، وليس بين المسيحيين والمسلمين اختلاف فى هذا المبحث من حيث الشكل والسورة ، ولكن الاختلاف فى الحقيقة والمعانى التى تحت تلك المباني .

فالمسلمون يؤمنون بوجود الله ، وكذلك المسيحيون يؤمنون بوجود الله ، ولكن الفرق بين الايمانين يكمن فى ان المسلمين يؤمنون بآله واحد فى ربوبيته والوحيته

-
- (١) سورة المؤمنين ٢٣
 - (٢) سورة الانبياء ٦٦ - ٦٧
 - (٣) سورة البقرة ١٣٣
 - (٤) سورة طه ١٤ - ١٥

لا شريك له في ذاته وصفاته •

بينما المسيحيون يؤمنون بالله واحد في ثلاثة أقانيم وهي : الآب والابن والروح القدس •

وإذا كان الفريقان يلتقيان في مبدأ الإيمان بوجود مدبر لهذا الكون ، فإن موضوع إيمانهما لا يلتقى ولا يمكن يتفق ، فالأقانيم الثلاثة في عقيدة المسيحيين هي ، الله الذى يؤمنون بوجوده على هذا النحو ، والله الذى يؤمن به المسلمون ، هو الذى لا إله الا هو " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ،

وهذه العقيدة وتلك - وإن كانت لهما متشابهة في الإيمان بوجود الله ، فإن الهوية الحقيقية التى تفصل بينهما ستبدو واضحة جلية في المباحث الآتية من هذا الباب عند مقارنتها بمباحث الفصل الثانى والفصل التالى عليه من الباب الأول •

والذى يحاول التوفيق بين العقيدتين ، مثله ، مثل الذى يريد أن يجمع بين النجمين سهيل وشريا ، مع استحالة هذا الجمع ، وفى ذلك يقول الشاعر :^(١)

أيها المنكح الشرى سهيلا عرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استهلكت وسهيل اذا استهل يمانى

الأدلة على وجود الله

ان استعراض البراهين الدالة على وجود الله ، لا يمكن أن يكون على وجه الاستقصاء ، سواء كان ذلك استعراضا للأدلة النقلية ، أو العقلية ، أو الكونية •

فالقرآن الكريم قد جمع بين هذه الأنواع من الأدلة • وفى إقامة الأدلة على وجود الله هنا ، أجد لزاما على أن اقتصر على أدلة القرآن الكريم التى جمعت بين الدلائل العقلية والكونية والنقلية ، وهى من أظهر الأدلة وأوضحها على وجود الله تعالى ، وذلك ، لأن الآيات الكونية مشاهدة ومحسوسة ، فهى تدل بحركة ذواتها وتقلبات أعراضها على أنها حادثة ، وكل حادث لابد له من محدث •

(١) قائل هذين البيتين عمر ابن أبى ربيعة

أ - الدلائل النقلية على وجود الله :

لقد قرأ الله تعالى علينا في كتابه الحكيم كيف أن الأمم كانوا يعترفون بوجود الله ، ومع ذلك ، ضلوا السبيل فأشركوا مع الله غيره في العبادة ، مع أن مقتضى إيمانهم بوجود الله ، هو عبادة الله وحده لا شريك له ، فتناقضوا في إيمانهم بوجوده ، وعبادتهم لغيره تعالى ، فالزمهم القرآن الكريم ما لا يعترفون به عن طريق ما يعترفون به . وقال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، قل الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعقلون " ^١ وقال جل وعلا : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن من العزيز العليم " ^٢ . ويقول الامام الشوكاني ^٣ في تفسيره : " لا آية " أى لمن سألت هو " لا الكفار من قومك من خلق هذه الأجرام العلوية والسفلية ، أقروا بأن الله خالقهم ولم ينكروا " ^٤ . ويقول تعالى : " قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأتى تسخرون " ^٥ .

ب - الدلائل العقلية والكونية على وجود الله :

ان من اجل نعم الله على الجنس البشرى ، تجهيزهم بالعقل الذى به يدركون ويميزون بين ما هو صالح وما هو غير صالح ، تلك المنحة الالهية والهبّة الربانية التى يتجلى فيها اكرام الله تعالى للبشر حيث لم يتركهم يتخبطون فى ظلمات بعضها فوق بعض كالبهائم السائمة اذ لا مانع ولا ضابط ، ولا حدود ولا قيود لدى تلك البهائم ، ولولا ان من الله تعالى على الانسان بنور العقل لما كان هناك فرق بينه وبين بقية الحيوانات .

- (١) سورة لقمان ٢٥
- (٢) سورة الزمر ٩
- (٣) الامام الشوكاني هو محمد بن على بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني ولد سنة ١١٧٣ هـ فى بلدة هجرة شوكان وتوفى سنة ١٢٥٠ هـ . راجع ترجمته فى الجزء الأول من تفسيره .
- (٤) فتح القدير ج ٤ ص ٥٤٨ طبع بمطبعة مصطفى البابى الحلبي سنة ١٢٨٢ هـ الطبعة الثانية .
- (٥) سورة المؤمنين ٨٤ — ٨٩

والعقل البشرى الذى من الله به عليه ، لم يزل يؤمن بوجود خالق
مدبر لهذه الخليقة ، فالجبال الراسيات ، والنجوم الزاهرات ، والشمس
والقمر والأرض والسماوات ، دلائل واضحة ، وبراهين ساطعات ، لمن
استعمل عقله من البشر على وجود الله عز وجل .

يقول الله تعالى : " ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار
لآيات لاولى الألباب " ١

ويقول الامام الشوكانى : " ٠٠٠ والمراد باولى الألباب : أهل العقل
الصحيحة الخالصة عن شوائب النقص ، فان مجرد التفكير فيما قصه الله فى هذه
الآية ، يكفى العاقل ويوصله الى الايمان الذى لا تزلزله الشبه ، ولا تدفعه
التشكيكات " ٢

ويقول جارا الله الزمخشى : " (لآيات) لأدلة واضحة على المانع
وعظيم قدرته ، وياهر حكمته (لاولى الألباب) للذين يفتحون بصائرهم للنظر
والاستدلال والاعتبار ، ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من
عجائب الفطر " ٣

والعقل الانسانى هو الذى يدرك التناسب والتناسق بين مخلوقات الله
فينطلق من هذا الادراك الى ادراك ما هو اسمى وأعظم ، وهو ادراك موجد
لهذا الكون على شكل بديع يبهر العقل بدقته وتناسبه ، بحيث لا يوجد فيه
تفاوت ولا اختلال ، اذ لا يمكن أن يوجد هذا الكون على هذا الشكل البديع
والتناسب العجيب بحض الصدفة ، بل لابد له من خالق حكيم قادر .
ذلك أن الوجود الالهى ، يدل عليه كل شئ فى هذا الكون من حيث تنظيماته
العجيبه وترتيباته التى تصرخ بأن لها خالقا حكيما قادرا هريدا ، وخاصة
الانسان ، فانه من اقنن الأدلة على وجود الله .

-
- (١) سورة آل عمران ١٩٠
 - (٢) فتح القدير ج ١ ص ٤١٠
 - (٣) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٨٧ طبع سنة ١٢٨٥ هـ بطبعة مصطفى البابى الحلبي
الطبعة الأخيرة .
- هو جارا الله محمود بن عمر الزمخشى الخوارزمي ولد سنة ٤٦٧ هـ وتوفى سنة
٥٢٨ هـ (راجع الجزء الأول من تفسيره) .

يقول برنارد جلوسر "١" : "لن تجد في هذا العالم ما هو أعجب من جسم الإنسان ، وكلما زاد ما تدركه من أسرارها ، زادت دهشتنا وعجبنا أنك لا تدري بما يجري في جسمك من عمليات ، لأن معظمها يحدث في الخفاء بعيداً عن ناظريك ."

فانت لا ترى قلبك يدق ، ولا رئتيك وهما تقومان بوظيفتهما ، كما أنك لا ترى هذاك وهويهم ، أو كيف تساعدك العضلات في التحرك من مكان إلى آخر ، إن هذا كله ، يحدث في الخفاء داخل جسمك "٢" .

هذا جسم الإنسان وخطياه في دقة وتناسب وتضام وحجم ، يشهد كل شيء فيه بوجود الله ، ويقتود إلى الإيمان به ، والخضوع له ، وذلك الأفلاك في ضخامتها ومواقعها ، تشهد بوجود موجد لها .

والآيات الكونية العلوية منها والسفلية في ضخامتها وتراعى أطرافها واتقان صنعها ، لا تفتأ تدعو إلى الإيمان بوجود الله الذي أحسن كل شيء خلقه .

وقد قارن الله تعالى آياته في الآفاق بآياته في النفوس البشرية ، فقال عز وجل : " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد "٣" .

وقد ذكر الشوكاني تفسيراً لهذه الآية عزاء إلى عطاء فقال : " قال عطاء : في الآفاق : يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والبرد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبتار وغير ذلك . وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وديح الحكمة كما في قوله : وفي أنفسكم أفلا تبصرون "٤" .

ولئن كان فيما مضى من العصور لم يتضح آيات الله في الكون للبشر امتناعاً في هذه الأيام ، فقد وفق عطاء في تفسير الآية أيما توفيق .

(١) ولد برنارد جلوسر في إنجلترا ، واستوطن الولايات المتحدة الأمريكية ، له

قراءة واسعة في الطب انظر ترجمته في مقدمة كتابه .

(٢) كتاب : " جسم الإنسان " ترجمة الدكتور صلاح الدين سلامة ص ٩ طبع بدار

المعارف الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٧ م

(٣) سورة فصلت ٥٢

وقد وعد الله سبحانه بأنه سيرى الكفار آياته فى الكون ، وهما هى الآيات
تتجلى لهم ، يوما بعد يوم مما يدعو الكثيرين ممن اكتشفوا الأسرار الموضوعة
فى الكون ، الى الايمان بوجود الله ، والتوجه نحوه بالخضوع والاحلال .

وقال تعالى : " وفى الأرض آيات للموقنين . وفى انفسكم أظلال تبصرون " ١
ويقول العلامة صدق حسن خان فى تفسير هذه الآية :

" (وفى الأرض آيات) أى دلائل واضحة ، وعلامات ظاهرة ، من الجبال
والبر والبحر والأشجار والأنهار والثمار . . . (للموقنين) أى للموحد بين
الذين سلكوا الطريق البرهانى الموصول الى المعرفة ، فهم نظارون بعيون
باصرة ، وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأويلها ، فزادوا ايقانا على
ايقانهم . . . (وفى انفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال ،
آيات تدل على توحيد الله وصدق ما جاءت به الرسل ، فانه خلقهم نطفة ،
ثم طقة ، ثم مضغة ، ثم عظام الى أن ينفخ فيهم الروح ، ثم تختلف بعد ذلك
صورهم وألوانهم وطبائعهم والسننهم ، ثم نفس خلقهم على هذه الصفة العجيبة
الشان من لحم ودم وعظم وأعضاء وحواس ومجارى ومفاصل ، وفى بواطنها
وظواهرها من عجائب الفطرة وديائع الخلق ، ما تتحير فيه الأذهان ، وحسبك
بالقلوب وما ركز فيها من العقول ، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف ، وما فى
تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعية ، والبيئات القاطعة على
حكمة مدبرها وصانعها ، دواعى الأسماع والأبصار ، والأطراف ، وسائر الجوارح ،
وتأثيرها لما خلقت له ، وما سوى ذلك فى الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى ،
فانه اذا جسا منها شئ جاء العجز ، واذا استرخى اتاخ الذل فتبارك الله
أحسن الخالقين " ٢

هذه بعض آيات الله فى الكون ، تدل عليه ، وتقود وترشد اليه ، وهى
نقطة من بحر آيات الله الكثيرة فى كونه الواسع الفسيح ، وأسراره الكامنة فيه ،
وهى ترينا بوضوح ودقة وجمال صنع الله الذى اتقن كل شئ خلقه .

(١) سورة الذاريات ٢٠ - ٢١
(٢) فتح البيان ج ٩ ص ١٢١ طبع بمطبعة العاصمة بشارع الفلكى بالقاهرة

وبعد : فقد تبين لنا ان الدلائل على وجود الله ، لاتحد ولا تحصي ،
والتي تم استعراضها هنا في هذه النقاط لم تكن على وجه الحصر بل كان على
وجه الاشارة والايجاز فقط .

وبالمقارنة بين أدلة المسيحيين والأدلة الاسلامية على وجود الله ، يبدو
جليا أن الفريقين لا يخطئان في تبني الأدلة الكونية على وجود الله ، الا أن
الاستدلال بالآيات الكونية في الأناجيل أو ما قبلها من كتب العهد القديم ،
لا نكاد نلمس له أثرا كما يتجلى واضحا في القرآن الكريم ، آياته وبراهينه التي
تتري لأقامة الحجة على وجود الله .

ولا يعزى من بالنّا أن شقة الاختلاف بين المسيحية والاسلام في الذات
الالهية تسمح لأحد أن يقول ، ان التقارب والتشابه بينهما في الاستدلال على
وجود الله بالأدلة الكونية ، يقرب بين المسيحية والاسلام ، لأن هذه الشقة
بعيدة جدا ، ولأن الله الذي يستدل الاسلام على وجوده بهذه الأدلة ، لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأما الاله الذي يستدل المسيحيون
على وجوده بتلك الأدلة فله ابن تجسد في بطن العذراء مريم فولد بشرا سويا ،
وأن هذا الاله ذو ثلاثة أقانيم ، أقنوم الآب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح
القدس ، كما سيأتي بيان هذا كله في موضعه انشاء الله .

صفات الله تعالى في الاسلام

سبق ان ذكرنا في مبحث الصفات عند المسيحيين ، أن للصفات الالهية
أهمية كبيرة في جميع الأديان السماوية ، والاسلام من بين هذه الديانات السماوية ،
قد أعطى للصفات الالهية أهمية خاصة .

وفي مبحث الصفات هذا ، تظهر وجوه الاختلاف أو الائتلاف بين هذه الأديان
كلها ، والصفات التي سبق عرضها في مبحث الصفات عند المسيحيين ، ليست هي كل
الصفات التي يطلقها المسيحيون على الله تعالى ، وكذلك الصفات التي سيتم بحثها
هنا ، لن تكون كل صفات الله في الاسلام ، بل ان هذه الصفات وتلك ، هي بعض ما
لدى الفريقين من صفات الله تعالى .

ونرى لزاما علينا ان نكتفى هنا بعرض نماذج من صفات الله تعالى فى الاسلام ، على غرار تلك الصفات التى سبق البحث عنها عند المسيحيين ، وذلك ، لأن المقارنة تقتضى عدم الانطلاق فى اتجاهين لا تربط بينهما صلة ما ، بل لابد ان يكون هناك ارتباط بين الأشياء التى تقصد المقارنة بينها .

وطى وجه العموم ، فان الاسلام يرى أن الله تعالى له الصفات العلى ، لا يشارك فيها أحد من مخلوقاته ، ولا يدرك كسها أحد منهم ، وما كان منها موهما التشابه بين الله وبين عباده ، فهو اشتراك لفظى فقط ، دون أن يكون فى ذلك اشتراك فى المعنى الحقيقى ، والفرق بين تلك الصفات البشرية والصفات الالهية ، كالفسق بين الخالق والمخلوق .

والمبدأ الأساسى فى الاسلام فى صفات الله تعالى ، هو أنه عز وجل ليس كمثل شئ * وهو السميع البصير .

وفى هذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : " والمسلمون وسط ، يصفون الله بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، يصفونه بصفات الكمال ، وينزهونه عن النقائص التى تمتنع على الخالق فيصفونه بالحياة والقدرة والعدل والاحسان ، وينزهونه عن الموت والنوم والجهل والعجز والظلم والفساد ، ويعلمون مع ذلك أنه لا مثل له فى شئ من صفات الكمال ، فلا أحد يعلم كعلمه ، ولا يقدر كقدرته ، ولا يرحم كرحمته ، ولا يسمع كسمعه ، ولا يبصر كبصره ، ولا يخلق كخلقه ، ولا يستوى كاستوائه ، ولا يأتى كاتيانه ولا ينزل كنزوله كما قال تعالى : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) " سورة الاخلاص " ، ولا يصفون أحدا من المخلوقين بخصائص الخالق جل جلاله ، بل كل ما سواه من الملائكة والأنبياء وسائر الخلق فقير اليه ، عبد له ، وهو الصمد الذى يحتاج اليه كل شئ ، ويسأله كل احد ، وهو غنى بنفسه لا يحتاج الى أحد فى شئ من الأشياء كما قال تعالى ، (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا ، لقد احصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتية يوم القيامة

(فرد ١) " سورة مريم ٨٨ — ٩٥ " ١

هذا هو المبدأ الاساسى فى الاسلام فى وصف الله عز وجل بما يليق به ، وتنزيهه عما لا يليق به ، وذلك على ضوء ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولكى تتضح صورة الايمان الاسلامى بصفات الله عز وجل ، نورد فى هذا المبحث بعض الصفات التى يثبتها الاسلام لله عز وجل مع الأدلة المثبتة لها من القرآن الكريم ، ولنتزم بأن تكون هذه الصفات كذلك الصفات التى يؤمن بها المسيحيون ، لتكون المقارنة بين ما يؤمن به الفريقان واضحة سهلة .

مقارنة بين صفات الله تعالى عند المسيحيين وبين صفاته تعالى فى الاسلام

من صفاته تعالى عند المسيحيين ، أن الله تعالى غير محدود . ومعنى أنه عز وجل غير محدود ، أن الله تعالى لا يحده شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ، وأتة حاضر فى كل مكان بذاته ، ومنزه عن التحيز والتركيب والتجزئة والاختلاط مع غيره من المخلوقات . " ٢ "

ما موقف الاسلام من هذه الصفة :

ان الاسلام لا يمانح فى وصفه تعالى بأنه غير محدود فى ذاته وصفاته بمعنى انه لا يحده زمان ولا مكان ، وليس له صفات معددة ، بل يوضح ذلك القرآن الكريم بقوله :

" لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير " ٣ " ويقول :
" يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به طما " ٤ .

قال الشيخ صديق حسن خان فى تفسير هذه الآية : " لا تحيط طومهم بذاته ولا بصفاته ولا بمعلوماته " ٥ .

- (١) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح ج ١ ص ٢٣٤ مطبعة المدنى
- (٢) انظر شرح اصول الايمان ج ١ ص ٢٩ — ٣٠
- (٣) سورة الانعام ١٠٣
- (٤) سورة طه ١٢٠
- (٥) تفسير فتح البيان ج ٦ ص ١١٩

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير آية " لن تراني " من سورة الاعراف
بعد أن جاء بآية سورة الانعام السابقة : " ونظيره قوله تعالى : (يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ، أى هو يحيط بهم علما ، لأنه يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم " والله من ورائهم محيط " ، وهم لا يحيطون به علما لأن احاطة
المحاط بالمحيط محال . . .

ثم ذكر الشيخ محمد رشيد رضا تفسيراً لابن تيمية حيث قال : " . . .
فالمعنى اذن ، أنه يرى ، ولا يدرك ، ولا يحاط به . . . فقوله ، " لا تدركه
الابصار " ، يدل على غاية عظمته ، وأنه اكبر من كل شئ ، وأنه لعظمته لا يدرك
بحيث يحاط به " . . . " ١

ولكن الاسلام مع عدم معانته في وصف الله تعالى بأنه غير محدود ففى
ذاته وصفاته ، ومع موافقته على بعض معانى هذه الصفة ، فانه لا يرى المسيحيين
ملتزمين بمقتضى هذه الصفة ، وسنرى ذلك جليا فى هذه المناقشة .

معنى الصفة مرة أخرى ، " أن الله تعالى غير محدود فى ذاته " .
وأول نقاش يدور هنا ، لا يتعلق بمعنى هذه الصفة ، وانما يتعلق بصفات أخرى
مناقضة لهذه الصفة ، وتلك الصفة المناقضة ، هى صفة التجسد الالهى الذى يقولون
به بجانب قولهم بهذه الصفة ، والتجسد معناه — كما مر ذلك — أن يظهر الله
للبشر فى صورة ما من صور المخلوقات .

أفلا يناقض هذا التجسد وصفه تعالى بأنه غير محدود فى ذاته ؟ بل انه
يناقض تلك الصفة غاية المناقضة .

وبيان ذلك أن الاله الذى ظهر لابراهيم ومعه رجلان وهو ثالثهم ،
والذى ظهر لزوجته هاجر ، وظهر لحفيده يعقوب بتلك الصفات المحدودة ، لم
يكن سوى اله محدود فى ذاته وصفاته ، محدود فى ذاته لأنه جلس تحت الشجرة مع
الرجلين ، ومحدود فى صفاته لأنه أكل وشرب ، فالأكل والشرب صفتان من صفات
المخلوقين لا من صفات الخالق .

ومن معانى هذه الصفة ، أن الله تعالى حاضر فى كل مكان بذاته ، كما ذهب الى ذلك شارح الصفة * ١

كيف يكون الله موجودا فى كل مكان بذاته ، وهو قد تجسد وظهر فى بعض الأجساد ، وفى بعض الامكنه دون غيرها ؟

ومن معانيها كذلك ، أن الله تعالى منزه عن التحيز والتركيب والتجزئة والاختلاط مع غيره من المخلوقات *

كيف يستقيم معنى هذه الصفة مع دعوى التجسد الالهى ؟ أو ليس التجسد هو نفس التحيز ؟ أو لم يتجسد هذا الاله فى بطن مريم بعد ان تجسد على عهد ابراهيم ويعقوب وموسى ؟ وكيف ينسجم كلامهم فى نفى التركيب مع دعوى التجسد ؟ أو لم يتحد اللاهوت بالناسوت فى بطن العذراء ؟ أو ليس المسيح فى نظرهم مركبا من اللاهوت والناسوت ؟ وهرما ينفونه بهذه الصفة * وما جدوى نفى اختلاط الله مع غيره من المخلوقات - وهو قد اختلط حسب قولهم - بعظم ولحم ودم فى تجسده الأخير وظهوره فى المسيح ؟

وهذا كله مما يتناقض تناقضا عجيبا ، ويتنافر تنافرا غريبا * والاسلام وهو يصف الله تعالى بصفات الكمال التى من بينها عدم محدوديته فى ذاته وصفاته ، يرى فى المسيحية هذا التناقض الذى لا يمكن ان يتفق بحال من الأحوال *

ولعل القرآن الكريم يشير الى هذا التناقض فى قوله تعالى : (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون * ٢

فالذى من صفاته أكل الطعام ، لاشك أنه محدود فى ذاته وصفاته ، وما كان لاله غير محدود به حياة كل شىء ، أن يعتمد فى حياته على الطعام ، فاعتماده على الطعام فى حياته دليل على أنه مفتقر الى غيره ، ومحدود فى ذاته وصفاته *

(١) راجع شرح اصول الايمان ج ١ ص ٣٠

(٢) سورة المائدة ٧٥

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير هذه الآية من سورة المائدة :

"... وكل من يأكل من طعام فهو مفتقر الى ما يقيم بنيته ويمدحياته ، لئلا ينحل بدنه ، وتضعف قواه فيهلك — دع ما يستلزمه أكل الطعام من الحاجة الى دفع الفضلات — وكل مفتقر الى غيره ، فهو ممكن مساو لسائر الممكّنات المخلوقة فليس حاجتها الى غيرها ، فلا يمكن أن يكون ربا خالقا ، ولا ينهض أن يكون ريسا معبودا ... " ١

وهذا التناقض الذي تبين لنا هنا بكل وضوح وجلاء ، ليس مقتصرًا على هذه الصفة فحسب ، بل يطرد في جميع الصفات التي سبق عرضها في مبحث الصفات من الباب الأول ، كما سنرى في مناقشتها التالية ، طي ضوء تناقضها مع نفسها ، ومناقضة القرآن الكريم لها .

ومن صفاته تعالى عندهم " القدرة على كل شيء " ٢

والاسلام أيضا يرى أن الله قادر على كل شيء ، وليس شيء يعجزه فسي الأرض ولا في السماء خلقا وحفظا وإعداما ، وما من قدرة في الكون الا وقدرة الله فوقها ، وهو يخلق ويحفظ ويحيى ويميت بقدرته .

يقول الله تعالى : (ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير) ٣

وقال عز وجل : (وما كان الله ليحجزه من شيء في السموات ولا في الأرض انه كان طيما قديرا) ٤

والاسلام — وهو يصف الله تعالى بالقدرة على كل شيء — لا يختلف مسح المسيحية في وصفه تعالى بهذه الصفة ، ولكننا نناقش المسيحية على ضوء ايمانهم بهذه الصفة .

هل القدرة على كل شيء تتناسب مع فلسفة الفداء التي تعنى ان الله تعالى

(١) تفسير المنار ج ٦ ص ٤٨٩

(٢) سورة آل عمران ١٨٩

(٣) سورة طه ٤٤

ضحى بآبائه الوحيد للتكفير عن خطيئة آدم التي تسربت الى ذريته من طريق الوراثة ؟

لماذا لم يتجاوز الله عن خطيئة آدم بلا تضحية ؟ وهل تجاوز الله عن خطيئة آدم من غير ان يضحى بآبائه — كما يقولون — ، أمر يعجز الله تعالى ، وهو الذى مسن صفاته القدرة على كل شئ ؟

لقد اتضح لنا من قبل ان المسيحيين يصفون المسيح بالقدرة على كل شئ ، وهل يتناسب مع قدرته على كل شئ هربه مع امه مريم الى مصر من الملك الرومانسى هيرودس ؟ ^١

وورد فى انجيل متى ان المسيح صام اربعين يوما وجاع ^٢ فأين القدرة على كل شئ مع الحاجة الى الطعام والشراب ؟ أولا يستطيع البقاء بلا طعام ولا شراب طول حياته ؟ وأين القدرة على كل شئ ، وهو قد أسلم الى ايدى الرومان الذين صلبوه رغم حزنه العميق ، ومحاولته الهرب من ملاحقتهم ؟ ^٣

ثم اين القدرة على كل شئ ، وهو لم يستطع مقاومة اليهود ، وهذا هم له مع الرومان ، وذلك حينما وشى به اليهود عند الحكام الرومان ، وسعوا فى القبض عليه واعدامه صلبا كما يقولون ؟ ^٤

ومن صفاته تعالى عذبه "العدل"

والاسلام ايضا يصف الله تعالى بالعدل ، وأنه لا يظلم احدا من خلقه ، وأنه يجازى كلا بحسب عمله ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وذلك منتهى العدالة .

يقول : (ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ^٥

-
- (١) انظر انجيل متى ٢ : ١٣ - ١٥
 - (٢) راجع انجيل متى ٤ : ٢
 - (٣) انظر انجيل متى ٢٦ : ٣٦ - ٤٦
 - (٤) راجع انجيل متى ٢٦ : ٣ - ٥ و ٢٧ : ١ - ٢
 - (٥) سورة النساء ٤٠

ويقول عز وجل : (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ريك بنظام للعبيد) "١"

هذه بعض دلائل الكتاب للمجيد على العدالة الالهية ، والاسلام يؤمن بها في اجلى صورها ، وأسمى معانيها .

ويتبين من هذا أن العدل الالهى ليس موضع خلاف بين الاسلام والمسيحية ، ولكن هل من عدل الله أن يؤخذ احدا بذنب لم يعطه ؟

يقول المسيحيون ان البشر جميعا مذنبون بذنب ابيهم آدم حينما أكل من الشجرة باغراء من ابليس .

كيف يصح هذا والله عز وجل من صفاته العدل ، ومن عدالة الله ألا يؤخذ غير الجانى ؟ وطى هذا دلت الكتب السماوية ، يقول سفر التكوين طى لسان ابراهيم عليه السلام حينما جاء امر الله لاهلاك قرية قوم لوط : " ... عاشا لك ان تفعل مثل هذا الأمر أن تمت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم حاشاك اديان كلا الأرض لا يصح عدلا " "٢" . والى ذلك يشير القرآن بقوله : (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ، وابراهيم الذى وفى . الا تزر وازرة وزر أخرى) "٣"

ان العدالة الالهية لا تقتضى معاقبة غير الجانى ، ولكنها تقتضى براءة الأبرياء فى كل وقت وحين ، ولأننا أخذ الأبناء بذنوب الآباء ، كما تقتضى براءة المسيح من خطيئة آدم مع سائر ذريته " ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى " "٤"

اذا كانت عدالة المسيحيين قد حكمت فى القرن العشرين بتبرئة اليهود من دم المسيح بحجة أن الآباء الاقدمين هم الذين قتلوه ، وأبناءؤهم من بعدهم لا دخل لهم فى ذلك ، فكيف لا تحكم العدالة الربانية ببراءة البشر من خطيئة آدم لنفس السبب ؟ ..

(١) سورة فصلت ٤٦

(٢) سفر التكوين ١٧ : ٢٥

(٣) سورة النجم ٣٦ - ٣٨

(٤) سورة الأنعام ١٦٤

هذا على فرض بقاء آدم مذنباً ، أما وقد تاب الله عليه بتوبته وندامته
فليس لأحد أن يقول بأن اثر الذنب باق ، وأن آدم مذنب ، فضلاً عن أن يعتقد
بأن ذريته أذنبت بذنبه .

ومن صفاته تعالى عندهم " الرحمة "

ولهذه الصفة عند المسيحيين أهمية كبيرة نظراً لارتباطها — فسى
نظرهم — بفلسفة الفداء النابع عن الرحمة الالهية .

وكما سبق عند بحث هذه الصفة في ميثاق الصفات من الباب الأول ، فإن
المسيحيين يرون أن هذه الصفة تنفرد بها المسيحية عن غيرها من الأديان
في وصف الله تعالى بها ، لأن صفة الرحمة هذه عندهم ، قربت الاله البعيسد
المتعالى في البيانات الأخرى إلى البشر حتى كان رحيماً بهم وقربها منهم فسى
المسيحية ، بأن ارسل ابنه الوحيد فداءً لهم .

وعلى الرغم من أن المسيحية ترى لنفسها الاختصاص في وصفه تعالى
بالرحمة ، فإن هذا ادعاء لا يمكن أن يسلم به الاسلام ، لأن الاسلام ايضاً
يوهم بصفة الرحمة ، ولكن بطريقة تخالف الطريقة المسيحية .

فبينما ترى المسيحية أن من مظاهر تلك الرحمة ، ارسال ابنه الوحيد
فداءً وخلاصاً للبشر ، فإن الاسلام يرى أن من مظاهر تلك الرحمة أن يغفر الله
الذنوب ، ويستر العورات والغيوب ، وأن لا يؤخذ أحداً بذنب لم يرتكبه .

يقول الله تعالى : (قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعاً ، انه هو الغفور الرحيم)^١

ومن رحمته أن جعل القنوط من رحمته ضلالاً عن الهدى ، وما ذلك الا

مظهرها من مظاهر الرحمة ، بمعناها الواسع . قال الله عز وجل : (قال ومن يقتط من رحمة ربه الا الضالون) "١" .

وآيات الرحمة في القرآن الكريم لا تكاد تحصى ، وليس في الكتاب المقدس بعهديه : القديم ، والجديد ، ما يمكن أن يجارى كتاب الاسلام في ابراز صفة الرحمة الالهية ، وليس الله في الاسلام ، بل وفي كل دين له من الحق نصيب ، سوى السه قريب مجيب رحيم ودود .

قال الله تعالى : (واذا سألك عبادي عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دنا) "٢" . وقال : (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود) "٣"

وبعد هذه الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، فليس للمسيحيين أن يقولوا ان صفة الرحمة مما تختص بها المسيحية من بين الأديان .

ما مقتضى المحبة والرحمة ؟

مقتضى المحبة والرحمة ، التجاوز عن السيئات حينما يتوب المسى ، فقد عصى آدم ربه وتاب ، فمن مقتضى محبته ورحمته تعالى ، ان لا يبقى مع التوبة ذنب هذا فيمن أذنب وتاب .

أما من لم يذنب ، فمقتضى الرحمة فى حقه ، أن لا يؤخذ على ما لم يرتكبه ، فقد عصى آدم ، وما بال ذريته يؤخذون بذنب ابيهم ، وهم لم يشهدوا وقسوع الذنب ، ويرثون منه براءة الكف من الشعر ، وبراءة الذنب من دم يوسف ؟ هذا مقتضى الرحمة ، ولكن المسيحية ترى خلاف ما تقتضيه الرحمة الالهية ، والرحمة الالهية ، هى التى اخرجت بنى اسرائيل من مصر ، وأنجتهم من العذاب المهيمن ، وهى التى خصتهم بارسال عدد كثير من الأنبياء منهم ، وهى التى اقتضت تجاوز الله تعالى وتوبته عليهم رغم ما وقع منهم من عصيان لرسله ، وقتل لأنبيائه .

(١) سورة الحجر ٥٦

(٢) سورة البقرة ١٧٦

(٣) سورة هود ٩٠

ومع هذا ، فكيف تكون المسيحية مختصة بصفة الرحمة ، والاسرائيليون أنفسهم لمسوا آثار تلك الرحمة الالهية ؟

ومن صفاته تعالى عندهم " الحكمة "

والحكمة التي تعنى وضع كل شئ في مكانه اللائق به ، هي صفة من صفاته تعالى في الاسلام أيضا ، ولا خلاف بين الاسلام والمسيحية في وصف الله تعالى بهذه الصفة .

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أن الله تعالى حكيم يتصف بالحكمة في كل ما يفعل ، حكيم في تقديره ، حكيم في خلقه ، حكيم في قضائه ، حكيم في رزقه وأحيائه وماتته ، وترتيبه للكون حتى ظهر في شكله البديع من التناسق والتناسب .

قال الله تعالى : (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم) " ١ " . وقال عز وجل : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) " ٢ "

وقال سبحانه : (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيم) " ٣ " .

هذه هي عقيدة الاسلام في حكمة الله تعالى ، وليس في المسيحية ما يقارب أو يداني الأدلة الاسلامية على حكمة الله تعالى ، ومع توافق المسيحية والاسلام في اثبات هذه الصفة لله ، فإن التناقض الذي يطرد في المسيحية في كل مسألة من مسائل العقيدة ، يجعل هذه الصفة بعيدة عن المفهوم الاسلامي لها .

ما التناقض الذي في هذه الصفة ؟

ان أول تناقض في المسيحية في اثبات هذه الصفة ، يتضح في مسألة ادانة

-
- (١) سورة آل عمران ٦
 - (٢) " " ١٨
 - (٣) سورة الفتح ٤

البشر بسبب خطيئة ابيهم آدم حسب قولهم •

والحكمة تقتضى مؤاخذه الجانى ، وبقا غير طى ما كان عليه من البراءة طالما لم يرتكب ذنبا يستحق عليه العقوبة ، ولكن المسيحية ترى أن الله عز وجل يؤاخذ الابرياء بما لم يرتكبه من ذنب ، ذلك مع ايمانهم بالحكمة الالهية •

تقول المسيحية ، ان البشر جميعا خطاة يستحقون غضب الله عليهم بسبب خطيئة ابيهم آدم •

فأين الحكمة الالهية التى يثبتونها من هذه العقيدة ؟ كيف يستحق الناس جميعا غضب الله وهم لم يرتكبوا الذنب ، بل ولا شهوده ؟

وتقول المسيحية أيضا ، ان المسيح طيه السلام يعتبر أول برى من خطيئة آدم لولادته بعد تجسده من الله فى بطن العذراء مريم ، ولبرائه وعسدم تسرب الخطيئة اليه من البشر ، قدم نفسه للصلب تظليما لهم ، وتكفيرا لخطاياهم الموارثة عن ابيهم الأول •

ان براءة المسيح من ذنب آدم ، يقتضى فى منطق الاحكمة ، ان لا يصلح لتكفير خطيئة المذنبين طالما هو برى من تلك الخطيئة ، ثم ان اولئك الخطاه فى نظر المسيحية ، هم الذين قدموا المسيح للصلب وأهانوه ضربا وسبا ، وقضوا طى حياته ظلما وعدوانا ، وهذه خطيئة كبرى ارتكبها اولئك الذين تأمروا طيه ، فكيف تمحو الخطيئة الكبرى خطيئة أخرى هى دونها فى القبح ؟ ان الحكمة الالهية التى اثبتها المسيحيون ، تناقض هذه العقيدة ، لأنها تقتضى أن لا يؤاخذ أحد الا بما كسبت يده • ألا ترى أن من قتل نفسا بخير حق ، تقتضى الحكمة فى حقه أن يعاقبه فقط ، لا أن يؤاخذ ابنه أو قريبه أو صديقه للقصاص ، ومن فعل ذلك من البشر ، يعتبر ظالما أحق ، فكيف يليق هذا بالله جل شأنه ؟ وهذا فى منطق الحكمة ومقتضاها ، أما فى المسيحية فان الحكمة طارية عن هذا المعنى •

ثم على فرض مؤاخذه ذرية آدم بذنب ابيهم ، فان الحكمة تقتضى ان يتوب الله على من تاب منهم ، من غير حاجة الى الكفارة بضحية بريئة كال المسيح •

الحكمة الإلهية تقتضى عكس ما تعتقده المسيحية فى خطيئة آدم وما ترتب عليها فى نظرها من استحقاق البشر للهلاك والموت الابديين وما تلا ذلك من القداء والصلب من اجل الكفارة •

واذا كان البشر — وهم بشر — لا يستسيغون فيما بينهم مؤاخضة البرى ومعاقبته على ما جناه غيره ، فما بال المسيحيين يستسيغون هذا بالنسبة لله تبارك وتعالى الموصوف لديهم بالحكمة ؟ وما جدوى اثبات هذه الحكمة ما لم تتجلى مقتضياتها وآثارها فى مثل هذه الأمور ؟

هذا تناقض فى المسيحية فى اثبات صفة الحكمة ، مع ايمان اصحابها بأن البشر جميعا مذنبون بذنب آدم • وسنرى تناقضا آخر فى اثباتهم لصفة العلم ، مع اعتقاد آخرينا فى صفة العلم فى المسيحية •

ومن صفات الله تعالى عندهم " العلم "

وكذلك الاسلام يرى اتصاف الله تعالى بالعلم الكامل ، والله عز وجل فى الاسلام محيط بكل شىء علما ، وأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، والقرآن الكريم أعطى جانبا عظيما لهذه الصفة الإلهية فى كثير من سوره وآياته البينات •

قال الله تعالى : (ان الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء) " ١ " وقال : (ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شىء عليم) " ٢ " وقال : (رينا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله شىء فى الأرض ولا فى السماء) " ٣ " • وقال سبحانه : (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) " ٤ "

هذه الآيات البينات تدلنا على علمه تعالى بدقائق الأمور وجلالها ، وأن الله تعالى يعلم ما يخفى الانسان فى صدره ، بل وما لا يعلمه المرء عن نفسه ، وليس هناك من ظلمة ولا من حاجز مكانى أو زمانى يحول بين الله وبين العلم الدقيق بكل شىء ، ولتخطر فى هذه الآية من القرآن حيث يقول عز وجل : (وعنده مفاتح

(١) سورة آل هيران ٤

(٢) سورة الاحزاب ٥٤

(٣) سورة ابراهيم ٣٨

(٤) سورة طه ٧

الخبيل لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها
ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين " ١ "

هذه صفة ظم الله تعالى فى الاسلام وهذه ادلته البينات ، وهى أدلة
لا يوجد ما يدانيها فى العهدين : القديم والجديد ، سواء كان ذلك من حيث
كثرتها ، أو من حيث دلالتها وصراحتها .

فما مدى انسجام هذه الصفة فى المسيحية مع عقيدتها فى الذات الالهية ؟
ان اول ما يلاحظ من عدم الانسجام فى هذه الصفة مع المعتقد المسيحى ، تلك
النصوص الواردة فى سفر التكوين ، والتى تدل على أن الله لم يعلم بمكان وجود آدم
فى الجنة لاخبائه حتى ناداه قائلا : " أين انت " ٢ .

أين صفة ظمه تعالى مع هذا النص من التوراة ؟ كيف لم يعلم الله بمكان
وجود آدم بعد اختبائه ؟ وما ورد فى سفر الخروج أيضا من أن الله تعالى طلب
من موسى أن يتخذ بنو اسرائيل علامة تميزهم عن المصريين عندما اراد اهلاكهم
حتى لا يهلكوا مع من يهلكهم من المصريين فيحبر ضمهم ، وذلك بأن أمرهم بوضع
الدم على البيوت الاسرائيلية : " ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى انتم فيها
فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضرره للهلاك حين أضرب أرض مصر " ٣ .

أليس هذا النص مناقضا لعلمه تعالى ؟ كيف يطلب الله من بنى اسرائيل
أن يضعوا علامة على بيوتهم خشية أن يهلكهم مع الهالكين بلا ظم منه تعالى أنهم
اسرائيليون ؟

وفى نص آخر من سفر التكوين يقول ان ثلاثة رجال ومن بينهم الله سألوا
ابراهيم عليه السلام عن مكان وجود امرأته ساره قائلين له : " أين ساره امرأتك
فقال ها هى فى الخيمة " ٤ .

(١) سورة الانعام ٥٩

(٢) سفر التكوين ٣ : ١٠

(٣) سفر الخروج ١٢ : ١٣

(٤) سفر التكوين ١٨ : ٩

أين صفة العلم من هذا النص وهو ينسب الى الله الجهل بمكان وجود
سارة امرأة ابراهيم عليه السلام ؟

هذا مما يناقض صفة العلم مناقضة لا يبقى لها أثر •

وفي نص آخر في الانجيل سئل المسيح عن الساعة فأجاب بأن موعد هذا
لا يعلمه هو ولا ملك وإنما يختص الله تعالى بمعرفة ميقاتها بلا مشاركة مسن
خلقه :

" وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات الا ابي
وحده " ١ .

أوليس المسيح هو الله في نظرهم وأنه يعلم كل شيء وهو في ذلك مثل
الآب ؟ كيف يختص الآب بعلم الساعة دون الابن ، والمسيحية ترى انه لا فرق
بين علم الآب وعلم الابن لأن كلا منهما عليم بكل شيء في نظرهم ؟

وفي نص آخر جاء أن المسيح كان يجأر بالدعاء الى الله في صلاته طالبا
منه أن ينجيه من الموت على يد المتآمرين عليه قبل القبض عليه بساعات — كما
يقولون — وهو نص يناقض علمه بما سيحدث له من صلب وموت على الصليب :
" ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا يا ابتاه ان أمكن فلتعبر عني
هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد انا بل كما تريد أنت " ٢ .

يدلنا هذا النص على أن علم المسيح بكل شيء ليس صحيحا ، لأنه لو
يعلم أن موته على الصليب لا مناص منه لما جأر الى الله بالدعاء ، لأن علمه بكل
شيء يقتضي الاحاطة بكل ما سيؤول اليه أمره •

فيظل بهذا علمه بكل شيء ، وبالتالي ألوهيته ونبوته لله تعالى • والا
فما معنى هذا الدعاء المسيحي في تلك اللحظة الحرجة من حياته في نظرهم ؟ •

(١) انجيل متى ٢٤ : ٣٦

(٢) متى ٢٦ : ٣٩

ومن صفاته تعالى عندهم " الإرادة "

والإرادة التي تعنى أن الله تعالى يفعل كل شيء بمشيئته لا اعتراض لأحد على ما يفعل ، مما يؤمن الاسلام أيضا بثبوتها لله تعالى ، وهو سبحانه فعال لما يريد ويحكم حسب إرادته ولا معقب لحكمه .

قال الله تعالى : (انما امره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون) " ١ " وقال سبحانه (انما أمرنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون) " ٢ " وقال عز وجل : (ذو العرش المجيد فعسا لما يريد) " ٣ " .

هذه آي الذكر الحكيم واضحة في دلالتها على ثبوت صفة الإرادة لله عز وجل ، وهي ما تثبت المسيحية لله أيضا من صفات .

وهل من تناقض في إثبات هذه الصفة مع معتقد آخر من المعتقدات في المسيحية ؟ . في النص السابق من انجيل متى جاء قول المسيح : " . . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت "

وهذا النص يفاير بين إرادة الله وإرادة المسيح ما يدل لنا على أن إرادة الله هي التي غلبت إرادة المسيح ، وعلى قولهم بالوهمية المسيح فينبغي أن لا يكون فرق بين الإرادتين بل ينبغي أن لا تكون هناك إرادتان .

وطيه فإين الإرادة النافذة الإلهية في المسيح ؟ لقد أراد الله أن يصلب وإراد المسيح أن ينجو من الصلب ، فغلبت إرادة الله وصلب . إذن فإين في المسيح صفة الإرادة الإلهية ؟ .

والحق أن الله أراد أن لا يصلب وإراد ابن مريم أن لا يصلب ، وجأر بالدعاء إلى الله لانتقاذه من شر أعدائه ، فأنجاه الله بإرادته وقد رتبته مستجيبا

-
- | | |
|-------|----------------|
| (١) | سورة يس ٨٢ |
| (٢) | سورة النحل ٤٠ |
| (٣) | سورة المبرج ١٦ |

لدهائمه •

وبذلك صرح المسيح بقوله : " ولكن ليس كما اريد انا بل كما تريد
انت " ولم يكن لارادة المسيح تأثير في ارادة الله تعالى ، وليس ارادته
عن ارادة الله كما هو واضح من كلام المسيح ، بل صادفت ارادة المسيح
ارادة الله تعالى فتحققت ارادته بارادة الله •

صلة الله تعالى بالعالم

ان صلة الله تعالى بالعالم لا تقتصر على خلقه له ، وإيجاده إياه من العدم
وانما هي صلة حفظ وعناية لا يمكن أن تنقطع أو تفتر طريقة من .

قال الله تعالى : " ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا
اناسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا " ١

هكذا تتجلى صلته بالعالم بحفظه من الزوال والاختلال ، لأن زوال جسم
من تلك الأجرام العلوية أو السفلية ، واختلال نظامه ، يسبب دمار العالم ونهايته .
وهو سبحانه قد جعل الشمس نورا والقمر ضياء والنجوم معالم في ظلمات الليل والبحر
وقد رلها منازل ومدارات تسبح فيها ، ولا تحيد عنها قيد أنملة ، لأنه يحفظها في
بقائها وفي سيرها ومنازلها .

وقال جل ذكره : (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) ٢ .
يقول الشوكاني عند تفسير هذه الآية (وما كنا عن الخلق غافلين) المراد بالخلق هنا ، المخلوق : أي ، وما كنا من هذه السبع الطرائق
وحفظها عن أن تقع على الأرض بغافلين . وقال أكر المفسرين : المراد : الخلق
كلهم ، بغافلين ، بل حفظنا السموات عن أن تسقط ، وحفظنا من في الأرض أن تسقط
السما طيهم فتهلكهم ، أو تميد بهم الأرض ، أو يهلكون بسبب من الأسباب المستأصلة
لهم ، ويجوز أن يراد نفي الخلة عن القيام بمصالحهم ، وما يعيشون به ، ونفي الخلة
عن حفظهم " ٣ .

وقال عز وجل : (وسبح كرسية السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو
العلم العظيم) ٤ .

- | | |
|-------|----------------------|
| (١) | سورة فاطر ٤١ |
| (٢) | سورة المؤمنون ١٧ |
| (٣) | فتح القدير ج ٣ ص ٤٧٧ |
| (٤) | سورة البقرة ٢٥٥ |

هذه علاقة الله سبحانه بالعالم ، وهى علاقة حفظ ورعاية ، وفى حفظه
للسموات والأرض حفظ لكل ما فى الكون من حيوان وجماد ، وهذه صلته العامة بخلقه .
وأما صلته بالانسان ، فهى صلة خاصة تتجلى فيها عنايته بالانسان ، ورحمته
به ، وهى ليست صلة أب بابنائهم — كما يرى ذلك المسيحيون — ولكنها صلة خالقة
بخلقه ، صلة رب كريم رحيم بعباده ، تتقاصر العبارات والألفاظ عن التعبير عن عظمها
وعظمتها . والله فى الاسلام ، هو البر الرحيم ، والجواد الكريم ، الذى يفكر كل شئ
الى حفظه وعنايته ورحمته ، فى وجوده واستمراره فى البقاء .

وهو الذى خلق الانسان واصطفاه للحياة على هذه البسيطة ، وجعله خليفة
فيها ، ويسر له جميع اسباب الحياة والسعادة على وجهها ، وسخر له من مخلوقاته
العلوية والسفلية ما جعلها دأبة فى مصلحته واسعاده ، وليس فى امكان احد ان
يحصى نعم الله عدا وحصرا . قال تعالى : (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ان الانسان لظالم كفار) "١" . وقال : (والانعام خلقها لكم فيها دفا ومنافع
ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم الى
بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس . ان ريكم لروءف رحيم . والخيل والبغال
والحمير لتركبوهن ووزنة ويخلق ما لا تعلمون) "٢"

وقال عز وجل : (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر
فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، ان فى
ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يحفظون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلطا الوانه ، ان فى
ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا
منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . والقى
فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم
يهتدون) "٣" .

-
- | | |
|-------|------------------|
| (١) | سورة ابراهيم ٣٤ |
| (٢) | سورة النحل ٥ — ٨ |
| (٣) | " " ١٠ — ١٦ |

وهو سبحانه قد خلق الليل راحة للبشر ، وخلق النهار معاشا يسعون فيه فيما يسر لهم من كسب المعيشة ، وقال في ذلك سبحانه : (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) ^١ " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون " ^٢ . فسبحان رب العظيم الذي حفظ العالم بقدرته ، وأمد الانسان برزقه ورحمته ، ولم يتخل عن حفظه والعناية به طرفه عين ، ولا ادنى من ذلك ، ثم انه تعالى مع تيسير اسباب السعادة للبشر في أرضه وسماؤه لم يتركهم سدى ، لأنه لم يخلقهم عبثا ، بل بحث الى كل أمة من البشر رسولا يدعوهم الى السعادة الروحية بالايمان بالله تعالى ، واتباع صراطه المستقيم ، ونهجه الواضح ، حتى يجمعوا بين السعادة الجسمانية والسعادة الروحية بالايمان بالله تعالى والعمل بالمعالي في هذه الدار .

أضف الى ذلك ما وعدهم به على السنة رسله وأنبيائه من سعادة عظمية في الدار الآخرة ، ان هم أطاعوا الرسل ، واتبعوا سبيله الذي مهده لهم بواسطة رسله الاطهار .

فأعظم يهذه الصلة الربانية من صلة ، وأكرم بها من رب كريم برحيم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو الحي القيوم الذي تقوم به حياة كل حي ، ويقا كل ذره من ذرات الكون في كل لحظة ونفس ١٠٠٠

يقول عز وجل : (يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن) ^٣ " يقول الشوكاني في تفسيره لهذه الآية : " . . . ومن جملة شئونه سبحانه ، إعطاء أهل السموات والأرض ما يطلبونه منه على اختلاف حاجاتهم وتباين أغراضهم ، قال المفسرون : من شأنه انه يحيى ويميت ، ويرزق ويفقر ، ويحز ويذل ، ويمرض ويشفي ، ويعطي ويمنح ، ويغفر ويعاقب الى غير ذلك مما لا يحصى " ^٤ " .

وفي هذه الآية تتجلى صلته تعالى بالعالم في كل لحظة في الوجوه ،

-
- | | |
|-------|----------------------|
| (١) | سورة غافر ٦١ |
| (٢) | سورة القصص ٧٣ |
| (٣) | سورة الرحمن ٢٩ |
| (٤) | فتح القدير ج ٥ ص ١٢٦ |

وكل ما في الوجود مفتقر اليه ، وهو الغنى الحميد جل جلاله •

هذه هي الصلة الربانية بخلقه وهي تتجلى في حياة كل حيوان إذ " ما من دابة في الأرض الا على الله رزقها " وتتجلى في بقا كل موجود محتفظا بنظامه البديع الذي وضعه عليه الخالق المبدع سبحانه •

وهذه هي نظرة العقيدة الاسلامية في هذه الصلة ، ولنعد الى مناقشة نظرة المسيحية فيها •

تري المسيحية — كما سبق في الباب الأول ، أن صلة الله تعالى بالكون عامة صلة خلق ويجاد وحفظ • أما صلته بالانسان خاصة فتري أنها صلة أب بابنائسه وقد تجلت هذه الصلة في نظرهم — في أجلى صورها ، حينما أرسل الابن الوحيد فدا ، وتخليصا للبشر •

ولكن صلة الرحمة والرأفة من الله تعالى بالانسان ، أوضح وأجل من هذه الصلة التي تتصورها المسيحية •

والمسيحية في معتقداتها ، تحاول ان تعيد كل ضمير الى المسيح ، والمسيح في المسيحية هو مرجع الضمير حتى ولو كان الضمير مذكورا في العهد القديم من غير أن تسبق الضمير إشارة ما الى المرجح ، والمسيح في العهد الجديد ، هو مرجع الضمائر وصلة الموصولات ، وهو الرابط بين جمل العهدين ، القديم ، والجديد •

وهنا تذكر المسيحية أن المسيح هو الرابط بين الله وبين البشر ، لا لأنه رسول أوحى اليه وجاء برسالة من رب العالمين ، بل لأنه — ضد هم — اله وابن اله تجسد في بطن العذراء مريم ، ليبني القطرة المفقودة بين الله وبين الانسان منذ خطيئة آدم • " ١ "

والاسلام — بالاضافة الى ما سبق — يرى أنه ليس بين الله وبين احد من خلقه قرابة نسب ، وليس يقرب الانسان شيء غير العمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه •

(١) راجع يسوع المسيح شخصيته تعالىمه ص ٧٤ وقد سبق النص في مبحث صلة الله بالعالم من الباب الأول •

الفصل الثاني

- * وحدانية الله تعالى في الاسلام
- * الدلائل الكسوفية على وحدانيته تعالى
- * المراد بالروح القدس في الاسلام
- * مناقشة مسألة الاقانيم

وحدانية الله في الاسلام

إذا كانت المسيحية الحالية قد تميزت من بين الأديان السماوية بتمسكها بالاقانيم الثلاثة في إيمانها ، فإن الدين الاسلامي يتفرد باحتفاظه بتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته .

ولسنا ندعي أن الدين الاسلامي لم يكن له نظير في الأديان السماوية قبل أن تمتد إليها أيدي التحريف ، ولكننا نقول أن الاسلام هو الذي بقي محتفظاً بقواعده وأركانه سماوية صافية ، لم تنلها يد التغيير والتبديل مثلما نالت من سابقيه اليهودية والمسيحية .

كيف لا وقد ختم الله به الرسالات وتكفل بحفظه وذلك بحفظ القسرين الكريم كتابه الخالد ، الذي أرسى قواعد التوحيد ، وأوضح معالمه ، وبه بين حدوده ببيان لا يحتاج أحد بعده إلى تفسير أو إيضاح .

والوحدانية في الاسلام لم تكن رموزاً غير مفهومة المعنى ، ولكنها وحدانية بينها القرآن الكريم ، وقبلتها الفطر السليمة ، وأكدها العقل المتجرد من قيود الهوى والتعصب للأفكار السقيمة ، ودلت عليها الأنظمة الكونية في ترابطها وتناسقها البديع .

وأول باب يدخل منه المرء إلى الاسلام هو ، شهادة أن لا إله إلا الله . يقول شارب العقيدة الطحاوية " اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل " .^١

قال الله عز وجل : (والهمك الله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) " ٢ " . وهذا المبدأ الذي دلت عليه هذه الآية من توحيد الله عز وجل في ألوهيته ، لم يتركه القرآن خلواً من دليل يدعمه ، وبرهان يعضده ، ولذلك يقول الله تعالى :

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢ الطبعة الثالثة منشورات المكتب الاسلامي

بدمشق

(٢) سورة البقرة ١٦٣

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض) " ١ " . ويقول شارح العقيدة الطحاوية بعد استدلاله بهذه الآية : " فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر . فان الاله الحق لا يد أن يكون خالقا فاعلا يوصل الى عابده النفع ، ويدفع عنه الضر ، فلو كان معه سبحانه اله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشراكة ، بل ان قدر على قهر ذلك الشريك وتفرد به بالملك والالهية دونه فعل ، وان لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق ، كما يتفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه ، اذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد ثلاثة أمور :

اما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه

واما ان يعلو بعضهم على بعض

واما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا يتمصفون فيه ، بل يكون وحده هو الاله ، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه . وانتظام أمر العالم كله واحكام امره ، من أدل دليل على أن مدبره اله واحد ، وملك واحد ، ورب واحد ، لا اله للخلق غيره ، ولا رب لهم سواه " ٢ " .

ويقول امام الحرمين الجويني : " لو أثبتنا الهين قديمين ، حيين ، قادرين ، واراد أحدهما حركة جوهر في وقت معين ، وأراد الثاني سكونه ففى ذلك الوقت ، وقصد كل واحد منهما الى تنفيذ مراده ، فلا يخلو : اما ان يقدر حصول المرادين ، واما ان يقدر انتفاؤهما ، واما ان يقدر حصول احدهما وانتفاء الآخر . فان قدر حصول المرادين ، كان ذلك محالا ، ولزم من تقديره تجويز اجتماع الضدين . وان قدر انتفاء المرادين ، كان ذلك محالا لاستحالة عسرو الجوهر القابل للحركة والسكون عنهما . . . على أنه لو قدر امتناع المراد يسكن

(١) سورة المؤمنون ٩٢

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣ — ٢٤

لدل ذلك على نقص كل واحد من القديمين وخروجهما من الالهية . وان قدر
نفوذ مراد أحدهما دون الثاني ، فالذى نفذ مراده (هو) الغالب ، والذي
لم ينفذ مراده مع قصده تنفيذه ، هو المنفوع الضعيف المهين ، والمنفوع المنعوت
بالنقص ، لا يستوجب صفة الالهية " ١ " .

هذه وحدانية الله في الاسلام ، فهي ليست معقدة ولا غامضة ، كما
يشاهد ذلك جليا في أدلتها من القرآن الكريم ، وهي ادلة لم تضح أمام العقل
البشرى عقبة تجعل من العسير فهم العقيدة ، بل وضحت السبيل وأنارت الطريق
أمامه .

والملاحظ في العقيدة المسيحية ، خلاف ما في الاسلام من سهولة ويسر
وخضوع للفهم ، وذلك لتعارضها مع العقل واستعصاء فهمها عليه ، حتى قال
أصحابها ان العقيدة المسيحية فوق العقل ، ولم يعلموا أن ما فوق العقل
لا يمكن أن يكون محل تكليف .

والله في الاسلام ، ليس مؤلفا من أشخاص أو أقانيم ، أو أسرة تشكّل
الثالوث الأقدس كما نرى ذلك في المسيحية ، ولكنه اله واحد في ذاته ، لا شبيهه
ولا شريكه في صفاته وأفعاله ، وفي ذلك يقبل الحق تبارك وتعالى : (قل هو الله
أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) " ٢ "

وهو تعالى بائن عن خلقه ، عالم بكل شيء فيه ، مدبر لشئونه ، قادر على
كل شيء ، لا يعجزه شيء في الكون ، ولا يخفى عليه من شيء .

وهذه هي الوجدانية في أجلى صورها ، وأوضح معانيها ، كما دلت عليه
الكتب السماوية ، وصدقها العقل السليمة .

(١) الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين ص ٣٥٢ طبع بشركة الاسكندرية
للطباعة والنشر عام ١٩٦٩ م والجويني هو : أبو المعالي عبد الملك ابن
الشيخ أبي محمد عبد الله ابن أبي يعقوب المعروف بإمام الحرمين ،
ونسب إلى جوين قرية من قرى نيسابور . توفي سنة ٤٧٨ هـ . انظر ترجمته
للنشار في مقدمة كتابه هذا ص ٩٩ وما بعدها .

(٢) سورة الاخلاص ١ - ٤

وهذه العقيدة في موافقتها للعقل السليم ، وعدم وجودها يحقدها ويصعب فهمها ، بحيث لو عرضت مع المسيحية على شخص لا يدين بدين ما ، لاختارها على المسيحية بلا تردد ، وذلك لأنها عقيدة توافق الفطرة الانسانية التي فطر الله الناس عليها . وفي ذلك يقول الله عز وجل : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . " ١ "

الدلائل الكونية على وحدانيته

ان الدين الاسلامي في دعوته الى وحدانية الله تعالى ، لم يطلب من اتباعه التسليم والقبول لهذه العقيدة تاركين العقل جانبا ، ومنقادين انقيادا أعمى ، ولكنه قرن الدعوة الى التوحيد بالدلائل على صدقها .

وهذه الدلائل هي المخلوقات المبسوطة في هذا الكون الفسح الذي ينطق كل شيء فيه بأن موجدها اله واحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ، وذلك بالتناسق والتآلف اللذين يسودان جميع المخلوقات . لأنها لو لم تكن من اله واحد لما تناسقت وتآلفت بهذا الشكل الذي تبدع عليه ، بل لفسدت وتهاافت ، واستحسار بقاؤها لحظة واحدة .

ولذلك يقول الله عز وجل : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) " ٢ "

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية : " والمعنى لو كان يتولاها ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرها ، لفسدتا ، وفيه دلالة على أمرين : احدهما وجوب ألا يكون مدبرهما الا واحدا ، والثاني ، أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده : لقوله ، الا الله . فان قلت لم وجب الأمران ؟ قلت : لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملوك لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف " . " ٣ "

- (١) سورة البروج ٣٠
- (٢) سورة الانبياء ٢٢
- (٣) الكشاف ج ٢ ص ٥٦٨

ويقول شارح العقيدة الطحاوية فى توجيه معنى الآية :

"... ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة ، بل لا يكون الإله إلا واحدا ، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله إلا الله سبحانه وتعالى وأن فساد السموات والأرض ، يلزم من كون الإلهة فيهما متعددة ، ومن كون الإله الواحد غير الله ، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره"

ومن تأمل فى هذه الآية وأمثالها فى القرآن الكريم ، وجدها تخاطب العقل وتضعه على الطريق التى لا عوج فيها ولا تعقيد . وليس بين الأدلة القرآنية والدلائل الكونية وبين العقل انفكاك ، لأن العقل هو الذى يستفيد من الدلائل النظرية والكونية ، ولولا العقل ، لما كان البشر مكلفين بالإيمان .

والإنسان ليس بدعا من الحيوانات فى سمع المسموعات ، وروية المرئيات ، والاحساس بالحسوسات ، ولكن الله تعالى فضله على سائر الحيوانات ، واصطفاه بالعقل ، لينطلق من الرؤية والسمع والاحساس إلى إدراك ما وراءها من أسرار ومعان بما آتاه الله من نعمة العقل ، ولهذا جعله الله خليفة فى الأرض ، وأمهده بالهداية .

فتبين من هذا أن العقل هو سر التكليف الإنسانى ومناطه ، وهو الذى يهتدى إلى إدراك صدق الرسل عند سماع دعوتهم ، فيهتدى إلى تصديقهم ، والإيمان بوحداية الله عند رؤية آياته الميثقة فى الكون .

وأن العقل هو الذى يدرك أن لهذه المخلوقات خالقا ، وأن هذا الخالق هو الذى يستحق أن يعبد وحده لا شريك له ، لأنه خالق كل شىء سبحانه .
وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

ولتأكيد ما سبق من دلالة الآيات الكونية على وحدانية الله تعالى ، نسوق هذه الآيات البينات :

قال الله تعالى : (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آله خير أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به

حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تثبتوا شجرها ، أأله مع الله بل هم قوم يعدلون .
 أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ، أأله مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، أأله مع الله ، قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ، أأله مع الله ، تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أأله مع الله ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (١) .

لقد جمعت هذه الآيات من الأدلة على وحدانية الله تعالى ما لو بحث في تفاسيله الباحثون لظهرت في مجلدات ضخمة من الكتب ، ولقد ساقها القرآن وجمعها لا لمجرد كونها عجيبة تبهر العقول بتناسقها ، ولكن لاثبات الوجدانية لمن خلق السموات والأرض ، وأبدع الكون والوجود .

وهذه الأمور التي وردت في هذه الآيات ، يجدها الانسان ليلا ونهارا ، ويراها في البر والبحر والجو ، وهي تنطق بعظمة خالقها ، وتسبح بحمده ، وترشد العقل السليم الى اثبات الوجدانية لله عز وجل .

الروح القدس في الاسلام

كلمة "روح القدس" موجودة في الاسلام كما هي موجودة في المسيحية أيضا ، ولكن روح القدس في الاسلام ، غير الروح القدس في المسيحية ، فروح القدس في الاسلام هو الملك المكلف بالوحي ، ويانزال الكتب على الرسل والأنبياء وهو جبريل عليه السلام ، وفي المسيحية ، هو ثالث الثلاثة من الآقائيم ، وهو كما سبق البحث حوله في الفصل الثالث من الباب الأول ، ذات الله وشخصه " ٢ " أو هو الرب المحي المنبثق من الآب الذي مع الآب والابن يسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء " ٣ " كما نصت على هذا أمانتهم الطحقة عام ٣٨١ م بأمانة مجمع نيقية الأول .

- (١) سورة النمل ٥٩ - ٦٤
- (٢) راجع كتاب ايماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١
- (٣) أنظلمر : تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ٢٢

روح القدس في الاسلام هو السفير بين الله وبين انبيائه على مر الاجيال وهو الذي أيد الله به المسيح عليه السلام ، وهذا اللقب اطلق على جبريل في عدة مواضع من القرآن الكريم ، ولكن الوارد فيه ، هو " روح القدس " باضافة " روح " الى " القدس " وكذلك لقب جبريل في القرآن بالروح الأمين واليك بعض الآيات التي ورد فيها هذا اللقب ، قال الله تعالى :

(وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) " ١ " . (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وطي والدتك اذ ابدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا) " ٢ " (قل نزل روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) " ٣ " .

هذا هو روح القدس في الاسلام ، وهو ملك من الملائكة المقربين ذو قداسة وشرف وأمانة ، وهو الذي بشر مريم بحمل المسيح كما صرح بذلك القرآن في سورة مريم بقوله تعالى : (... فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ... قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) " ٤ " ولعل ماورد في الاناجيل ، في شخصية الروح القدس ، يؤيد كون الروح القدس فيها ملكا رسولا من قبل الله عز وجل ، لأن هذه الاناجيل أوردت هذا اللقب في مناسبات مختلفة ، مصرحة تارة باسم جبريل ، ومكتفية تارة أخرى باسم الروح القدس .

جاء في انجيل متى قوله : " أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا : لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا ، وجدت حبلى من الروح القدس " ٥ .

-
- (١) سورة البقرة ٨٧ و ٢٥٣ . القدس في القرآن بضم الدال المهملة مخففا عند ابن كثير ، ومثقلا عند الباقرين . راجع كتاب التيسير في القسرات السبع ص ٧٤ تأليف الامام ابي عمرو عثمان بن سعيد الدلقى طبع باستانبول بمطبعة الدولة عام ١٩٣٠ م .
- (٢) سورة المائدة ١١٠
- (٣) سورة النحل ١٠٢
- (٤) سورة مريم ١٧ — ١٩
- (٥) متى ١ : ١٨

وفى انجيل لوقا جاء على لسان الملك الذى بشر زكريا بىحيى قوله
وهو يشير الى المولود بىحيى : " ومن يطن أمه يمتلىء بالروح القدس " ١
كما جاء فيه أيضا قول الملك : " أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت
لاكلمك وأبشرك بهذا " ٢

وجاء فيه كذلك قول كاتبه " وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل
الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل
من بيت داود اسمه يوسف فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم
عليها ، الرب معك مباركة أنت فى النساء ٠٠٠٠ وها أنت ستحبلين وتلدين
ابنا وتسمينه يسوع ٠٠٠ فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف
رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك ٠٠٠ " ٣

وأكتفى هنا بما ورد فى هذين الانجيلين ، لأن فى هذه النصوص
كفاية لادراك معنى الروح القدس كما دل عليه القرآن ، ولأنه لا يوجد أى
تعارض بين هذه النصوص وبين المعنى الاسلامى المقصود من روح القدس .

ومما لا شك فيه أن الملك الذى بشر النبى زكريا عليه السلام هو نفسه
الذى بشر مريم العذراء أيضا ، وأن الروح القدس الذى امتلأ منه بىحيى فى بطن
أمه ، هو الذى وجدت مريم حبله منه ، وأن هذا الملك المبشر الذى أرسل الى
زكريا ومريم ، هو جبرائيل كما نص على ذلك لوقا فى انجيله .

وعلى هذا فليس من الصواب تفسير معنى الروح القدس بالمعنى المسيحى
الذى سبق بيانه فى بداية هذا المبحث .

ولو سلمنا جدلا أن معنى الروح القدس هو ما ذهبوا اليه ، للنزم ان
يكون يوحنا الذى امتلأ بالروح القدس وهو فى بطن أمه اليها وابنا لله لا متلائه

-
- | | |
|-------|---------------|
| (١) | لوقا ١ : ١٥ |
| (٢) | " ١ : ١٩ |
| (٣) | " ١ : ٢٦ — ٣٥ |

بالروح القدس الذى علمنا معناه • وكذلك لزم أن تكون المصابات امرأة زكريا
الهة لأنها امتلأت من الروح القدس حينما سلمت عليها مريم العذراء "١" •

وألوهية يوحنا وأمه وينوتهما لله ، أمر لا يقبل به المسيحيون رغم قولهم
بألوهية الروح القدس "٢" ، وتفسيرهم لمعنى الروح القدس ، تفسير لا يستقيم
بحال من الأحوال ، على أن المسيحيين أنفسهم ، لم يلتزموا بتفسير مستقسر
لمعنى الروح القدس •

يقول القس الياس مقار : " والروح القدس هو ذات الله وشخصه " "٣" •
وتقول الأمانة المسيحية " نو من ابا الروح القدس الرب المحيى المنبثق من
الآب ... " "٤" •

وهذان النصان يتعارضان تعارضا بينا ، ذلك لأنه اذا كان الروح
القدس هو ، ذات الله وشخصه فى النص الأول ، فكيف يقال انه انبثق من الآب ؟
وهل ينبثق الشئ من نفسه ؟

فالانبثاق يدل على أن هناك أصلا منبثقا عنه ، وفرط منبثقا منه ، بينما
تفسير القس الياس مقار يدل على أنه ليس هناك فرق بين الروح القدس ، وبين الله ،
اذ يقول ان الروح القدس هو ذات الله وشخصه •

ويقول هذا القس فى موضع آخر : " ... ليس من السهل على المرء ان
يتصور شخص هذا الروح كما يتصور شخص الآب أو شخص الابن ... " "٥" وهذا

-
- (١) لوقا ١ : ٤١
 - (٢) وقولهم بألوهية الروح القدس هو الذى دأبهم الى تأكيد ألوهية المسيح
لحلل الروح القدس فى بطن مريم وحملها منه ، ومادام القتل بألوهية
المسيح مبني على هذا فامتلاء يوحنا وأمه معه لا يختلف عن هذا •
 - (٣) ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١
 - (٤) تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ٢٢
 - (٥) ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ص ١٨١

الكلام منه ، لا يتفق مع تعريفه الأول لمعنى الروح القدس ، فهناك قال ان الروح القدس هو ذات الله وشخصه ، وهنا يقول - ، ان شخص الروح القدس غير شخص الآب ، ويرى أن من الصعب تصور شخصية الروح القدس كتصور الآب والابن .

ويقول أيضا : " أما الروح القدس فكل من الصعب تصويره بذات السهولة واليسر سواء في شخصه أو في أعماله ، ومن ثم جنح الخيال القاصر الأحمق لهذه الفئة " ١ " المتباعدة المتناثرة في التاريخ الى تصور أنه اله من دون الله ، أو قوة من قوى الله ، أو صفة قائمة في شخص الله ، أو ما شبهه " ٢ "

ويتبين لنا من هذا الكلام أن الروح القدس ، ليس صفة قائمة بالله " ٣ " ، أو قوة من قوى الله ، ولكنه شخصية ليس من السهل الوصول الى تصورها .

ولا شك أن منشأ هذا الاضطراب في ايجاد معنى مقبول للروح القدس ، هو التمسك بالثالوث في الايمان المسيحي ، والمحاولة للابقاء على عقيدة التثليث ، والا فان من السهل تصور شخصية الروح القدس تصورا واضحا جليا ، ذلك التصور هو التصور الاسلامي الذي لا يترك الأفكار حائرة في معرفة هويته ، اذ يقطع الاسلام بأن روح القدس هو جبريل عليه السلام .

ومن تصفح الاناجيل وكتب المسيحيين الأوائل ، يجد ما يؤكده هذا المعنى والكلمة الأخيرة عن الروح القدس في الامانة المسيحية التي اجمعوا عليها ، تدلنا على أن الروح القدس هو الناطق بالانبياء ، وهذا الناطق بالانبياء ما هو الا جبريل عليه السلام .

ثم ان الالقاب الواردة في المسيحية للروح القدس ، تدلنا أيضا على أنه جبريل ، ومن القاب عندهم ، روح الالهام الذي يعنى أنه روح الرحي والاعسلان للانبياء والرسل وكتاب الرحي ، وفي الاسلام ان الروح القدس هو أمين الرحي الالهي .

(١) يشير الى فرق المسيحية التي رأت أن الروح القدس غير مساو لله الآب ،

كالا ريسية وأتباع ماكيد ونيوس القائل بأن الله ليس شخص الله .

(٢) ايمانى أوثقبايا المسيحية الكبرى ص ١٨١ - ١٨٢

(٣) ولعل علماء المسلمين الذين ناقشوا المسيحيين على ضوء أنهم يفسرون الروح القدس بصفة من الصفات ، اطلعوا على رأى هؤلاء ، وهو كما يبدو رأى غير متفق عليه بين المسيحيين .

ومن ألقابه عندهم أيضا ، روح القوة ، وهذا لقب من ألقاب جبريل فى الاسلام بلفظ مخاير للكلمة الأولى وفى سورة النجم يقول تعالى : (علمه شديد القوى • ذمرة • •) " ١ " .

ومع تضافر الأدلة على أى الروح القدس المذكور فى الأناجيل هو ملك الوحي جبريل ، فإن المسيحيين — ولأمر ما — أبوا ان يفسروا معناه الا بملك التقاسير المتعارضة التى لا تمت الى الواقع بصلة ، ولو بخطط العنكبوت • وبجانب هذه التفسيرات ، هناك تفسيرات أخرى لمعنى الروح القدس تدل على أنه صفة علم أو حياة لله ، ولكن فضلت الاقتصار على ما اطلعت عليه فى كتبهم من تفسيرات ، ولم أجد فيما وقع تحت يدي من مصادر مسيحية تفسير معنى الروح القدس بالحياة أو العلم ، ولكنى وجدت هذين المعنيين فى الكتب الاسلامية التى ناقشت المسيحيين فى معنى الروح القدس " ٢ " كما وجدت فى نص كلام القس الياس مقارا يراده على سبيل المعارضة لرأى من يقول من فرق المسيحية به أن الروح القدس ، عبارة عن صفة قائمة فى شخص الله ، ويقول صاحب تفسير المنارة " وأظن أن أمثال الزمخشري والبيضاوي والرازي ، لا يعتقد بما يعرفون عن النصارى ، فانهم لم يقرأوا كتبهم ، ولم يناظروهم فيها ، وفى عقائد هم الا قليلا ، وانما يأخذون ما فى كتب المسلمين عنهم قضايا مسلمة ، ومنها ما هو مشهور فيها من تفسير الآب والابن وروح القدس بأنها الوجود والعلم والحياة • فالقول بها لا ينافى وحدانية الخالق • وكان يقول مثلاً هذا بعض علم النصارى لعلماء المسلمين ، والظاهر أن بعض المتقدمين كان يعتقد هذا ، كما أنه يوجد الآن فى نصارى أوربه وغيرهم كثير من الموحدين الذين يعتقدون أن المسيح نبي رسول لا اله ، ولعله لم يبق فى النصارى من يقول بتلك الفلسفة لأنهم فى كل عصر يغيرون فى دينهم ما شاءوا فى فلسفته وغير فلسفته " ٣ " .

(١) سورة النجم ٥ — ٦ وفى سورة التكوين : (انه لقول رسول كريم ذى قوة

عند ذى العرش مكين) •

(٢) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية ج ٢ ص ١٣٠ " مطبعة المدنى "

سنة ١٩٦٠ م •

(٣) تفسير المنار ج ٦ ص ٣٠٧ الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٠ هـ مطبعة

القاهرة •

مناقشة ما يتعلق بالاقانيم

يعترض بعض المسيحيين على استعمال كلمة اقنوم في العقيدة المسيحية ومستنده في ذلك ، ان كلمة الاقنوم غير واردة في الكتاب المقدس ، لذلك رأى هذا البعض الاستعاضة عنها بالتعينات أو الظهورات أو الصور ، وفي هذا يقول القس صموئيل مشرقى راعى كنيسة الخمسينية بالقاهرة :

” وجدير بالذكر أن تجد في مختلف العصور الى وقتنا هذا من يحاول الهروب من لفظة الاقانيم بحجة أنها غير كتابية ، ويجب استبدالها بغيرها مثل : تعينات أو صور أو ظهورات ، رغم أن هذه الألفاظ هي الأخرى غير كتابية وهذا الاستبدال الخطير يعنى في حقيقة الأمر أن الاقانيم مجرد اشكال أو تجليات أو مظاهر لجوهر واحد ، وهذه هي الوحدةانية المطلقة تحت قناع المسيحية الزائفة “^١

وهذا النص مع دلالة على أن كلمة الاقانيم لم تكن مقبولة لدى بعض المسيحيين على مر العصور ، فانه قد دل ايضا على أن تلك المحاولات التى وجدناها لدى بعض الكتاب المسيحيين فى جعل الاقانيم الثلاثة جوهرًا واحدًا له ثلاثة جوانب ، غير مقبولة أيضا لدى البعض الآخر ، لأنه يؤدى الى الإيمان بالوحدةانية المطلقة التى لا تتناسب مع عقيدة التثليث ، وهذا القول الذى ورد على لسان القس صموئيل مشرقى ، هو الخط الواضح الذى يفهم من الديانة المسيحية التى تتخذ التثليث قاعدة كبرى لعقيدتها .

وحينما نطلق كلمة التثليث لا يفهم منها غير الاعتقاد فى ثلاث ذوات مستقل كل واحدة منها عن الأخرى ، كما اتضح لنا ذلك فى مبحث الروح القدس من أن هناك مرسلًا ومرسلًا منه وشاهدًا ومشهودًا له ، مما يدل على انقسام هذه الاقانيم كل واحد منها عن الآخر .

(١) وحدة الاقانيم ص ١١ للقس صموئيل مشرقى ، القاهرة ، دار الطباعة العربية عام ١٩٦٣ ت ٣٣٧٩ الى ٣٣٨٣ . دار الكتب .

ويبدو أن من يقول ان هذه الاقانيم ما هي الا صفات أو تعينات لجوهر
الهي واحد ، يريد التهرب من القول بأن هناك آلهة ثلاثة ، مع اعتقاده بذلك
في حقيقة الأمر ، ولم يلجأ الذين استعملوا كلمة الاقانيم الى استعمالها الا للتعمية
والتلبيس ، حتى يبقى سر العقيدة غامضا ، لا يمكن أن يدور النقاش حوله .

وبالعودة الى ما قاله عوض سمعان في هذا الصدد ، نرى أنه يقول : " أما
الاقانيم فهم ذات واحدة هي ذات الله " ويقول أيضا : " اما الاقانيم ، فمصح
تميز أحد هم عن الآخر في الاقنومية ، هم واحد في الجوهر بكل صفاته وخواصه ومميزاته
لأنهم ذات الله الواحد " ١ .

وهذا يعني أن الاقانيم ليست الا صفات لذات واحدة ، وكلام القسس
صموئيل السالف ذكره ، يدل على أن الاقانيم ليست كذلك ، لأن القول بأنها صفات
لذات واحدة ، يؤول الى القول بالوحدانية .

ان القس صموئيل لا يريد أن يتناقض كلامه مع ما يحتقده ، فالتزم بما دلست
عليه عقيدة التثليث ، ولو كانت الاقانيم مجرد صفات أو تعينات لذات واحدة ، لما
كان هناك اختلاف بيننا وبين المسيحيين ، ولكنهم لا يتفقون على هذا القول ، كما
أن القائلين بأنها صفات يرون أن هذه الصفات قد تجسدت وظهرت في ذات ،
وانتقلت من موصوفها ، مع أن الصفات لا تنتقل عن موصوفها فضلا عن أن تتجسد ، وهذا
ملا يمكن أن نتفق عليه معهم ، ثم ان الصفات الالهية أكثر من أن تحصر في ثلاثة
أقانيم ، وقد سبق ان عرضنا في مبحث الصفات أن المسيحيين يؤمنون بأن لله
صفات كثيرة ، منها الرحمة والعدل ، والحكمة والسرمدية والقدرة الخ ، وعليه
فلا يصح أن تفسر هذه الاقانيم بصفات ثلاث ، بعد أن علمنا انها ذات ثلاث ، وان
صفات الله أكثر من ثلاثة ، ثم انه لو كان الأمر كما يقولون ، لما كان المسيح اولسى
بالبنوة من الروح القدس ، ولحقاوى الاثناسيوس في ذلك ، ولقد ذهب أحد همسم
الى اكثر من هذا ، فسمى الاقانيم الثلاثة ، بالأسرة ، وهو الأب بولس الياس اليسوعي
وذلك بقوله : " ليس الله اذا كائنا تائها في الفضاء ، منحزلا في السماء ، لكنه
أسرة مؤلفة من ثلاثة تسودها المحبة ، ويفيض منها على الكون برة ، وهكذا يمكننا
ان نقول ، ان كنه الله يفرض فيه التثليث " ٢ .

(١) الله ذاته وضع وحدانيته ص ١٣٢
(٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٨٠

أين ايمانهم بأن الله غير مركب ، وهم يقولون هنا بأنه مؤلف من ثلاثة أقانيم تشكل اسرة تسودها المحبة ؟ • وأين ما يصرحون به من أنهم يؤمنون بالله واحد ذي ثلاثة أقانيم ؟ • ولو كانوا يؤمنون بالله واحد لما كانت هناك حاجة الى القول بالثالوث •

يتطو القوطى فى رده على كتاب تثليث الودانية فى معرفة الله : " أما قوله تثليث الودانية فكلام متناقض لفظا وفاسد معنى ، بيان ذلك أن قوله تثليث الودانية كلام مركب من مضاف ومضاف اليه • ولا يفهم المضاف مالم يفهم المضاف اليه • فاقول ، لفظ الودانية مأخوذ من الودده ، ومعناه راجع الى التعدد والكثرة ، فهى اذا من أسماء السلوب ، فاذا وصفنا بها موجودا فقد نفينا عنه التعدد والكثرة • والتثليث معناه تعدد وكثرة ، فاذا اضاف هذا القائل التثليث للوحدة فكأنه قال ، تكثير ما لا يتكرر ، وتكثير ما لا يتكرر باطل بالضرورة ، فأول كلمة تكلم بها هذا السائل متناقضة وباطلة بالضرورة " ١ "

ان العقيدة المسيحية فى تمسكها بالاقانيم عقيدة متداعية يدفع بعضها بعضها ، وبيان ذلك أنهم يقولون : " بحكم وحدانية الاقانيم فى الجوهر ، نوؤمن بأن ما عمله أقنوم لا يكون بالانفراد عن الاقنومين الآخرين ، وكذلك الحال من جهة المشيئة والقدرة والفعل " ٢ "

وجاء فى انجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام " انا لا اقدر أن افعل من نفسى شيئا كما اسمع أدين ودينونتى عادلة لاني لا اطلب مشيئتي بل مشيئة الاب الذى أرسلنى " ٣ •

فدل هذا النص على المغامرة بين المشيئتين ، ودفع ما قاله القس صموئيل من وحدة المشيئة ، والحمل •

(١) الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢ - ٤ مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية • توحيد رقم ٢٩ وهو رد على كتاب بحث به احد النصارى من طليطلة الى مدينة قرطبة فرغ منه بالكرك المحروس سنة ٦٨٤ •

(٢) وحدة الاقانيم للقس صموئيل مشرقى ص ١٦

(٣) انجيل يوحنا ٥ : ٣٠

وفي انجيل متى جاء على لسان المسيح قوله مخاطبا ربه : " يا أبته
ان امكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما اريد انا بل كما تريد أنت " ١

وفي هذا النص دليل على تغاير الارادتين ، مما يدحض القول بأن ما يحمله
أقنوم لا يمكن ان يكون بالانفراد عن الأقنوم الآخر .

ثم ان العهد القديم ليس فيه ما يدل على الاقانيم لا من قريب ولا مسن
بعيد ، بل كل ما فى أسفاره تصريح بالوحدانية لا التثليث ، والمسيح عليه السلام
قد صرح بأنه ما جاء لينقذ الناموس ولكنه جاء ليكمل ، وليس فيما نقل عن المسيح
فى الاناجيل الأربعة — رغم ما بينها وبين العهد القديم من بون شاسع — ما يدل على
أن فى الكون ثلاثة أقانيم ، وأنه أحد تلك الاقانيم الالهية كما رأينا ذلك جليا فى
النصوص السابقة .

ونعود مرة أخرى الى ما قاله القس صموئيل مشرقى فى الاقانيم لنقارن كلامه
مع كلام غيره من المسيحيين فى هذا الصدد ، يقول هذا القس :

" . . . فقد ضل من حسب الاقانيم صفات مجردة أو أسماء معانى أو القاب
لمراكز فى الله ، لأن الأقنوم يدل على كائن حى متميز ، يوصف بالصفات الشخصية
وتسند الصفات العاقلة اليه ، ومن خصائصه ، العقل والارادة ، فهو يستطيع ان
يتكلم عن نفسه ، ويخاطب غيره ، ومن ثم ، فقد وجدنا أن الأقنوم الواحد ، يخاطب
الأقنوم الآخر ، فيتكلم معه ، وانه كما يرسل الواحد منهم الآخر ، ومن المعلوم
ان الصفات المجردة ، وأسماء المعانى ، والالقاب ، لا يمكن ان يخاطب بعضها
بعضا ، أو يتكلم أحدها عن الآخر ، ولا أن يرسل أحدها الآخر " ٢

ويقول عوض سمعان فى الاقانيم : " أما الاقانيم فمع تميز احدهم عن الآخر
فى الاقنومية ، هم واحد فى الجوهر بكل صفاته ، وخواصه ومميزاته ، لانهم ذات الله
الواحد " ٣

-
- | | |
|-----|-------------------------------|
| (١) | انجيل متى ٢٦ : ٣٩ . |
| (٢) | وحدة الاقانيم ص ١٢ |
| (٣) | الله ذاته ونوع وحدانيته ص ١٢٢ |

هذان النصان بينهما من التدافع ما لا يمكن معه الاعتقاد بأنهما صادران من كاتبين يدين كل واحد منهما بعقيدة الآخر .

وبيان ذلك أن النص الأول ورد فيه قول كاتبه : " . . . لأن الأقسام يدل على كائن حتى متميز يوصف بالصفات الشخصية الخ . . . " فدل على أن كل أقوم متميز عن الآخر في شخصيته ، وأنه كائن حتى له من الصفات ما يميزه عن الآخر ، كما نفى أن يكون الأقسام صفة من الصفات أو اسما من أسماء المعاني ، بدليل أن كل واحد من الأقسام يتكلم مع الآخر ، ويرسل بعضها بعضا .

والنص الثاني ورد فيه أن الأقسام واحد في الجوهر بكل صفاته ومميزاته ، وإنها ذات الله الواحد ، فدل على أن الأقسام صفات أو معاني لذات واحدة ، وهو أمر يخالف ظاهره باطنه ، والعقيدة ينبغي أن يتوافق فيها الظاهر مع الباطن .

واننا لنحكم بالضللال على من يزعم بأن الأقسام صفات ومعاني ، وتوافق القس صموئيل مشرقى في حكمه بالضللال على من يحسب الأقسام مجرد صفات ، لما في ذلك من تناقض صريح ، إذ لو كانت كذلك ، لما أمكن أن يخاطب بعضها بعضا ، ويرسل احد هما الآخر ، والقس صموئيل رأى هذا التناقض فهرب منه ، ولكنه وقع فيما هو أوهى وأمر ، وهو القول بوجود آلهة ثلاثة في المسيحية ، وهو أمر يفر من الوقوع فيه بقوله : " تدين المسيحية بوحدانية فريدة هي التي تجمع الثلاثة أقانيم في جوهر واحد لا اشتقاق فيه ولا تركيب ، ومن ثم ، فليس الأقسام أشخاصا منفصلين ، ولا فهم ثلاثة آلهة ، وحاشا لنا من الإيمان بثلاثة آلهة " ١ .

وقد رأينا في النص الأول كيف أن القس صموئيل ذهب إلى القول بأن الأقسام كائن حتى متميز ، يوصف بالصفات الشخصية ، وأن الأقسام يرسل بعضها بعضا ، ويخاطب أحدها الآخر ، وهو كلام يدل على أن كل أقوم منفصل عن الآخر ، وفي هذا النص يصرح بخلاف ذلك إذ يقول : " فليس الأقسام أشخاصا منفصلين الخ " وذلك

هربا من القول بآلهة ثلاثة ، وهو أمر لا مناص منه مهما حاول المسيحيون
التهرب منه ، وسواء في ذلك القول بأن القانون صفات ، لأن الصفات لا تنتقل
من الموصوف ، ولا يخاطب بعضها البعض ، ولا يرسل أحدها الآخر ، أو أنها
ذوات ينفصل بعضها عن البعض ، فإن النتيجة التي يوصل القولان إليها واحدة ،
وهي الشرك بالله تعالى •

(الباب الثالث)

المسيح كما يتصوره السحيون بوصفه الأناجيل - متناول
البحث في هذا الباب أرمسة فسنحاول :

الفصل الأول :

- * تمهيد *
- * الحمل بالمسيح عليه السلام *
- * ولادته *
- * نشأته *
- * صفاته كما وردت في الأناجيل *

تمهيد :

كان اليهود يمتقدون بأن في آخر الزمان نبيا يبعث في بني اسرائيل يدعى مسيحا ، وكانوا يرون أن ذلك المسيح المنتظر سيكون ملكا على بني اسرائيل ، فقد وردت الاشارات الى ذلك في أسفار العهد القديم .

وما جاء فيها ما ورد في سفر التثنية " يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون " (١) * .

ولا يزال اليهود ينتظرون ذلك المسيح ، ورون في مجيئه خلاصا لهم وتحريراً من الامم التي تستبد بهم وتستعبدهم .

يقول القس نضير عبد النور : " كان اليهود ينتظرون مجيئ المسيح ... وكان انتظارهم للمسيح انتظارا ماديا . كان معظمهم يظنون أن المسيح سيحرر بلادهم ويجعل اورشليم عاصمة العالم كله ، ويجعلهم يعيشون في خير كثير ومال وفير ولا زال اليهود ينتظرون مجيئ المسيح " (٢) .

وجاء المسيح عليه السلام ، ولكنه لم يكن ملكا وانما كان رسولا الى بني اسرائيل يدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ، ولما جاءهم بهذه الصفة التي لم تتفق مع رغباتهم السياسية ، كفروا به ، وقاموا دعوته مقاومة أدت الى اختفائه ، ففى آخر الأمر ، وسيوضح لنا في الباحث التالية ما يتعلق بذلك كله على ضوء ما ورد في الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم والتي تعتبر المصدر الأول ففى الحديث عن المسيح منذ حمله وحتى اختفائه مقتولا على الصليب ، كما يسرى المسيحيون .

* وفى رسالة أعمال الرسل يقول كاتبها : " هذا هو موسى الذى قال لبني اسرائيل نبيا مثلى سيقم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون " (أعمال ٣٧: ٧) وهذا النص والذي فى سفر التثنية يدلان على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وشارة موسى به وذلك لقوله مخاطبا لبني اسرائيل : نبيا مثلى سيقم لكم الرب الهكم من اخوتكم * واخوة بني اسرائيل هم العرب .

(١) سفر التثنية ١٨ : ١٥ (٢) ألقاب المسيح ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

وسأكتفى فى عرض ما يتعلق بحمل المسيح وولادته بالنصوص الواردة فى
الانجيل ، وذلك لأولويتها وكونها المصدر الأول من مصادر المسيحية التى
ذكرت القصص التفصيلية لحمل المسيح وولادته .

الحمل بالمسيح :

تحدث الانجيل الاربعه عن المسيح كثيرا فى جميع شئونه ، ولم تترك شيئا
ما حصل منه أو حصل له الا وتحدثت عنه ، وكان حديثها عنه يتسم بالاتفاق تارة -
والاختلاف تارة أخرى ، كما انفرد بعضها بالحديث عن بعض الامور دون بعض
وكان حديث الانجيل عن حمل المسيح وولادته حديثا لم تتفق على ايراد .

فقد وردت قصة حمل المسيح وولادته فى انجيلين ، هما : انجيل متى ولوقا ،
وهنا يمكن أن نجد الاتفاق أو الاختلاف بين رواية الانجيلين فى حديثهما عن
قصة واحدة ، وهى قصة حمل المسيح وولادته وما صاحب ذلك من أمور .

استفتح متى انجيله بذكر نسب المسيح فنسبه الى يوسف بن يعقوب بن
مئان الذى تذكر المصادر المسيحية أنه تزوج مريم عليها السلام ، وقال فى ذلك :

" كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم ابراهيم ولد اسحاق
واسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهودا واخوته ... الى أن قال : -
" واليهمازر ولد مئان ومئان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى
ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح " (١)

أما لوقا فقد ذكر للمسيح نسبا آخر اذ يقول : " ولما ابتدا يسوع كان
له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى بن مئان بن لاوى بن
ملكى الخ " (٢) فأوصل نسبه الى آدم . وأول خلاف يلاحظ هنا ، نسبة
يوسف فى متى الى يعقوب وفى لوقا الى هالى وقد أورد ذلك متى على سبيل
الجزم ، ولكن لوقا ذكره بصيغة التمرين والشك ، وكان نسب المسيح آنذاك لم
يكن واضحا .

(١) متى ١ : ١-١٦
(٢) لوقا ٢ : ٤-٥

وأما قصة حمله فقد وردت في كلا الانجيلين أيضا ولكن متى تحدث عن ذلك —
 بايجاز ، ولم يذكر بعض الامور التي ذكرها لوقا في حديثه الطويل عن قصة حمل
 المسيح ، وقال متى بعد ذكره لنسب المسيح كما في النص السابق : " أما ولادة
 يسوع المسيح ، فكانت هكذا ، لما كانت مريم مخطوبة ليوسف ، قبل أن يجتمعا
 وجدت حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها اذ كان بارا — ولم يشأ أن يفسدها
 أراد تخليتها سرا ، ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور اذ ملاك الرب قد ظهر له
 في حلم قائلا يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذي حمل
 به فيها هو من الروح القدس ، فستلد ابنا وتدعوا اسمه يسوع لانه يخلص شعبه ومن
 خطاياهم . . . ولما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب ، وأخذ امراته
 ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ، ودعا اسمه يسوع " (١)

أما لوقا فقد أورد هذه القصة بعد أن مهد لها بذكر قصة تفصيلية عن زكريا
 عليه السلام وامراته اليصابات ، وأنهما كانا متقدمين في السن ولم يرزقا ولدا ، وأن
 ملاك الرب وهو جبريل بشر زكريا بولد اسمه يوحنا ، وأن زكريا تعجب من ذلك
 لكبر سنه ومن زوجته ، وأن الله ابتلاه بالصمت بسبب ذلك ، وأن امراته حملت
 بيوحنا من ذلك اليوم ، ثم بدأ يذكر قصة حمل المسيح قائلا :

" وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة مسين
 الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف
 واسم العذراء مريم فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها ، —
 الرب معك ، مباركة أنت في النساء ، فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى
 أن تكون هذه التحية ، فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم لانك قد
 وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع هكذا
 يكون عظيما وابن العلى يدعى ، ومطيه الرب كرسى داود أبيه ، ومملك
 على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية " (٢)

(١) متى ١٨: ١ — ٢١ و ٢٤

(٢) لوقا ١: ٢٦ — ٣٢ ولاحظ هنا أن المسيح يملأ كرسى داود أبيه وهو وعد لم
 يتحقق مما يدل على أن هذا الكلام موضوع اذ لو كان وعدا لشيء لتحقيق وتفسير
 الملك المذكور هنا بأنه ملك معنوي هرب من التناقض الى تناقض آخر وهو أن داود ملك
 ملكا حقيقيا وكون المسيح يملأ كرسيه يدل على أن المراد بالملك الموعود هنا هو
 الملك الحسى لا المعنوى .

ثم ذكر لوقا كيف أن مريم استبعدت حدوث الحمل مع أنها لم تخالط رجلا قط ، وقال :
 " فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ، فأجاب الملاك
 وقال لها ، الروح القدس يحل عليك وقوة المولى تظلك ، فلذلك أيضا القدوس المولود
 منك يدعى ابن الله ، وهذا البصايات نسبتك هي أيضا حبلى بابن فمسى
 شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا لأنه ليس شيء غير ممكن لدى
 الله ، فقالت مريم ، هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك فمضى من عندها الملاك
 فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة الى الجبال الى مدينة يهوذا ودخلت بيت
 زكريا وسلمت على البصايات فلما سمعت البصايات سلام مريم ارتكض الجنين فمسى
 بطنها وامتلات البصايات من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت مبارك
 أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك فمن أين لي هذا أن تأتى أم رب المسى ،
 فهوذا حين صار صوت سلامك في أذنى ارتكض الجنين باشتهاج في بطنى " (١)

هذه قصة حمل المسيح كما رواها لوقا وهي قصة مستفيضة ليس في انجيل متى
 ما يضاهيها سواء من الناحية التفصيلية ، أو الطريقة التي تم ذكر القصة بها حيث
 ربط بين قصتين عجيبتين ، هما : قصة حمل المرأة العاقر وهي في شيخوختها
 من زوج بلغ من الكبر عتيا ، وقصة حمل المذراء من الروح القدس ، وقد ربط بين
 القصتين ربطا زمانيا ومكانيا ، فذكر أن مريم حملت بالمسيح بعد ستة أشهر من
 حمل امرأة زكريا بيوحنا ، كما ذكر أن حمل مريم بالمسيح كان في الجليل بعد ينسنة
 اسها ناصرة ، وأن زكريا وامراته كانا يقيمان في مدينة يهوذا عند حمل البصايات
 بيوحنا ، وهذه التفاصيل ليس لها وجود في انجيل متى كما سبق بيان رواية
 متى لقصة حمل المسيح .

ولادته

أما ولادة المسيح فقد ذكرها متى على النحو التالي :

" ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيروودس الملك ، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى اورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود فانتسأ رأينا نجمة في المشرق وأتينا لنسجد له ، فلما سمع هيروودس الملك اضطرب - وجميع اورشليم معه فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح ، فقالوا له في بيت لحم اليهودية ، لأنه هكذا مكتوب بالنبي وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لان منك يخرج مدبر يرعى شعب اسرائيل " . (١)

ثم ذكر متى أن هيروودس الملك دعا المجوس سرا وعلم منهم زمان النجم الذى شاهدوه وأرسلهم إلى بيت لحم ليتأكدوا من وجود صاحب النجم بها فيخبروه ليسجد له هو أيضا ، وأن المجوس انطلقوا إلى بيت لحم حيث يتقدمهم النجم الذى شاهدوه حتى وقف فوق مكان الصبي ، وأنهم فرحوا برؤية النجم فرحاً عظيماً ، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع أمه فسجدوا له ، وقدموا له هدايا ذهباً ولبناً ومرراً ، ثم ذكر متى أنهم أوحى إليهم في الحلم بأن لا يرجعوا إلى الملك هيروودس وأمرؤا بالانصراف إلى بلادهم . (٢)

هذه خلاصة رواية متى لولادة المسيح عليه السلام وهي لا تتفق مع رواية لوقا التى سأذكرها فيما سيأتى .

يقول لوقا في روايته لقصة ولادة المسيح بحد أن ذكر أن يوسف صمد من مدينة الناصرة إلى اليهودية مع امرأته المخطوبة مريم وهي حبلى ،

" وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد ، فولدت ابناً البكر وقططه واضجمته في الذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل ، وكان في تلك الكورة رعاة متبهدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضأ حولهم

(١) متى ٢ : ١ - ٦

(٢) أنظر متى ٢ : ٧ - ١٢

فخافوا خوفا عظيما فقال لهم الملاك لا تخافوا فيها أنا أبشركم بفرح عظيم ، انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب ، وهذه لكم الملامة تجسدون طفلا مقمطا مضجعا في مذود ، وذهب بشفقة مع الملاك جمهور من الجند السامساي مسيحين الله وقائلين ، المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام ، وبالانساس المسرة ، ولما مضت عنهم الملائكة الى السماء ، قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض ، لنذهب الان الى بيت لحم وننظر هذا الامر الواقع الذي أعلمنا به الرب ، فجاءوا — مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعا في المذود ، فلما رأوه ، أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي ، وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة ” (١) .

هذه رواية لوقا لقصة ولادة المسيح عليه السلام ، وكما بدا واضحا ، فان لوقا ومتى اختلفا في ذكر بعض الأمور .

من ذلك أن متى انفرد بذكر قصة المجوس ، ولم يرد في انجيل لوقا ذكر لها . ومنها أن لوقا انفرد بذكر قصة الرعاة مع أن متى لم يذكرها في انجيله . وإذا نظرنا الى قصة المجوس ، فأننا نجد في روايتها ما لا يتفق مع واقع المسيح ، ذلك أنه ورد فيها أن المجوس قالوا ” أين هو المولود ملك اليهود ” . ولم يكن المسيح ملكا لليهود ولو ساعة من نهار مما يشكك في صحة وقوع القصة المجوسية على الصورة التي رويت بها في انجيل متى .

نشأة المسيح عليه السلام

ان الكلام عن نشأة المسيح عليه السلام ، قاصر على انجيل لوقا ومتى من بين الاناجيل الأربعة ، ان ليس في انجيل مرقس وانجيل يوحنا ذكر لنشأته عليه السلام .

وبناءً عليه ، فاننا سنتمتع في كلامنا عن نشأة المسيح عليه السلام على ما ورد في انجيلي متى ولوقا .

يذكر متى بعد أن أنهى من ذكر قصة المجوس التي سبق عرضها ، أن هيرودس الملك غضب ، ورأى أن المجوس سخروا منه لعدم اخبارهم اياه بموضع الصبي ، حيث عادوا الى بلادهم خفية ، فأرسل الى بيت لحم وقتل جميع الصبيان الذين فيها وفي تخوفها ابتداءً من ابن سنتين فما دونه ، وقبل ذلك ذكر متى أن ملاك الرب ظهر ليوسف في حلم بعد انصرفا للمجوس فقال له :

" قم واخذ الصبي وأمه واهرب الى مصر وكن هناك حتى أقول لك ، لأن هيرودس مزعج أن يطلب الصبي ليهلكه ، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف الى مصر ، وكان هناك الى وفاة هيرودس " (١)

ثم ذكر متى أن ملاك الرب ظهر ليوسف في الحلم مرة ثانية وهو في مصر فأخبره بوفاة هيرودس ، وأمره بالمودة بالصبي من مصر ، فعاد يوسف بالصبي وأمه ، وانصرف الى نواحي الجليل ، وسكن مدينة الناصرة . ولم يذكر متى كم كانت مدة اقامته المسيح بمصر ، وان كانت بعض المصادر ذكرت ، أن تلك المدة كانت نحو سبع سنين (٢)

وهنا يقف متى في حديثه عن طفولة المسيح وأخبار نشأته ، ويبدأ بذكر اعتقاد المسيح على يد يوحنا المعمدان وهذه القصة ما انفرد بها متى أيضاً ، ان انها لم ترد في بقية الاناجيل .

(١) متى ١٣ : ٢ — ١٤

(٢) راجع الفصل العاشر من انجيل برتانا الآية ٣ المطبوع بمطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م ترجمة الدكتور خليل سعادة .

ومع أن متى ذكر هذه القصة وعقبها بقصة اعتماد المسيح على يد يوحنا ، فإنه لم يذكر شيئاً عن الفترة التي تخللت عودة المسيح من مصر واعتماده من يوحنا ، ولم تكن الفترة وجيزة تستحق الاغفال لأنها أكثر من عشرين عاماً ، وكان عمر المسيح ثلاثين عاماً عند اعتماده وسبعة عند عودته من مصر .

أما لوقا ، فقد أورد رواية أخرى عن نشأة المسيح حيث يقول بعد روايته لقصة الرعاة التي سبق عرضها ،

" ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي ، سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن يبل به في البطن ، ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى اورشليم ليقدّموه للرب ، كما هو مكتوب في ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يذبح قدوساً للرب " (١)

ثم ذكر لوقا أن رجلاً اسمه سيمان كان بأورشليم ، وهو رجل تقى بار ، كان قد أوحى إليه أنه لن يموت حتى يرى مسيح الرب ، وقد حضر هذا الرجل يوحى مسن الروح إلى الهيكل ، وعندما دخل بالصبي إلى الهيكل ليصنع به حسب عادة الناموس أخذه ذلك الرجل على ذراعيه وبارك الله وقال " الآن تطلق عليك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرت خلاصك الذي أعدته قدام وجه جميع الشعوب ، نور اعلان للأمم ومجد لشعبك اسرائيل " (٢)

وذكر لوقا أن يوسف ومريم كانا يتمجبان ما قبل في الصبي ، ثم ان سيمان بارك يوسف ومريم ، وقال لمريم ، " ها ان هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل " (٣) وذكر أيضاً أنه كانت في الهيكل امرأة اسمها حنة وهي نبية متقدمة في السن تتعبد في الهيكل منذ أربع وثمانين سنة ولم تفارقه وكانت في تلك الساعة : وقت تسبحة الرب وتتكلم عن الصبي مع جميع المنتظرين فداً في اورشليم ، وقال :

" ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح مثلاً حكمة وكانت نعمة الله عليه ، وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى اورشليم في عيد الفصح ، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى اورشليم كمادة العيد " (٤)

ويروى لوقا أن الصبي يسوع بقى فى أورشليم بغير علم من أبويه عند صعوده اليها معها ، وكانا يظنان أنه مع الرفقة ولم يفتقداه الا بعد مسيرة يوم ، وبعد بحث طويل عنه بين الأقرباء والمعارف عادا الى أورشليم فوجداه بعد ثلاثة أيام جالسا فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم حتى تعجب الحاضرون من فهمه وأجوبته واندس والده عند مشاهدته هناك ، وعاتبته أمه على غيابه ذلك بتلك الطريقة قائلة له ،

" يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا هوذا أبوك وأنا كنا نطلب معذبين فقال لهما لماذا كنتما تطلباني ، ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبى ، فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما ، ثم نزل معهما وجا الى الناصرة ، وكان خاضعا لهما ، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها ، وأما يسوع ، فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنسبة عند الله والناس " (١)

وهذا ينتهى لوقا من روايته عن نشأة المسيح ، ويبدأ بالحديث عن دعوة يوحنا ابن زكريا وبشارته بالمسيح ، وتعميده للناس ، ودعوتهم الى التوبة ، ثم ينتهى لوقا بالحديث عن لقائه للمسيح وتعميده اياه مع جميع الشعب فيقول ،

" ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا وان كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسيمة مثل حمامة ، وكان صوت من السماء قائلا ، أنت ابنى الحبيب بك سررت " (٢)

ويذكر لوقا أن يوحنا بن زكريا كانت دعوته فى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر ، كما يذكر أن يوحنا قد سجن ، وأن المسيح بدأ بالدعوة فيما بعد .

ويتفق مع لوقا فى ذكر قصة تعميد يوحنا للمسيح مرقس وقد بدأ انجيله بذكر بشارة يوحنا وتعميده للمسيح ، يقول مرقس :

" كان يوحنا يعمد فى البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا ، وخرج اليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه فى نهر الأردن معترفين

بخطاياهم . . . وكان يكرز قائلا ، يأتي بعدى من هو أقوى منى الذى لست أهلا
أن أنحنى وأهل سيور حذاءه ، أنا عمدتكم بالماء ، وأما هو ، فسيمعدكم بالروح
القدس ، وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا فى الأردن ،
وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه
وكان صوت من السموات ، أنت ابنى الحبيب الذى به سررت " (١)

وبعد ذكر مرقس لهذه القصة ، أورد أن يوحنا قد أسلم ، وأن المسيح خرج
الى البرية وبقى بها أربعين يوما مع الوحوش يجرب من الشيطان ، والملائكة
تخدمه ، ثم بدأ الحديث عن دعوته .

وقد اتفق متى مع لوقا ومرقس فى ذكر قصة يوحنا وتمجيده للناس والمسيح حيث قال
بعد ذكر دعوته للناس الى التوبة ،

" أنا أعمدكم بما للتوبة ، ولكن الذى يأتي بعدى هو أقوى منى الذى لست
أهلا أن أحمل حذاءه ، هو سيمعدكم بالروح القدس ونار . . . حينئذ جاء
يسوع من الجليل الى الأردن الى يوحنا ليعتمد منه ، ولكن يوحنا منعه قائلاً :
أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتى الى ؟ فأجاب يسوع وقال له اسمع الآن هكذا
يليق بنا أن نكمل كل بر ، حينئذ سمح له فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء
واذا السموات قد انفتحت له ، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت
من السموات قائلا ، هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت " (٢)

وعقب متى بعد ذلك بالحديث عن خروج المسيح الى البرية وصومه بها أربعين
يوما وتجربة الشيطان له ، كما ذكر أن يوحنا قد أسلم بعد ذلك ، وذكر متسلسل
أن المسيح حينما علم بأن يوحنا قد قبض عليه خرج من الجليل وترك الناصرة ، فسكن
كفرنا حوم على ساحل البحر ، ثم عقب ذلك بالحديث عن بدء دعوة المسيح الى
التوبة قائلا :

" من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقرب ملكوت السموات " (٣)

(١) مرقس ١ : ٤-١١

(٢) متى ٣ : ١١-١٧

(٣) متى ٤ : ١٧

أما انجيل يوحنا ، فقد غلا من ذكر قصة تعميد يوحنا للمسيح بطريقة واضحة مباشرة إلا أنه ذكر أن المسيح لقي يوحنا وحينما شاهد يوحنا المسيح مقبلاً إليه قال :

" هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل صار قداسى لأنه كان قبلى ، وأنا لم أكن أعرفه لكن ليظهر لاسرائيل لذلك جئت أعمد بالما " (١) وشهد يوحنا قائلاً انى قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة فاستقر عليه ، وأنا لم أكن أعرفه ، لكن السذى أرسلنى لأعمد بالما " ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه ، فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس ، وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله " (٢)

وكما يظهر من هذا النص ، فان حديث يوحنا كاتب الانجيل عن تعميد يوحنا للمسيح غير صريح ومع ذلك فمن الممكن القول ان المسيح قد اعتمد من يوحنا استنباطاً من هذا النص بطريقة غير مباشرة ، ولكن الذى يلاحظ فى هذا الانجيل ، أن كاتبه لم يذكر خروج المسيح الى البرية وبقائهما فيها أربعين يوماً مع الوحوش بجرب مسن الشيطان .

وعلى كل حال ، فان الاختلاف بين كتاب الانجيل فى حديثهم عن نشأة المسيح واقع لا محالة ، فقد اتضح لنا ذلك من النصوص التى سبق عرضها .

ويجدو به أن لاحظ هنا ، أن متى ومرقس ولوقا قد اتفقوا على أن صوتاً مسن السماء قال مخاطباً للمسيح ، " أنت ابنى الحبيب الخ " إلا أن لوقا روى قوله ، " بك سررت " ، ومرقس روى قوله : " الذى به سررت " ، كما أورد متى ذلك بقولته : " هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت " وكلهم — كما يبدو من النصوص ، قد اتفقوا على أن القائل لذلك الكلام ، هو صوت من السماء .

ولكن يوحنا يخالفهم ويذكر أن يوحنا أخبر بأن الروح الذى أرسله ليعمد بالما قال له ، ان الذى ترى الروح نازلاً عليه ، هو الذى يعمد بالروح القدس ، ثم شهد يوحنا قائلاً :

" وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله "

(١) فى كلامه هذا احتمال أن يكون المسيح هو المقصود بالتعميد كما يحتمل أن يكون تعميداً عاماً .

(٢) يوحنا ١ : ٣٠ — ٣٤ .

وقد سبق عرض هذا النص بطوله ، وتبين لنا من خلال عرضه أن الذي رأى —
الروح على شكل حمامة نازلا على المسيح ومستقرا عليه ، هو يوحنا ، ونا* على —
ما شا* منه من نزول الروح عليه شهد يوحنا بأن المسيح ، هو ابن الله .

أما الإنجيل الأخرى فقد ذكرت ، أن الصوت هو القائل بأن المسيح ابن الله
وأن الذي رأى الروح نازلا هو المسيح ، غير أن لوقا لم يذكر من الذي رأى الروح
نازلا على المسيح ، واكتفى بقوله ، " وإذا كان يصلى انفتحت السما* وقيل عليه
الروح القدس بهيئة جسيمة مثل حمامة " الا أنه انفرد أيضا بقوله : أن الروح نزل
عليه وهو يصلى ، مع أن متى ومرقس ذكرا أن الروح نزل عليه وهو صاعد من الما*
بعد تعميده ، أما يوحنا فلم يبين في روايته متى شاهد يوحنا بن زكريا الصروح
نازلا على المسيح ، أقبل الاعتماد ، أم بعده وهو صاعد ، أو هو يصلى .

وعلى كل ، فالاختلاف بين كتبة الإنجيل واقع في هذه القصة ، كما تبين لنا —
اختلافهم في قصص أخرى سبق أن أشرنا الى ذلك في مواضعها . (١)

ثم ان متى خالف أصحاب الإنجيل الثلاثة بذكره قصة هرب المسيح الى مصر ،
كما سبق أن بينا ذلك ، وفي روايته لتلك القصة ، ذكر متى أن المسيح عاد من مصر
بعد أن مات هيروودس الملك بأمر من الملاك الذي ظهر ليوسف في الحلم وأخبره
بهلاك الذين يطلبون الصبي . ولم يذكر متى الذي انفرد بذكر رحيل المسيح
الى مصر ، كم كانت المدة الفاصلة بين عودة المسيح من مصر ، وبين اعتماده على
يد يوحنا المصعدان ، أو كيف كانت حياة المسيح من عودته حتى اعتماده مع أن المسيح
لم يعتمد من يوحنا الا عندما كان عمره ثلاثين عاما ، كما أشار الى ذلك لوقا —
في انجيله قائلا : " ولما ابتدأ يسوع ، كان له نحو ثلاثين سنة " (٢) . ويؤيد
برنا با هذا القول في الفصل المباشر من انجيله .

(١) ولكننا نجد في الإنجيل المنسوب الى برنايا كل هذه الروايات مجتمعة ، كما
ذكرتها بقية الإنجيل ، وذلك ابتداءً بقصة الرعاة فالمجوس ، وحتى رحيل
المسيح الى مصر وعودته منها وهو ابن سبع سنين .

(٢) لوقا ٣ : ٢٣ .

صفات المسيح كما وردت في الأناجيل

ان ابرز صفات المسيح لدى المسيحيين هي صفة الألوهية ، وقد سبق أن تكلمنا عن تلك الصفة وأدلتها عند المسيحيين وناقشناها بمقد المقارنة بينها وبين صفات أخرى للمسيح وردت عن المسيحيين في كتب العقيدة . وذلك في فصول الباب الأول .

ومادامنا قد ناقشنا تلك الصفة وأدلتها في ذلك الباب ، فلا حاجة لاعادتها ، ولكننا نكتب هنا عن صفات المسيح الواردة في الأناجيل الأربعة وهي الصفات التي — تمكن كل قارئ وباحث من الحكم على شخصية المسيح بغض النظر عن الاعتقاد المصام لدى المسيحيين في المسيح ، وصفات المسيح الواردة في الأناجيل ، جلها من صفات الأنبياء .

وكما سبقت الإشارة هنا الى أن أبرز صفات المسيح لدى المسيحيين هي صفة الألوهية ، فان أبرز صفاته في الأناجيل الأربعة ، هي الانسانية المحضة ، وقد بينت تلك النصوص الواردة في الأناجيل التي ذكرت على لسان المسيح ووصفته بأنه ابن الانسان في أكثر من ثمانين موضعا منها ، وذلك في الفصل الثالث من الباب الأول ، وسيتأتى لنا قد ذكرنا ذلك على سبيل الاجمال في الباب المذكور ، فالتنا نرى من المستحسن ايراد بعض تلك النصوص على سبيل المثال لا على سبيل الاستيعاب واليك بعض تلك النصوص :

جاء في انجيل متى قوله : " ولما جاء يسوع الى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا : من يقول الناس اننى أنا ابن الانسان فقالوا : قوم يوحنا المعمدان وآخرون ايليا وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء " (١)

وصفات المسيح الواردة في الأناجيل الأربعة تنقسم الى قسمين :

١- قسم أطلقه المسيح على نفسه في مواضع كثيرة فيها .

٢- وقسم آخر أطلقه عليه الناس في عصره في مناسبات مختلفة .

ومن القسم الأول : صفة الرسالة : وهي صفة أطلقها المسيح على نفسه كثيرا

ومما جاء في الأناجيل من هذه الصفة قول المسيح عليه السلام : " من يقتلكم يقتل جسدي

ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني * (١) .

وجاء في انجيل متى أيضا قوله عليه السلام " . . . لم أرسل الا الى خراف بهيمت اسرائيل الضالة " (٢) .

وفي انجيل مرقس جاء قوله عليه السلام : " . . . ومن قبلني فليس يقبلني أنا بل الذي أرسلني " (٣) .

وورد في انجيل لوقا قوله : " . . . انه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأنني لهذا قد أرسلت فكان يكرز في مجامع الجليل " (٤) .
وفيه أيضا يقول المسيح : " . . . والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني " (٥) .
وفي انجيل يوحنا يقول عليه السلام : " الحق الحق أقول لكم ان الذي يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية " (٦) .

وجاء فيه أيضا أن المسيح عليه السلام صعد الى الهيكل وعلم فتعجب اليهود من تعليمه قائلين كيف يعرف الكتب وهو لم يقرأها ؟ فأجابهم قائلا : " تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني " (٧) .

هذه هي النصوص الواردة في الأناجيل الأربعة على لسان المسيح ، وهي ترينا صفة من صفاته البارزة التي يمتاز بها المسيح عليه السلام على سائر الناس ، ويشارك فيها بقية اخوانه من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ففي النص الأول من انجيل متى يتضح أن المسيح ربط بينه وبين تلاميذه من جهة وربط بينه وبين مرسله من جهة أخرى ، فكما أن من يقبل تلاميذ المسيح كمن قبل المسيح نفسه ، فان من يقبل تعليمات المسيح ورسالته ، كمن يقبل مرسله وهو الله عز وجل ، لانه هو الذي أرسل المسيح ، ولم يأت المسيح بشئ من عنده وفي النص الثاني ذكر المسيح أيضا أنه رسول وأن رسالته خاصة ببني اسرائيل .
والنص الوارد في انجيل مرقس يثبت صفة الرسالة للمسيح عليه السلام ، وهو يؤكد المعنى الوارد في النص الأول من انجيل متى حيث ذكر عليه السلام أن من يقبله لا يقبله بل يقبل الذي أرسله لان الرسالة من عنده عز وجل والمسيح مجرد واسطة تبلغ رسالة الله .

وفي انجيل لوقا يذكر عليه السلام أنه ينبغي أن يبلغ رسالة الله الى مدن أورشليم

(١) متى ١٠: ٤٠ (٨) متى ١٥: ٢٤ (٩) مرقس ٩: ٣٧ (٤) لوقا ٤: ٤٣

(٥) لوقا ١٠: ١٦ (٦) يوحنا ٥: ٢١ (٧) يوحنا ٧: ١٦

يبلغها لأنه أرسل من عند الله لأجل ابلاغ الرسالة الى تلك المدن .

وفي النص الأول الوارد في انجيل يوحنا يؤكد المسيح أنه رسول من عند الله فيذكر أن من يقل كلامه ويؤمن بالذي أرسله فله حياة أبدية . وفي النص الثاني يقول عليه السلام ان ما ينشره بين الناس من تعليم ليس له ، وانما هم للذي أرسله .

وهذه النصوص الواردة على لسان المسيح تثبت أن المسيح رسول من قبل الله عز وجل وأنه لم يأتي بشئ من عنده بل كل ما يدعو اليه ويعلمه هو من عند الله الذي أرسله . وهذه صفة الرسالة وهي تعتبر من أبرز صفاته عليه السلام .

وكما جاءت صفة الرسالة على لسانه في الانجيل الأربعة ، جاءت أيضا صفة النبوة على لسانه . يقول المسيح عليه السلام وهو يرد على من استخف به من اليهود حينما علمهم في مجمعهم قائلين من أين لهذا هذه الحكمة والقوة : " ليس نبي بلا كرامة الا في وطنه وفي بيته " (١) .

وجاء في انجيل مرقس قوله عليه السلام : " ليس نبي بلا كرامة الا في وطنه وبيته اقربائه وفي بيته " (٢) .

وفي انجيل لوقا يقول عليه السلام : " بل ينبغي أن أسير اليوم وهذا وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجا عن اورشليم " (٣) .

فدللت هذه النصوص على أن المسيح نبي كسائر أنبياء الله ، ذلك لأنه عليه السلام يرد على من سخريه من اليهود بذكر سنن الأمم مع أنبيائهم حيث كانوا لا يكرمون نبيا من أنفسهم بل يهزأون ويسخرون منه مضادا لقول الله عز وجل : (وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون) (٤) . والله عز وجل ما أرسل من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ما أرسل به اليهم ، والأمم كذلك ما جاءهم من رسول الا كانوا به يستهزئون ، وهذا ما حصل للمسيح من بني اسرائيل ولذلك قال لهم المسيح عليه السلام : " ليس نبي بلا كرامة الا في وطنه وفي بيته " .

(١) متى ١٣ : ٥٧ (٢) مرقس ٦ : ٤ (٣) لوقا ١٣ : ٣٣

(٤) سورة الزخرف ٦ - ٧ .

ونستخلص من هذه النصوص أن المسيح عليه السلام له صفة النبوة ، وأنسه
نبي من الأنبياء له ما لهم من فضل ، وعليه ما عليهم من واجب التبليغ وتبعاته
من تكذيبواستهزا* ممن أرسل اليهم .

ومما وصف به المسيح نفسه ، الانسانية :-

والانسانية من الصفات الواردة على لسان المسيح عليه السلام وهو يصف بها
نفسه في مواضع عديدة من الأناجيل الأربعة ، وقد ذكرنا فيما سبق أن المسيح —
عليه السلام لقب نفسه بابن الانسان في أكثر من ثمانين موضعا من الأناجيل —
الأربعة ، ولا بأس من أن نذكر هنا بعض النصوص الواردة في ذلك . يقول
المسيح عليه السلام :

" . . . للشعالب أجرة (٢) ولطيور السماء أوكار وأما ابن الانسان فليس
له أين يستند رأسه (١) وقال : " من يقول الناس اني أنا ابن الانسان (٢) —
وقال أيضا : " جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا انسان أكول وشرب
خمر محب للمشارين والخطاة ، والحكمة تبررت من جميع بنهها " (٣)

هذه نماذج من النصوص التي أطلق فيها المسيح على نفسه كلمة ابن الانسان
وهي تؤكد الصفة الانسانية للمسيح وكونه عليه السلام يحب هذا اللقب أكثر من
أي لقب آخر ، دليل على بشريته المحضة وبشوته للانسان فقط .
والمسيحيون يرون أن المسيح أعظم من نبي ، ولذلك يقول القس منيس عبد النور
في كتابه ألقاب المسيح : " وتحدث بعض الناس عن المسيح بأنه نبي ، لأنهم
رأوا عظمتهم ، لكنهم لم يدركوا أنه أعظم من كل الأنبياء ، فقد رأى الناس عظمتهم
عندما أقام ابن أرملة نايين من الأموات ، فقالوا " قام بيننا نبي عظيم " ، وعندما
سأل المسيح تلاميذه عن كلام الناس عنه ، قالوا ان الناس يقولون انه واحد من
الأنبياء وعندما دخل المسيح أورشليم دخول المنتصر هتف^ل الناس ، وسأل
بعضهم عنه ، فكان الجواب : " هذا يسوع النبي " . (٤)

(١) متى ٢٠ : ٨

(٢) متى ١٣ : ١٦

(٣) لوقا ٢٤ : ٧ — ٣٥

(٤) ألقاب المسيح ص ٤٥

وكون المسيحيين يرون أن المسيح أعظم من نبي دعوى مجردة عن الدليل بل الدليل قائم على نبوته وكونه واحدا من الأنبياء يدعوهم دعوتهم ، ويقتدى بهدى من قبله منهم .

ومن القسم الثانى وهو ما أطلقه الناس على المسيح عليه السلام ، وصفه بالنبوة فى مواضع عديدة من الأناجيل .

ومن ذلك ما ورد فى انجيل متى حينما سأل المسيح تلاميذه قائلا :
" من يقول الناس اننى أنا ابن الانسان ؟ فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون ايليا وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء " (١)

وفيه جاء أيضا قول كاتبه : " ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا ؟ فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل " (٢)
وفيه أيضا جاء قوله : " ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم ، وإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبي " (٣) .

وفى انجيل لوقا جاء قوله : " بعد أن ذكر قصة احياى المسيح للميت : " فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين ، قد قام فينا نبي عظيم وافتح الله شعبه " (٤)
وقال لوقا أيضا بعد عرضه لقصة شفاء المسيح للمرضى : " فسمع هيرودس رئيس اليربع بجميع ما كان منه وارتاب . لأن قوما كانوا يقولون ان يوحنا قد قام من الأموات وقوما ان ايليا ظهر . وآخرين ان نبيا من القدماء قام " .

ونذكر لوقا فى حديثه عن قيامة المسيح أن رجلين كانا يتحدثان عما حدث فى تلك الأيام من حوادث الصلب والقيامة اذا قرب منهما المسيح وهما لا يدريان عن هويته فقال لهما : " ما هذا الكلام الذى تتطسارحان به وأنتما ما شيان عابسين ؟ فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له ، هل أنت متعرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام ؟ فقال لهما وما هى ؟ فقالا ، المسخة

(١) متى ١٦ : ١٣-١٤ وانظر انجيل مرقس ٨ : ٢٧-٢٨

(٢) متى ٢١ : ١٠-١١ (٣) متى ٢١ : ٤٥-٤٦ (٤) لوقا ١٦ : ١٧

(٥) لوقا ٩ : ٧-٨

بیسوع الناصري الذي كان انسانا نبيا مقدرا في العقل والقول أمام الله
وجميع الشعب " (١) .

وفي انجيل يوحنا ورد قوله : " قالت له المرأة يا سيدى انك نبى " (٢) . وفيه
أيضا جاء قوله " قلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع ، قالوا ان هذا
هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم " (٣) .

وقوله : " فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو
النبى " (٤) .

وفيه أيضا جاء قول الأعمى الذي فتح عينه حينما : سأله الناس عن المسيح
بقولهم : " ماذا تقول أنت عنه من حيث انه فتح عينك فقال انه نبى " (٥)

هذا هو رأى الناس المعاصرين للمسيح في هويته وهم حينما شاهدوا أعماله
وسمعوا أقواله شهدوا بنبوته ، لان تلك الاعمال والأقوال معروفة لديهم لكونها
تجرى على أيدي الرسل والأنبياء الذين توالى بمشائهم في بني اسرائيل .

هذه هي أبرز صفات المسيح الواردة في الأناجيل وهي النبوة الحققة التى
لا تختلف مع النبوات السابقة ، ولم تكن بدعاشتها ، وهي صفات امتاز بها
على معاصريه حتى . استحق منهم الاعتراف بنبوته ورسالته .

وبالإضافة الى هذه الصفة ، هناك صفات أخرى للمسيح ، وهي الصفات الخلقية
التي جعلته يتبوأ مكانة عالية في قلوب معاصريه .

ومن تلك الصفات التواضع ، فقد كان عليه السلام يخالط الصغار والكبار
ويجالسهم ويحادثهم ما جعله يؤثر في دعوته على كثير من بني اسرائيل ، ما عدا
أولئك الذين أعماه الحق ولم يقلوا دعوته بسبب ذلك .

(١) لوقا ٢٤ : ١٧ - ١٩

(٢) يوحنا ٤ : ١٩

(٣) يوحنا ٦ : ١٤

(٤) يوحنا ٧ : ٤٠

(٥) يوحنا ٩ : ١٧

الفصل الثاني

- * دعوة المسيح وميزاتها
- * المعارضون لدعوته
- * نماذج من الآيات التي ظهرت على يديه.

دعوة المسيح عليه السلام ومميزاته

بدأ المسيح دعوته وهو في الثلاثين من عمره ، وذلك بعد ما اعتمد من يوحنا المعمدان بالأردن (١) والذي عرف عن أخبار المسيح لم يكن إلا ما كان من أمر ولادته ونهايه الى مصر وعودته منها ، ثم ما بعد هذه الفترة عندما بدأ دعوته . وأما أخباره الواقعة ما بين عودته من مصر وبلوغه سن الثلاثين ، فقد خلت الأناجيل من ذكرها سوى النذر القليل .

ولعل هذا راجع الى أن الذي لفت أنظار الناس في عهد المسيح أمران هما :

- ١- ميلاده من غير أب وما لا يس ذلك من آيات ورؤى دلت على مكانته
 - ٢- معجزاته التي دعم المسيح بها دعوته بعد الثلاثين من عمره .
- ولما كانت الفترة الواقعة بين هاتين الفترتين فترة الولادة ، وفترة ما بعد الثلاثين من عمره — لما كانت عادية ، لم يهتم كتاب الأناجيل وغيرهم بتلك الفترة ، وذكر ما وقع فيها من أخبار المسيح ، ولو كانت تلك الفترة فترة غير عادية وتميزت بوقوع المعجزات والخوارق فيها لتحدث الكتاب عن ذلك لا محالة ولكن الخوارق لا تكون الا لتأييد دعوة أو دفع شبهة ، وقد دفعت الشبهة بظهور المعجزات أثناء حمله ولادته ، وأيدت الدعوة بعد بلوغه سن الثلاثين ودعوته الى الله عز وجل .

ومنهج المسيح في دعوته ليس منهجا مستقلا عن منهج التوراة ، ولكن منهج اصلاحى قصد منه اصلاح شريعة موسى عليه السلام ولذلك يقول المسيح عليه السلام :

" لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء " ما جئت لأنقض بل لأكمل فاني الحق أقول لكم اني أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " (٢)
وهو عليه السلام يدعو الناس في عصره الى التوبة ونهذ المعاصي ويقول لهم :
" قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتهبوا وآمنوا بالإنجيل " (٣)

(١) راجع لوقا ٢٣ : ٣ (٢) متى ١٧ : ٥ - ١٨

(٣) مرقس ١ : ١٥

ويدهوهم الى التمسك بعصمة موسى ، والتأديب بأدائها ، بل والى تعمق
أكثر فى الالتزام بوصاياها ، ويقول عليه السلام فى ذلك :
" قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم
وأما أنا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ، ومن
قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع . ومن قال أحق يكون مستوجب نارجهم
فان قدمت قربانك الى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك فاترك ههناك
قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اضطلح مع أخيك ، وحينئذ تعال وقدم قربانك
كن مراضيا لخصمك سريعاً ما دمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم الى القاضى
ويسلمك القاضى الى الشرطى فتلقى فى السجن ، الحق أقول لك ، لا تخرج
من هناك حتى توفى الفليس الأخير " (١)

ويتضح من هذا النص أن المسيح عليه السلام دعا بنى اسرائيل الى التعمق
فى تطبيق الشريعة الموسوية ، ولم يأت بها يخالفها .

وفى موضع آخر يقول المسيح عليه السلام حينئذ لمن سأله عن أولى الوصايا
العشر التى أعطاها موسى فوق الجبل .

" تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هى
الوصية الأولى والمعظمى " (٢)

وهذا يتبين أن شريعة المسيح لا تخالف شريعة موسى وانما هى دعوة اصلاحية
أزالت من اليهودية ما علق بها من الأثقال ، وأهيت ما اندثر منها بمرور الزمن
وكيد البطلن .

وتتميز دعوة المسيح بالدعوة الى التواضع والتواضع ، والتسامح وملازمة اللين فى
جميع شؤون الحياة ، والاعراض عن زخارف الدنيا وزينتها ، ويقول فى ذلك عليه السلام .

" . . سمعتم أنه قيل للقدماء ، لا تحنث ، بل أوف للرب أقسامك . وأما أنا
فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسما ، لانها كرسى الله ولا بالأرض لانها موطئ "

(١) متى ٥ : ٢١ - ٢٦

(٢) متى ٢٢ : ٣٧ - ٣٨

قدميه ، ولا بأورشليم لأنهما مدينة الملك العظيم ، ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر —
أن تجعل شعرة واحدة بيضا أو سوداء ، بل ليكن كلامكم نعم نعم ، لا لا وما زاد
على ذلك فهو من الشرير . سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا
فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا ،
ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا . ومن سخر من مهلا
واحدا ، فاذهب معه اثنين من سالك فاعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترد

سمعت أنه قيل تحب قريبك تفيض عدوك . وأما أنا فأقول لكم ، أحبوا أعداءكم
باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم
لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات ، فانه يشرق شمس على الأشرار والصالحين
ويطهر على الأبرار والصالحين ، لأنه ان أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم" (١)

هكذا يحث المسيح معاصريه على التحلى بالأخلاق الكريمة والآداب الفاضلة
وخفض جناح الذل للقاصي والداني ، والصديق والعدو ، وبأمرهم يحزم الأمور
وبأمرهم عليه السلام في مواطن عديدة من التأجيل بالابتعاد عن الرياء ففى
المبادات ، حتى انه لم يأمرهم بالصلاة فى الخفاء والصدقة والصوم سرا ، بحيث
لا يعلم أحد من الناس بذلك ، وبمثل ذلك بأن الذى يرى فى الخفاء وهو الله
عز وجل يجازى علانية من عمل ذلك سرا فيقول عليه السلام :

" احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم . والا فليس لكم
أجر عند أبيكم الذى فى السموات ، فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قوامك بالسوق
كما يفعل المراءون فى المجمع وفى الأزقة لكي يمجدوا من الناس . . . وأما أنت
فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكي تكون صدقتك فى الخفاء . .
ومتى صليت فلا تكن كالمراثين فانهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجمع وفسس
زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس . . . وأما أنت فمتى صليت فادخل الى مخدعك
واغلق بابك وصل الى أبيك الذى فى الخفاء . . . ومتى صمت فلا تكونوا عابسين
كالمراثين فانهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين ، الحق أقول لكم
انهم قد استوفوا أجرهم وأما أنت فمتى صمت ، فادهن رأسك واغسل وجهك لكسى
لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك
علانية " (٢)

(١) متى ٥: ٣٣-٤٦

(٢) متى ٦: ١-١٨

هذه هي معالم دعوة المسيح ومميزاتها ، وهي مع امتيازاتها وكونها ذات —
صفة خاصة ، قوية الصلة بدعوة موسى عليه السلام .
ويكرر المسيح عليه السلام في دعوته للناس من ضربا لأمثال والتشبيهات حتسسى
لا يترك لأحد من المستمعين اليه مجالا للاستشكال والاستفسار . وفي ذلك يقول
عليه السلام :

" يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة في البحر وجامعة من كل نوع ، —
فلما امتلأت أضعدها على الشاطئ " ، وجلسوا وجمعوا الجياد الى أوعية ، وأما
الأرديا " ، فطرحوها خارجا ، هكذا يكون في انقضاء العالم ، يخرج الملائكة
ويفرزون الأشجار من بين الأبرار ويطرحونهم في أتون النار هناك يكون البكاء
وصرير الأسنان " (١)

المعارضون لدعوة المسيح عليه السلام

بعث المسيح عليه السلام في أمة أوتيت من الجدل ما أوتيت ، وقست —
قلوبها وهي كالحجارة في ذلك أو أشد قسوة ، وذلك مع كثرة الرسل والأنبياء
الذين بعثهم الله في تلك الأمة بحوثلم تغل فترة من الرسل والأنبياء منذ أيام
أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي انعذر بنو إسرائيل من نسله ، وكانوا
يواجهون أنبياءهم بالمداداة والبهضا ، وعدم الانصياع لأوامر الله التي تلقى اليهم
بواسطة هؤلاء الرسل فكان جزاء أنبياء الله عندهم القتل لكثير منهم .

ولما كانت بعثة المسيح عليه السلام ودعوته في أولئك القوم فقد كان جزاءهم منهم
كجزاء إخوانه السابقين من الرسل والأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

وقد ذكرنا في مقدمه هذا الباب أن اليهود قبل مجيئ المسيح كانوا يرتقسون
مجيئ المسيح وكانوا ينتظرون أن يأتي فيكون ملكا لبني إسرائيل ويسودون العالم
في زمانه وتحت لوائه ، ولما جاء المسيح نبيا رسولا لا ملكا ينتظرون الخلاص على يديه
كفروا به وعارضوا دعوته معها وجدوا منه عليه السلام من الآيات التي أجراها الله
على يديه . طبعهم في ذلك طبع أسلافهم مع موسى عليه السلام .

الا أن موسى حينما طلبوا منه الآيات استجاب لذلك وطلب من الله أن يرهم
ما طلبوه من الآيات للدلالة على صدقه . أما المسيح فقد رفض قبول طلبهم
حينما قالوا له :

” يا معلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم : جهل شرير يطلب آية
ولا تعطى له آية الا آية يونان النبس “ (١)

طلبوا منه آية ولو أعطوا آية ، لما آمنوا . لذلك وصفهم المسيح عليه السلام
بأنهم جهل شرير لأنهم يطلبون تلك الآية مع ما يرون من شفاء المرضى من الأكسمة
والأبرص ، وأحياء الموتى ولو كانت في نيتهم الاستجابة لدعوته ، لكان ما يشاهدونه
كافيا لقبول دعوته والايان برسالته ، وهم حينما سمعوا أقواله الحكمة وأعماله
المجيبه

قالوا كلاما يحط من شأنه فقد روى متى في انجيله قوله :
 " ولما جاء الى وطنه ، كان يعلمهم في مجملهم حتى بهتوا وقالوا من أين
 لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى
 مريم واخوته يعقوب ويوس وسيمان ويهوذا ؟ أليست أخواته جميعهن عندنا ؟
 فمن أين لهذا هذه كلها ؟ فكانوا يعثرون به ، وأما يسوع فقال : لهم ليس
 نبى بلاكرامة الا في وطنه وفي بيته ، ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم^(١)
 ولما كان اليهود قد جيلوا على العناد ومقاومة الحق ، فقد تقدموا الى
 المسيح عليه السلام وهو يعلم في الهيكل قائلين :

" بأى سلطان تفعل هذا ؟ ومن أعطاك هذا السلطان ؟ فأجاب يسوع
 وقال لهم ، وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة ، فان قلتم لى عنها أقول لكم أنا
 أيضا بأى سلطان أفعل هذا . معنوية يوحنا من أين كانت ؟ من السماء
 أم من الناس ؟ فكروا في أنفسهم قائلين ، ان قلنا من السماء ، يقول لنا ، فلماذا
 لم تؤمنوا به ؟ وان قلنا من الناس ، نخاف من الشعب . لأن يوحنا عنده
 الجميع مثل نبى ، فأجابوا يسوع ، وقالوا لا نعلم ، فقال لهم هو أيضا ، ولا أنا
 أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا " (٢)

واذا كان اليهود قاوموا دعوة المسيح وعارضوها معارضة شديدة ، فان ذلك
 لم يكن الا من قبل رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب الاسرائيلى الذين يسيطرون
 على ارادة الضعفاء الذين لا يعلمون من اليهودية عدا ما يأمرهم به أولئك
 الرؤساء . ولذلك خاطب المسيح جموع اليهود وتلاميذه قائلا :

" على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه
 فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون
 فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على أكفاف الناس ، وهم
 لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم ، وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس ،
 فيعرضون عصبائهم ويعظمون أهداب ثيابهم ويحبون المتكأ الأول في الولائم
 والمجالس الأولى في المجامع والتحيات في الأسواق ، وأن يدعوهم الناس ، سيدى
 سيدى " (٣)

هكذا يكشف المسيح عليه السلام حقيقة معارضة من زعماء اليهود وعلمائهم لمن يستمع اليه من الشعب الاسرائيلي وتلاميذه ، ثم لم يكشف بفضح ما في نفوسهم من رياء ومكر وخداع ، بل واجه نفس الكنية والفريسيين بقوله :

" لكن ويل لكم أيها الكنية والفريسيون المراءون لأنكم تفلقون ملكوت ... السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين بدخلون ويل لكم أيها الكنية والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرمال ، ولعملة تطيلون صلواتكم ، لذلك تأخذون دينونة أعظم ، ويل لكم أيها الكنية والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنمونه ابننا لجهنم أكثر منكم مضاعفا ، ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشئ* ، ولكن من حلف بهذا هيب الهيكل يلتزم ومن حلف بالمذبح فليس بشئ* ، ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم ويل لكم أيها الكنية والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قهورا مبهضة لتظهر من خارج جميلة ، وهي من داخل ملوثة عظام السموات وكل نجاسة ، هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء وانما ويل لكم أيها الكنية والفريسيون المراءون لأنكم تبثون قهور الأنبياء ومدافن الصديقين وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء* فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم ابناء قتلته الأنبياء* . فاملاؤا أنتم مكبال آبائكم . أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء* وحكما* وكهنة* فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا ابن برخيا الذي قتلوه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم ان هذا كله يأتي على هذا الجيل " (١)

ثم أخذ عليه السلام يوبخ مدينة اورشليم مغاطبا لها وهو يقول :
 " يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الأنبياء* وراجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، هوذا

(١) متى ٢٣ : ٢٦-٣٦ وفي انجيل لوقا جاء هنا قوله : " لذلك قالت حكمة الله اني ارسل اليهم أنبياء* ورسلا فيقتلونهم ويطردون لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء* من دم هابيل الى دم زكريا الخ لوقا ١١ : ٤٩ = ٥١

" نماذج من الآيات التي ظهرت على يديه :

اقتربت دعوة المسيح عليه السلام بشفاء المرضى واحياء الموتى ، وكان ذلك آية من آيات الله الدالة على صدق نبوته ورسالته .

ولقد ذكرت الأناجيل الأربعة تلك الآيات التي ظهرت على يديه غير أن الطبيب لوقا صاحب أحد الأناجيل ، ذكر من ذلك الشيء الكثير وتوسع في ذكر هذه الآيات .

وأول شيء ذكره لوقا من الآيات هو شفاء المسيح عليه السلام لرجل به شيطان حينما كان يعلم في المجمع ، ويقول في ذلك :

" وانحدر الى كفرناحوم مدينة من الجليل وكان يعلمهم في السبوت ، فبهتوا من تعليمه لان كلامه كان بسلطان ، وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس فصرخ بصوت عظيم قائلا ، مالنا ولك يا يسوع الناصري أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله فانتبهه يسوع قائلا اخرس واخرج منه فصاح الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيئا " (١)

وفي قصة أخرى يقول لوقا :

" ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان وكانت حمة سمعان قد أخذتها حمى شديدة فسألوه من أجلها فوقف فوقها وانتبهت الحمى فتركتها . وفي الحال قامت ، وصارت تخدمهم وعند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قد موهم اليه فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم ، وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله ، فانتبههم ولم يدعمهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح " (٢)

ويقول في موضع آخر ،

" . . . وفي سبت آخر دخل المجمع وصار يعلم ، وكان هناك رجل يده اليمنى يابسة وكان الكتبة والفسريسيون يراقبونه هل يشفى في السبت لكي يجدوا عليه شكية . أما هو فعلم أفكارهم وقال للرجل الذي يده يابسة ، قم وقف فليس الوسط فقام ووقف ثم قال لهم يسوع ، أسألكم شيئا ، هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر ؟ تخليص نفس أو اهلاكها ؟ ثم نظر حوله الى جميعهم

وقال للرجل مد يدك ففعل هكذا فعادت يده صحيحة كالأخرى ، فامشلاوا
حمقا وصاروا يتكلمون فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع " (١)

هذه آيات المسيح في شفا المرضى والتي تحدث عنها لوقا في انجيله
أما حديثه عن احباء المسيح للأموال ، فقد جاء فيه قوله ،

" فلما اقترب الى باب المدينة (٢) اذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهى
أرملة ومعها جمع كبير من المدينة ، فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها
لا تبكى ، ثم تقدم ولمس النعنع فوق الحاملون ، فقال أمها الشاب لك أقول
قم . فجلس الميت وابتدأ يتكلم قد دفعه الى أمه ، فأخذ الجميع خوف ومجدوا
الله قائلين ، قد قام فينا نبى عظيم واقتقد الله شعبه " (٣)

وهو يوحنا أن المسيح أقام من القبر رجلا مضت على وقاي أربعة أيام
فيقول :

" ... فمرهم لما أتت الى حيث كان يسوع ورأته خرت عند رجله قائلة له :
يا سيد لو كنت ههنا لم يستأخى ، فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاؤوا
معها يبكون ، اترجع بالروح واضطرب ، وقال أين وضعتوه ؟ قالوا له ، يا سيد
تمال وانظر ، بكى يسوع فقال لليهود انظروا كيف كان يحبه ، وقال بعضهم
منهم ألم يقدر هذا الذى فتح عيني الأعشى أن يجعل هذا أيضا لا يموت ؟
فانزعج يسوع أيضا في نفسه وجاء الى القبر وكان مقارة قد وضع عليه حجر قال
يسوع ، ارفعوا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت ، يا سيد قهها أنتن لأن لسه
أربعة أيام . قال لها يسوع ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله فرفعوا
الحجر حيث كان الميت موضعا ، ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال ، أمها الأب -
أشكرك لأنك سمعت لى وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ولكن لأجل هذا -
الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم
لما زرعهم خارجا . فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطان بأقطة ووجهه
ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب " (٤)

(١) لوقا ٦: ١١-١١ واملأوهم حمقا كان من أجل ابرائه للعربى في السبت

(٢) لوقا ١٢: ١٦-١٦

(٣) والمدينة هذه تدعى تايين . أنظر الآيه ١١ من نفس الاصحاح فى لوقا

(٤) يوحنا ١١: ٣٢-٤٤

ويذكر يوحنا أن كثيرين من حضروا هذه الحالة من اليهود آمنوا بالمسيح حينما شهدوا هذه الآية . وذهب آخرون فأخبروا السامريين بما شهدوا من عمل المسيح ولما سمع السامريون ما فعله المسيح اجتمعوا وقالوا ماذا تصنع فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتس الرومانيون ويأخذون المركز الديني من الأمة اليهودية ، ثم اقترح عليهم قيافا رئيس الكهنة ان يموت المسيح بدلاً من أن يفقد اليهود مركزهم الديني بسببه ويقول يوحنا في ذلك :

" فجميع رؤساء الكهنة والسامريون ^{مجمعاً} وقالوا ما تصنع فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة ؟ ان تركناه هكذا يؤمن الجميع فيأتس الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا . فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون أن خير لنا أن يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها ، ولم يقل هذا من نفسه بل ان كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزع أن يموت عن الأمة وليس عن الأمة فقط بل عن الجميع أبناء الله المتفرقين الى واحد ومن ذلك اليوم تشاوروا ليهلكوه " (١)

" ومع أن اليهود لم يحاولوا أن يقتلوا المسيح الا لكرهتهم له وخوفهم منه على مركزهم الديني الذي يسيطرون به على الشعب ، فان المسيحيين يرون فسي اقترح قيافا على اليهود قتل المسيح أنه انما اقترح ذلك لعلهم أن المسيح جاء ليموت عن الأمة الا أن النص الذي أورده يوحنا - وان تغير شكه فسي النهاية - لم يدل على أن قيافا قال ذلك لاطلاعه على ما سيكون من أمر المسيح بل دل على أن قيافا ومن معه من اليهود أرادوا قتله خوفاً من ظهور دعوة المسيح وانتشارها بين الأمم ، وسيطرة الرومان على المركز الديني الذي لم يستولوا عليه مع استيلائهم على السلطة السياسية ، واذا ما انتشرت دعوة المسيح وظهرت ، فقد تولى الرومان قيادة المركز الديني باعتناق النصرانية بالإضافة الى ما كان بيدهم من القيادة السياسية . والآيات التي جرت على يد المسيح لم تزد زعماً اليهود الا عتوا ونفورا ، ولم يتغير موقفهم منه بل ازدادت عداوتهم له ، ومقاومتهم لدعوته حتى قرروا أن يقتل حفلاً لمنصبهم الديني وسيطرتهم على الشعب الاسرائيلي ..

الفصل الثالث :

- * الصلب كما تحدث عنه الأناجيل ..
- * الصلب والادلة الانجيلية المثبتة له
- * قيامة المسيح كما ذكرتها الأناجيل

الصلب كما تحدث عنه الأناجيل

كان المسيح عليه السلام قد ووجه من قبل بني اسرائيل بممارسة شديدة لدعوته ، وقد تبين لنا فيما مضى كيف أن اليهود وزعماءهم حاولوا الايقاع بهسه بمختلف الطرق ليسلموه الى الوالى الرومانى الحاكم لفلسطين آنذاك ، وذلك على الرغم من الآيات التى ظهرت على يديه ، وقد ذكرنا فى البحث السابق نماذج من تلك الآيات التى جرت على مرأى وسمع من زعماء اليهود الذين لم تؤثر فيهم تلك الآيات ، ولم يتوقعوا عن معارضة وملاحقته ، بل بذلوا مجهوداً كبيراً لتحقيق هدفهم الذى هو القضاء على المسيح بأى طريق ممكنة .

ولتحقيق هذا الهدف أعاد اليهود الكرة عليه ، وزعموا عند الحكام الرومان أن المسيح يزعم أنه ملك اليهود ، أن نسبة اليهود اليه هذا الاعتقاد يجمعه عند الرومان متبهما بالتطاول على المنصب السياسى الخطير ، واللهى يهدد الوجود الرومانى بأسره فى فلسطين .

ولما كان الرومان على حذر من أمرهم السياسى فى فلسطين ، وكانت أخبار المسيح تملأ الكورة المحيطة بها ، قبلوا وشاية اليهود بالمسيح ، وأخذوا - يلاحقونه للقبض عليه وسحاكته على ما نسب اليه واستطاعوا بمعاونة أحد تلاميذه المسيح أن يقبضوا عليه فى حديقة يقال لها جشيمانى ، وضوا به الى دار رئيس الكهنةسمى قيافا ، وفى تلك الدار نسبت اليه جريرتان :

- ١- احدهما قولهم ان المسيح يزعم أنه ابن الله .
- ٢- والاخرى قولهم انه يقول انى أقدر أن أنقض الهيكل وأبنيه فى ثلاثة أيام

وشهد على المسيح شاهدان بأنه يزعم أنه يهدم الهيكل ويعيد بناءه فى ثلاثة أيام ، وذلك أمام قيافا رئيس الكهنة الذى اعتكف المسيح بالله هل هو - المسيح ابن الله ؟ فأجابه المسيح بقوله : " أنت قلت " ولم يجبه على سؤاله بأكثر من هذا ، إلا أن رئيس الكهنة وجد فى جوابه هذا ما دفعه الى تحقيق هدف اليهود ، فأداناه قاتلاً : قد جدف . ما حاجتنا بعد الى شهود " ثم استشار اليهود فيما ينبغى أن يسار اليه فى أمر المسيح ، فأجابوا بأنه يستوجب القتل ، ثم انهم أساءوا عليه ضرباً ولطماً ، وأسلموه الى بيلاطس الوالى

الرومانى بعد أن أوثقوه .

ولما حضر المسيح ووقف أمام الوالى ، سأل الوالى بقوله : أنت ملك اليهود ؟ فأجاب المسيح بقوله : أنت تقول ، وكان رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود حاضرين المجلس يشهدون على المسيح أمام الوالى ، غير أن المسيح لم يجب على ذلك ، حتى تعجب الوالى منه .

وكانت العادة قد جرت أن الحاكم الرومانى يطلق لليهود سجيناً فى العيد من يختارون وكان فى الأسر رجل اسمه (باراباس) فخير بهلاطس اليهود بين أن يطلق لهم يسوع أو باراباس وذلك لعلمه أن اليهود أسلموا المسيح حسداً ، وفى هذه الحالة أرسلت امرأة الوالى الى زوجها تقول : اياك وذلك البار ، لاني تأملت اليوم كثيراً فى الحلم من أجله ، ألا أن رؤساء اليهود حرضوا جموع الشعب الحاضرين بالمجلس على المطالبة باطلاق (باراباس) ، وقتل المسيح فسألهم الوالى ، ماذا يفعل بالمسيح ؟ فقالوا له ليصلب ، وسألهم باى ذنب يقتل ؟ فصرخوا فى وجهه مطالبين بصلبه . فلما أيقن بهلاطس أن اليهود مصرون على أن يصلب المسيح ويحدثون الشعب من أجل ذلك غسل يديه أمام الجموع الحاضرة لديه وقال لهم انى برئ من دم هذا البار . فأجابه الجمع قائلين ان دمه علينا وعلى اولادنا ، فأطلق لهم باراباس وجلد المسيح وأسلمه ليصلب .

هذه خلاصة ما حدث للمسيح قبل غيابه عن أنظار تلاميذه ، وأنظار المعادين له . وتلك أسباب غيابه وما كان من أمره فى نظر النصارى .

ولتوضيح ما سبق تلخيصه هنا من تلك الأسباب ، ينبغي أن نورد فيما يأتى النصوص الانجيلية التى أوردت تفاصيل ما حدث للمسيح من اليهود المعادين والرومان الحاكمين ، وذلك حسب اعتقاد النصارى بغض النظر عن صحة الرواية مسة أو عدم صحتها .

ذكر متى فى انجيله أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه بعد أن قدم النصائح والوعظ لمن حوله :

” تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يسلم ليصلب ” (١)

ولا يتفق مع متى في هذه الرواية أحد من كتاب الأناجيل ، غير أن الجميع يتقاربون في الحديث عن حادثة الصلب وكيفية القبض على المسيح عليه السلام .
وذكر متى أن المسيح كان في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص عندما تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب ذات ثمن غال فصبته على رأس المسيح ، ولما اعترض تلاميذه على عملها بحجة أن هذا الطيب يمكن أن يباع بمطس ثمنه للفقراء ، رأى المسيح أن المرأة عملت عملا حسنا ، لأن الفقراء يفتشون ويوجدون معهم كل حين ، أما هو فلا يكون معهم كل حين وقال إن المرأة انما عملت ذلك به لأجل تكفيني ، ثم قال متى :

" حينئذ ، ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه اليكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليلسه " (١)

ثم ذكر متى أن تلاميذ المسيح طلبوا منه أن يبين لهم المكان الذي يرصدون أن يحدوا له فيه طعام الفصح ، وذلك في أول يوم من أيام الفطير ، فأمرهم بالذهاب الى المدينة ومقابلة شخص وصفه لهم ليصنعوا عند الفطير ويقولوا لصاحب الدار ، المعلم يقول ان وقتي قريب أصنع الفصح عندك مع تلاميذي . ثم كان المساء بعد أن طلب التلاميذ من الرجل ما أمروا به من قبل المسيح .

" ولما كان المساء اتكا مع الاثني عشر وفيما هم يأكلون قال الحق أقول لكم ان واحدا منكم يسلمني فحزنوا جدا وابتدأ كل واحد منهم يقول له : هل أنا هو يا رب فأجاب وقال ، الذي يفسد يده متى في الصفحة هو يسلمني . ان ابن الانسان ما من كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل الذي يسلم ابن الانسان ، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد فأجاب يهوذا مسلما هل أنا هو يا سيدى ؟ قال له : أنت قلت " (٢)

وهذا النص يدل على أمور ، منها أن يهوذا الاسخريوطي يعتبر من تلاميذ المسيح الاثني عشر . ومنها أنه تواطأ مع اليهود في القبض على المسيح وأخذ مقابل دلالته ثلاثين من الفضة . ومنها أن المسيح أخبر تلاميذه أن -

(١) متى ٢٦ : ١٤ - ١٦

(٢) متى ٢٦ : ٢٠ - ٢٥

واحدًا منهم ميسلمه لليهود وأن ذلك الواحد هو الذي يغمس يده مع المسيح في الصفحة.

ومنها أن ذلك الرجل له عهد شديد لقوله : ول لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الانسان الخ . ثم ان المسيح عليه السلام أخذ الخبز وكسره وقسم على التلاميذ قائلا : خذوا كلوا هذا هو جسدي ، وأخذ الكأس وأعطاهم وهو يقول ، اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي يسفك من أجل كثير يسكن المغفرة الخطايا ثم قال لهم عليه السلام :

" وأقول لكم : اني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا في ملكوت أبي " (١)

ثم انه عليه السلام خرج مع تلاميذه الى جبل الزيتون فقال لهم :
" كلكم تشكون في هذه الليلة لأنه مكتوب اني أضرب الراس فتبتعد عن الرعية " (٢)
ومعد أن قال المسيح عليه السلام هذا الكلام لتلاميذه قال له جميع التلاميذ انهم لن يشكوا فيه مهما يكن من أمر ، ثم خرج معهم الى ضيعة جثيماني فقال لهم :

" اجلسوا ههنا حتى أضي وأصلي هناك ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتب فقال لهم ، نفسي حزينة جدا حتى الموت امكثوا ههنا واسهروا معي ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا يا ابتاه ان أمكن فلتعبر نياما فقال لبطرس ، أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف فبض أيضا ثانية وصلى قائلا يا ابتاه ان لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك ، ثم جاء فوجدهم نياما اذ كانت أعينهم ثقيلة فتركهم وبض أيضا وصلى نالئة قائلا ذلك الكلام بعينه ، ثم قال لتلاميذه ناموا الآن واستريحوا هوذا الساعة قد اقتربت ، وابن الانسان يسلم الى أيدي الخطاة قوموا تنطلق هوذا الذي يسلمني قد اقترب " (٣)

(١) متى ٢٦ : ٢٩ - ٣٠

(٢) متى ٢٦ : ٣١

(٣) متى ٢٦ : ٣٦ - ٤٥

هكذا يروى متى في انجيله حالة المسيح قبل أن يقبض عليه وهي حالة حزن ، وخوف مما سيقع به ، وقد تبين ذلك من قوله : " وابتدا يحزن ويكتئب فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت " كما يتضح لنا من صلاته المتكررة وتضرعه الى الله عز وجل وهو يخر على وجهه بأن تعبر عنه كأس الضيق وهذا مدى ما عناه من الخوف قبل رحيله .

وبين لنا هذا النص أيضا كيف كانت حالة التلاميذ في تلك الساعة حيث أثقلت أعينهم بالنوم ولم يستطيعوا السهر مع المسيح عليه السلام رغم الحاجة الشديدة عليهم في أن يسهروا معه حتى أنه عليه السلام قال لهم " ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة " ولم يجد منهم استجابة لنداءاته المتكررة لما ألقى الله عليهم من النوم الثقيل الذى لم يستطعوا الفكاك .

ويتضح من النص أيضا عبودية المسيح الكاملة لله عز وجل ، وكون ارادته عليه السلام غير ارادة الله تعالى وذلك حيث يقول : " ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت " . ثم ان هذا النص دلنا على أمر مهم جدا في حياة المسيح الأخيرة مع تلاميذه حيث ذكر أن روح المسيح بعد ذلك التضرع والصلاة المتكررة نشيط ، وأن جسده ضعيف وكان الجانب الروحي تغلب على الجانب المادى وثقله استعداد لا مرهم جدا وهو رفع المسيح عليه السلام قبل أن يقتل أو يصلب .

وعلى كل فهذا رأى خاص لى في هذا النص استنبطته من قوله : أما الروح فنشيط ، وأما الجسد فضعيف " .

أضف الى هذا قوله عليه السلام لتلاميذه ، (كلكم تشكون فى هذه الليلة " وليس ثم شك أعظم من أنهم لم يعرفوا أن المسيح لم يصلب ، وخاصة بعد ما غشاهم التماس ولم يتمكنوا من السهر مع المسيح لثقل ما ألقى عليهم من النوم .

ويقول متى في الحديث عن حادثة القبض على المسيح : " وفيما هو يتكلم اذ يسهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وهن من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، والذى أسلم أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله هو هو أسكوه " فللوقت تقدم الى يسوع وقال السلام ياسيدى

وقبله ، فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت حينئذ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه " (١)

ويتفق مرقس ولوقا مع متى في رواية هذه القصة ولكن يوحنا يخالفهم في انجيله اذ يقول :

" فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفرسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج وهو عالم بكل ما يأتي عليه ، وقال لهم من تطلبون ؟ أجابوه يسوع الناصري ، قال لهم يسوع أنا هو وكان يهوذا مسلمه أيضا وألقا معهم فلما قال لهم اني أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ، فسألهم أيضا من تطلبون فقال يسوع الناصري ، أجاب يسوع قد قلت لكم اني أنا هو فان كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون " (٢)

ويبدو من رواية يوحنا أن يهوذا - وأن جاء مع الجند لتسليم المسيح - لم يسلم المسيح بالفعل وإنما المسيح هو الذي كشف للجند عن هويته وعرفهم بنفسه أما يهوذا فكان واقفا مع الجند حينما خاطبهم المسيح وأخبرهم بأنه هو يسوع ولم يرد في انجيل يوحنا ما يدل على أن يهوذا قبل المسيح وسلمه بقبلة المسيح الجند متخذايها علامة على أن القبل هو المسيح الذي يريدون القبض عليه .

ويقول مرقس : " فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لس خرجتم بسيفوف وعصى لتأخذوني . كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني ولكن لكي تكمل الكتب فتركه الجميع وهربوا " (٣)

ونذكر هنا أن الذين هربوا هم تلاميذ المسيح اذ يقول :

" في تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لس خرجتم بسيفوف وعصى لتأخذوني كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل ولم تمسكوني . وأما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء ، حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا " (٤)

والإضافة الى ما سبق استنتاجه من أن تلاميذ المسيح لم يعرفوا من هو المطلوب فان هربهم المذكور هنا يؤكد أنهم لم يكونوا معه أو لم يعرفوا ما كان منه وما حصل وذلك لأنهم الثقيل أولا ، ولهم هربهم من المسيح ساعة مجي الجند الرومانيين للقبض

(١) متى ٢٦: ٤٧ - ٥٠ (٢) يوحنا ١٨: ٣ - ٨ (٣) مرقس ١٤: ٤٨ - ٥٠

(٤) متى ٢٦: ٥٥ - ٥٦ .

عليه ، ولقوله لهم عليه السلام كلّم تشكون في هذه الليلة . وهذا الشك في أمر المسيح عليه السلام قد ذكره القرآن الكريم بقوله (. . .) وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن النّذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظنن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (١)

ويذكر مرقس أن الجند بعد أن قبضوا على المسيح وهرب عنه التلاميذ ، مضوا به الى رئيس الكهنة فيقول في ذلك :

" فمضوا بيسوع الى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيخ والكبة وكان بطرس قد تبعه من بعيد الى دار رئيس الكهنة وكان جالسا بين الخدام يستدفى عند النار وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا ، لان كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم ، ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين ، نحن سمعناه يقول : انى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد ، ولا بهذا كانت شهاداتهم تتفق فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلا ، أما تجيب بشىء ؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك ؟ أما هو فكان ساكنا ولم يجب بشىء فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له : أنت المسيح ابن البارث ؟ فقال يسوع : أنا هو . وسوف تبصرون ابنن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا في سحاب السماء فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد الى شهود ؟ قد سمعتم التجاديف ، ما رأيكم ؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت ، فابتدأ قوم يصفقون عليه ويخطون وجهه ويلكمنونه ويقولون له تنبأ ، وكان الخدام يلطمونه " (٢)

ويذكر متى أن المسيح عليه السلام حينما سأل رئيس الكهنة بقوله : هل أنت المسيح ابن الله ؟ أجابه بقوله ، أنت قلت . ولم يزد متى على هذا ، بينما يذكر مرقس أن المسيح قال له ، أنا هو وأما لوقا فقد أورد ما على هذا النحو .

" ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبه وأصمدوه الى مجمعهم قائلين ، ان كنت أنت المسيح فقل لنا فقال لهم ان قلت لكم لاتصدقون

(١) سورة النساء ١٥٢ - ١٥٨

(٢) مرقس ١٤ : ٥٣ - ٦٥

وان سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى ، منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله . فقال الجميع أفأنت ابن الله ؟ فقال لهم ، أنتم تقولون انى أنا هـسو ، فقالوا ما حاجتنا بعد الى شهادة لأننا سمعنا من فمه " (١)

وكما يظهر من المقارنة بين رواية متى ورواية لوقا فان اجابة المسيح لم تكن بالنفى ولا بالاثبات ، بل قال ان ذلك ما تقولون أنتم فقط ، وليس بين الروايتين اختلاف الا فيمن سأل المسيح ذلك السؤال لان متى ذكر ان رئيس الكهنة هـسو السائل ولوقا روى ان الجميع من الحاضرين سأله ذلك السؤال .

أما يوحنا فيقول فى روايته :

" فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه . أجابه يسوع ، أنا كلمت العالم علانية ، أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل ، حيث يجتمع اليهود دائما وفى الخفاء لم أتكلم بشئ . لماذا تسألنى أنا ؟ أسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ؟ هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا " (٢)

وفى رواية يوحنا أن المسيح لم يجب بتلك الاجابة التى رواها كل من متى ولوقا وكذلك لم يجب بتلك التى رواها مرقس ، بل أحال سائله على تلاميذه ومن استمع الى تعاليمه ليخبر الحق منهم .

وبعد أن ناقشوا المسيح تلك المناقشات تشارروا فيما بينهم ليسلموه الى الوالى الرومانى (بيلاطس) وعلى هذا تتفق الأناجيل الأربعة .

يقول متى : " ولما كان الصباح ، تشاررو جميع الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطى الوالى " (٣) ويقول مرقس " وللوقت فى الصباح تشاررو رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه الى بيلاطس " (٤) .

وينفرد متى فى روايته يذكر ندم يهوذا على تسليم المسيح اذ يقول : " حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ، قدم ورده الثلاثين من القصة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا قد أخطأت اذ سلمت دما بريئا ، فقالوا ماذا علينا

(١) لوقا ٢٢ : ٦٦-٧١ (٢) يوحنا ١٨ : ١٩-٢١

(٣) متى ٢٧ : ١-٢ (٤) مرقس ١٥ : ١

أنت أبصر فطرح القضة في الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه ، فأخذ رؤساء الكهنة القضة وقالوا لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها تمن دم - فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري ، مقبرة للفقراء لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم الى هذا اليوم " (١)

هذه رواية متى وليس في بقية الأناجيل ذكر لندم يهوذا واعادته لهما أخذه من القضة وخنقه لنفسه بعد ذلك .

ثم ان الأناجيل تتفق في رواياتها عن المحاكمة التي جرت للمسيح أمام الوالي بيلاطس حيث سأله الوالي قائلا :
" أنت ملك اليهود ؟ " (٢)

غير أن اجابات المسيح أمام الوالي لم تتفق الأناجيل في روايتها فانجيل متى يقول : " فوقف يسوع أمام الوالي فسأله الوالي قائلا : أنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع : أنت تقول . وبينما رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشئ فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك ؟ فلم يجبه ولا من كلمته واحدة حتى تعجب الوالي جدا " (٣)

أما انجيل مرقس فيقول :

" فسأله بيلاطس أنت ملك ؟ فأجاب وقال له ، أنت تقول وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرا ، فسأله بيلاطس أيضا قائلا ما تجيب بشئ . أنظر كم يشهدون عليك ؟ فلم يجب يسوع أيضا بشئ حتى تعجب بيلاطس " (٤)

ويقول لوقا :

" فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس . وابتدأوا يشتكون عليه قائلاين : هذا يفسد الأمة ويضع أن تعطى جزية لقيصر قائلا : انه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطس قائلا : أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : أنت تقول ، فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجمع ، اني لا أجده علة في هذا الانسان ، فكانوا يشددون قائلاين ، انه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئا من الجليل الى هنا (٥)

(١) متى ٢٧: ٨-٣ (٢) متى ٢٧: ١١ ، مرقس ١٥: ٢٠ ، لوقا ٢٣: ٠٣ ، يوحنا ١٨: ٣٣ (٣) متى ٢٧: ١١-١٤ (٤) مرقس ١٥: ٢-٥ (٥) لوقا ٢٣: ١-٥

ويقول يوحنا في نص طويل وسحابة أطول بين المسيح وبين بيلاطس:
 " ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية ، وكان صبح ولم يدخلوهم الى
 دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح . فخرج بيلاطس اليهم
 وقال أية شكاية تقدمون على هذا الانسان ؟ أجابوا وقالوا له : لو لم يكن فاعمل
 شر لما كنا قد سلمناه اليك ، فقال لهم بيلاطس ، خذوه أنتم واحكموا عليه
 حسب ناموسكم . فقال له اليهود : لا يجوز لنا أن نقلل أحدا . . . ثم
 دخل بيلاطس أيضا الى دار الولاية ، ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود ؟
 أجابه يسوع : من ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى ؟ أجابه بيلاطس ،
 الملئ أنا يهودى ؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك الى ، ماذا فعلت ؟ أجاب
 يسوع ، ملكتى ليست من هذا العالم ، لو كانت ملكتى من هذا العالم ، لكان
 خدامى يجاهدون لكى لا أسلم الى اليهود ، ولكن الآن ليست ملكتى من هنا
 فقال له بيلاطس ، أفأنت اذا ملك ؟ أجاب يسوع ، أنت تقول انى ملك لهذا
 قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت الى العالم لأشهد للحق ، كل من هو من الحق
 يسمع صوتى . قال له بيلاطس ما هو الحق ؟ ولما قال هذا خرج أيضا الى
 اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة " (١)

ونجد في رواية يوحنا اجابات المسيح الكثيرة على سؤال بيلاطس بأسباب
 وتفصيل ، بينما نجد في الاناجيل الأخرى ان المسيح لم يجب بشئ ، على
 سؤال الوالى ولم يزد جوابه على أن قال : أنت تقول .

ومع أن القضية التى تتحدث عنها هذه الاناجيل قضية واحدة فان اختلافها
 في الحديث عنها بالنفى والاثبات ، يزعزع الثقة في صحة رواية الاناجيل ، لان
 عدم جواب المسيح عن سؤال بيلاطس في بعضها واجابته في البعض الآخر
 يعتبر تناقضا في الحديث عن أمر واحد . فالمسيح إما أن يكون قد أجاب كما
 روى ذلك يوحنا ، وإما أن يكون لم يجب بشئ كما ذكر ذلك متى ومرقس . أما
 أن تجمع بين الاجابة وبين عدم الاجابة بشئ ، فهو عين التناقض الباطل .

ثم في رواية يوحنا مخالفة أخرى لبقيّة الاناجيل وذلك اذ يقول ان المسيح
 عليه السلام حينما قال له الوالى أنت ملك اليهود قال له : " أمن ذاتك تقول

هذا أم آخرون قالوا لك عنى ؟ " بينما لم يرد في بقية الأناجيل جواب المسيح الا بقوله " أنت تقول " والفرق بين الاجابتين واضح لأن قوله " أنت تقول " اخبار للوالى بأنه يدعى عليه هذا القول . وأما قوله " أمن ذاتك تقول هذا " الخ فمعناه انشاء يستفسر فيه المسيح من الوالى عن صدر منه هذا الادعاء أمن ذات الوالى أم من أشخاص آخرين ؟ والروايتان اذا تتدافعتان مثل سابقتهما ولما وجد اليهود أن الوالى بيلاطس لا يريد قتل المسيح وأنه قال " لا أجد علة في هذا الانسان " صرخوا قائلين : اصلبه اصلبه . ولما اشتد شغبهم وصراخهم وافق بيلاطس على صليبه .

وهنا يذكر متى أن الوالى الرومانى غسل يديه قدام الجميع وقال انى برى مسن دم هذا البار ، ولم تذكر بقية الأناجيل غسل الوالى ليديه للدلالة على براءته من دم المسيح .

ومعد أن أسلمه الوالى ليصلب أخذه الجند وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فمسوه وألبسوه لباساً أرجوانياً ، وضفروا اكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه ووضعوه في يده اليمنى قصبة ، وأخذوا يسجدون أمامه ويسخرون منه قائلين له السلام يا ملك اليهود ، وكانوا يصفقون عليه ويضربونه على رأسه ، ثم نزعوا عنه اللباس وألبسوه ثيابه ثم أخذوه ليصلب .

يقول مرقس : " فضى به المسكر الى داخل الدار التى هى دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة وألبسوه أرجواناً وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه عليه وابتدأوا يسلمون عليه قائلين السلام يا ملك اليهود ، وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويصفقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم . ومعد ما استهزأوا به ، نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه " (١)

ثم تذكر الأناجيل الثلاثة ما عدا انجيل (يوحنا) أن الجنود سخروا رجلاً قيروانيا اسمه سمعان لحمل الصليب الذى يريدون صلب المسيح عليه فحمله خلف المسيح ، يقول متى :

" وفيما هم خارجون ، وجدوا انساناً قيروانيا اسمه سمعان فمسخوه ليحمل صليبه " (٢) وهكذا يقول مرقس ولوقا . أما يوحنا ، فينفرد كمادته بقوله :

" فأخذوا يسوع ومضوا به فخن وهو حامل صليبه الى الموضع الذى يقال له موضع الججمة وقال له بالمبرانية جلجثة حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا يسوع فى الوسط " (١)

وكما يتضح من رواية يوحنا فان المسيح هو الذى حمل الصليب لا غيره ولكن الأنجيل الثلاثة خالفته واتفقت على أن حامل الصليب هو سيمان القيروانى لا المسيح ثم تتفق الأنجيل الثلاثة ماعدا لوقا على أن المسيح صلب ومعه لصان : أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وأنهما كانا يهيرانه مع سائر الناس قائلين له : خلص نفسك ، ان كنت ابن الله فانزل عن الصليب وانفرد لوقا بذكره أن أحد هؤلاء فقط هو الذى جدد عليه قائلا ان كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا وأما الآخر فقد انتهره عن ذلك قائلا أما تخاف الله ؟ وفى هذا أيضا ندافع فى رواية الأنجيل.

وتذكر الأنجيل الثلاثة عدا انجيل يوحنا أن المسيح عليه السلام حينما صلب انشق حجاب الهيكل الى اثنين ، أما انجيل يوحنا فلم يذكر ذلك . وانفرد متى فى انجيله بذكر زلزال حدث عند صلبه ، وكذلك انشقاق الصخور وانفتاح القبور وخرج كثير من الموتى منها .

وكذلك تتفق الأنجيل الثلاثة ماعدا يوحنا فى ذكر ظلمة حدثت على كسب الأرض عند حادثة الصلب من الساعة السادسة حتى الساعة التاسعة ، حينما توفى وهو على الصليب بعد أن صرخ بصوت عظيم ، ولم يذكر يوحنا شيئا من هذه الظلمة فى انجيله .

وما أن الأنجيل الثلاثة المذكورة قد تقاربت روايتها تكفى بذكر نص واحد منها ثم يذكر نص من انجيل يوحنا فى مقابل ذلك .

يقول متى : " ولما أتوا الى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الججمة أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرّب ، ولما ذاق لم يرد أن يشرب ، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها . . . حينئذ صلب معه لصان ، واحد عن اليمين وواحد عن اليسار ، وكان المجتازون يجدقون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين : يا ناقض الهيكل وابنيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك ، ان كنت ابن الله فانزل عن الصليب ، وكذلك

رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيخ قالوا خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها إن كان هو ملك إسرائيل فليُنزل الآن عن الصليب فنؤمن به — قد اتكل على الله فليُنقذه الآن إن أرادته لأنه قال أنا ابن الله وبذلك أيضا كان اللسان اللذان صلبا معه يعميرانه . ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلي إيلي لما شبقني أي الهى الهى لماذا اتركتني ؟ فوق من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا انه ينادى إيليا ، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ اسفنجة وملاها خلا وجعلها على قصبه وسقاء ، وأما الباقون فقالوا اترك لترى هل يأتى إيليا يخلصه ؟ فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم السرج وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنتين من فوق إلى أسفل " (١)

هذه رواية (متى) لحادثة الصلب وما رافقها من حوادث ، ونحو هذا يروى كل من لوقا ومرقس . وأما يوحنا فقد روى ذلك بقوله :

" فأخذوا يسوع ومضوا به ، فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال لها بالمبرانية جلجلة حيث صلبوه وصلبوا اثنتين أخريين معه من هنا ومن هنا يسوع فى الوسط وكتب بيلاطس عنوانا ووضع على الصليب وكان مكتوبا يسوع الناصرى ملك اليهود فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود لان المكان الذى صلب فيه يسوع كان قريبا من المدينة وكان مكتوبا بالمبرانية واللاتينية واليونانية فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس : لا تكتب ملك اليهود بل ان ذاك قال أنا ملك اليهود . أجاب بيلاطس : ما كتبت قد كتبت ، ثم ان المسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكرى قسما وأخذوا القميص أيضا . . . وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوا ومريم المجدلية . فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفا قال لأمه : يا امرأة هذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا أمك ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان وكان اتا موضعا ملوا خلا فملاوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زلفا وقدموها إلى فمه فلما أخذ يسوع الخل ، قال قد اكمل ونكس رأسه وأسلم الروح " (٢)

(١) متى ٢٧ : ٣٣-٥١

(٢) يوحنا ١٩ : ١٦-٣٠

هذه خلاصة ما أتى به كتبة الانجيل في حديثهم عن صلب المسيح
والحوادث التي اقترنت بذلك ، وهي تتفق وتتشابه أحيانا ، وتختلف وتتناقض
أحيانا وقد رأينا ذلك واضحا في تلك النصوص التي سبق عرضها ومقارنة بعضها
ببعض ، ولو لا خوف الإطالة لنقلنا كثيرا من ذلك التناقض ولكننا اكتفينا
بما مضى لصعوبة الاستقصاء لتلك الروايات المتداخلة لأن ما لا يدرك كله لا يترك
جمله ، وخير الكلام ما أفسد المرء .

الصلب والادلة الانجيلية المناهضة له

تحدثت الاناجيل الاربعة عن صلب المسيح واجمعت عليه ، واختلفت رواياتها في كثير مما اقترن بحادثة الصلب من أحداث بشكل يدعو الى القول بعدم صحة صلب المسيح ،

وليس من شك في أن الروايات الانجيلية وان كانت متضاربة في أغلب مواضعها فان في بعضها معالم الصدق والواقعية . ومن ذلك البعض تلك الروايات الدالة على أن المسيح رسول من قبل الله عز وجل ، وأنه خاضع لمشيئته ، وأن الله تعالى أعظم منه ، وأنه الهه وملجؤه ، وقد دلت بجانب ذلك على أن المسيح لم يصلب .

ومن تلك النصوص الدالة على عدم صلبه :

ما جاء في روايات الاناجيل المختلفة من أن المسيح حينما قبض عليه لم يجب على أسئلة رئيس الكهنة ولا على أسئلة الوالى الرومانى . وكانت الأمثلة تشتمل على تفسير من الادعاءات اليهودية ضد المسيح ، وهى ادعاءات كاذبة ينبغى على قادة الحق أن يفندوها باظهار كذبها وهو أمر لم يفعله المسيح حسب روايات الاناجيل ولا يليق ذلك بمقام النبوة فضلا عن أن يليق بمقام الألوهية كما يمتدح النصارى ذلك .

فالمسيح حسب روايات الاناجيل لم يكن موقفه موقف البطل الشجاع الذى يقاوم الظلم وينذل نفسه رخيصة في سبيل مناصرة الحق الذى جاء به ، بل كان حزينا مكتئبا حينما علم بأن اليهود سيقبضون عليه . وقد ظهر ذلك جليا في صلاته المتكررة وتضرعه الى الله عز وجل لينجيه من الموت ، وفي قوله لتلاميذه ، نفسى حزينة جدا حتى الموت .

فكيف يوصف المسيح بالحزن الشديد وعدم رضاه عن الصلب وبطلبه النجاة من الله مع أنه انما جاء ليكفر عن خطيئة البشر ؟ أمن المعقول أن يتطرق الحزن والخوف الى نفسه وهو الذى بيده مقاليد السموات والأرض كما يقول النصارى ؟ !

وكذلك ما جاء في الاناجيل من صراخه المدوى وهو على الصليب قائلا ، - الهى الهى لماذا تركتني - لا يتناسب ما يدعيه المسيحيون من ألوهيته ، فضلا

عن ذلك فانه لا يليق بمقام النبوة .

ومخاطبته لربه قائلا الهى الهى ، تدل على عبوديته لله عز وجل ، وتدحض حجة النصارى القائلين بالكوهيته .

وما نسب اليه من قوله لربه : لماذا تركتني ، يدل على أنه غير راض بقضاء الله وقدره . وهذا يتعارض مع مقام النبوة إذ لا يمكن لنبي أن يتاجى مولاه بقوله لماذا تركتني . ثم انه يدل على أن المسيح لم يأت ليكفر عن الخطيئة . ولوجاء لذلك لما كره أن يطلب ، ولما نادى ربه بقوله : لماذا تركتني .

ثم انه ما يدل على أن اليهود والرومان لم يتمكنوا من القبض على المسيح لما جاء في انجيل يوحنا من أن الجنود الرومانيين واليهود الذين جاءوا للقبض على المسيح رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض حينما قال لهم المسيح : من تظنون ؟ فقالوا له يسوع الناصرى ، وقال لهم انا هو .

ورجعهم الى الوراء وسقطهم على الأرض لم يكن عبثا وانما كان لامر دهاهم ، فلم يستطيعوا الثبات لاجله فتقهقروا وسقطوا . ولعل المسيح عليه السلام رفع في ذلك الوقت ، ويقوى هذا الاحتمال كون تلاميذ المسيح هربوا من عنده ولم يبق لديه أحد منهم . وهذا كله يدل على أن المسيح لم يقبض عليه فضلا عن أن يصلب .

وفي القرون المسيحية الأولى ، أنكر فريق من فرقة الدوسيت المسيحية كسبون المسيح قد صلب ، ورأى أن شخصا آخر صلب مكانه . وأنه رفع حيا الى السماء . وقد ذكر هذا الاب فرنسيس قريه بقوله :

" أما تفسير الدوسيت فكان يضرب في الخيال : فقد زعم البعض منهم أن سمعان القيرواني هو الذى صلب عوضا عن المسيح الذى رفع الى السماء " (١)

ومع أن رأى هذه الفرق في الايمان بعدم صلب المسيح يتفق مع العقيدة الإسلامية ، فان تعيين شخص ما صلب عوضا عن المسيح غير وارد في النصوص الإسلامية . والقرآن الكريم قد ذكر بمبارات صريحة أن اليهود لم يقتلوا المسيح ولم يصلبوه . ولكنهم يدعون ذلك كذبا واقتراء . وسيأتى ذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

ولعل الإيمان بصلب المسيح لدى المسيحيين لم يجمع عليه إلا بعد انقراض
من يعارضه من الفرق المسيحية المنتشرة في ذلك العصر . وما جاء في كلام
الأب قريه عن جماعة الدأوسيت خير دليل على أن هذه القضية ، لم تكن
في ذلك الوقت قضية ثابتة واجبة التسليم .

ويؤيد ذلك صاحب تفسير المنار أن يقول : " فقد أنكر الصليب منهم فرقة
السيريتيين والتاتيانوسيين ، أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد . وقال
يوستينوس : أنه قرأ كتابا يسمى رحلة الرسل ، فيه أخبار بطرس ، ووحنا واندراوس
وتوما ، وولس ، وما قرأ فيه : " أن المسيح لم يصلب . ولكن صلب غيره
وقد ضحك بذلك من صالبيه " (١)

ويقول صاحب الرسالة إلى المبرانيين متحدثا عن المسيح : -
" الذي في أيام جسده اذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر
أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه " (٢) .
وهذا الكلام صريح في أن الله تعالى نجى المسيح من الموت بعد طلبه
وتضرعه له وسمع له دعاءه من أجل تقواه .

وكما نود أن نرى آراء الفرق المعارضة لصلب المسيح مجتمعة لتوازن بينها
وبين ما يراه من ذهب من المسيحيين إلى أن صلب المسيح قضية مسلم بها . ولكن
التعصب لرأي المعتقدين لصحة عقيدة الصلب ، هو الذي قضى على تلك الآراء وما يستند
من حجج وبراہين . والاضافة إلى شبه المسيح الذي ألقى على الصليب ، فإن مما
جمل المسيحيين مسلمون بصلب المسيح ولا يستسيغون سوى ذلك من العقيدة .
كونهم فقدوا زعيما كبيرا رأوا أعماله المظيمة وأقواله الحكيمة بطريقة غامضة لا تليق
إلا بخير المظما من الناس .

ثم إن اليهود والجند الذين جاءوا للقبض عليه ، قد سقطوا على الأرض حينما
شاهدوا المسيح وسمعوا قوله لهم من تطلبون ؟ أنا هو . ولم يجسدا
أمامهم غير يهوذا الذي أتى بهم والذي تقدم على ذلك ورد القضية التي أخذها

ثنا لذلك كما تقول رواية متى في انجيله ، وكيف هذا التراجع من يهوذا أن يشير غضب اليهود عليه وخاصة بعدما دهشوا وسقطوا على الأرض مذ هولين ولم يجدوا المسيح أمامهم ، فانتقدوا من يهوذا وشفوا غليلهم بصلبه وهو راض بذلك لندمه على ما أقدم عليه . ثم أشاع اليهود أن المسيح قد صلب وأنهم قد قتلوه فاجتمع في هذا قدم يهوذا غضب اليهود ، والقاء شبه المسيح عليه ، وقولهم :
 انما قتلنا المسيح عيسى ابن مريم . (١)

فأخذ المسيحيون كلام اليهود على علته ، وفسروا صلبه بأنه انما حصل لتطهير البشر عن خطيئة آدم . ولم يكونوا فيما سمعوه من اليهود من صلبه وقتله على بينة بل هم في شك منه ، (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) . ولم تكن قضية الصلب خالية من المماضة في تلك العصور ، ولذلك ركز مناصرو عقيدة الصلب جل أفكارهم على دعوة المسيحيين الى الايمان بالصلب ايماناً لا يقبل الجدل واعتبروه عقيدة يكفر من ينكرها . ولغرابية هذه القضية ومعدّها عن المنطق ، تعرضت لكثير من النقاش والجدل ولا تزال كذلك حتى يومنا هذا . ولذلك يقول موسى سمان :

ليست هناك قضية ناقشها التاريخ وححتها الأجيال مثل قضية صلب المسيح

(١) اننا نشك في صحة ما رواء كتاب الاناجيل من أن تلاميذ المسيح وأتباعه كانوا حاضرين محاكمة وصلب المسيح . وذلك لخوفهم من الاعداء . وبدل على ذلك خوف بطرس من الاعتراف بأنه من تلاميذه ، وذلك حينما تبعه من بعيد الى دار رئيس الكهنة بعد القبض عليه وأرجح كون تلاميذ المسيح لم يكونوا حاضرين عند الصلب . يقول ابن حزم : " وقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " وانما هو اخبار عن الذين يقولون تقليداً لأسلانهم مسن النصارى واليهود أنه عليه السلام قتل وصلب ، فهؤلاء شبه لهم القول أي - أدخلوا في شبهة منكران المشبهون لهم شيخ السوء في ذلك الوقت وشرطهم المدعون أنهم قتلوه وصلبوه وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك وانما أخذوا من أمكسهم فقتلوه وصلبوه في استتار ومنع من حضور الناس ثم أنزلوه ودفنوه تمويهاً على العامة التي شبه الخير لها " . الفصل ص ٦٠ ج ١ مؤسسة الخانجي بمصر .

فهي القضية المطروحة على الجنس البشري ما يقرب من ألف عام وقال فيها كثيرون منذ ذلك العهد ما قالوا " (١)

وعرض سيمان ذكر هذا النص في مقدمة كتابه الذي سماه " قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة " . وهذا الكتاب كما يتضح من عنوانه — وضع للترك على من ينكر صلب المسيح ولم يذكر من هم أولئك الذين ينكرون الصلب ، أهم مسيحيون أم غيرهم ؟ وأغلب الظن أن أولئك المعارضين من غير المسيحيين لورود بمسئ ما يشير إلى ذلك من كلام عرض سيمان نفسه وذلك حيث يقول :

" لكن ثمة أشخاصا يعتقدون أن هناك آيات في الكتاب المقدس تنكسر صلب المسيح ، كما أن هناك أدلة تثبت أن تلاميذه هم الذين ألغوا أو لقصوا حادثة صلبه " (٢) .

وانتهام تلاميذ المسيح بالتأليف والتلفيق لحادثة الصلب ، أمر لا يجروء عليه المسيحيون لأنهم يعتقدون أنهم رسل المسيح يكتبون ما يكتبونه بالوحى الإلهي اليهم .

وما من شك في أن النصوص الواردة في الأناجيل وغيرها من رسائل التلاميذ لا تتفق في الحديث عن قصة الصلب وقد أسلفنا نماذج من ذلك — وإذا أعدنا إلى قصة وفاة يهوذا الاسخريوطى نجد متى يقول انه خنق نفسه بحد ما نعدم على تواطئه مع اليهود . أما لوقا فقد قال في أعمال الرسل : " سقط على وجهه . . انشق من الوسط فانسكبت أحشائه كلها وصار ذلك معلوما عند جميع سكان اورشليم " (٣)

ويذكر متى أن اليهود اشتروا بالفضة التي أعادها يهوذا ، حقل الفخاري ليكون مقبرة للفرس . (٤)

وأما لوقا فيقول " فان هذا اقتنى حقلًا من أجره الظلم " (٥)

(١) قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة ص ٣ صدر عن دار التأليف والنشر — للكنيسة الاسقفية بالقاهرة . ١٩٧٣ م .

(٢) نفس المرجع والصفحة (٣) أعمال الرسل ١ : ١٨ — ١٩ .

(٤) متى ٢٧ : ٧ (٥) أعمال الرسل ١ : ١٨

ولا يمكن أن يجمع بين الروایتين لانهما في اختلاف وتعارض بين .
 وأما ما جمع به عوض سمعان من أن اسناد هذا الصل إلى اليهود اسناد -
 مجازي قائل ، " وأن كان رؤساء الكهنة هم الذين اشتروا الحقل لكهننة
 بشرائهم اياه بالبلغ الذي أعاده يهوذا اليهم يعتبر يهوذا هو المشتري لهذا
 الحقل ومن ثم يكون هو الذي اقتناه " (١) فأمر فيه تكلف وتعسف . لأن -
 رؤساء الكهنة لم يشتروا ليهوذا بمشورته للاقتناء ولكنهم اشتروه بالتشسسار
 فيما بينهم ليكون مقبرة للخرسا ولو كان رؤساء الكهنة اشتروا الحقل ليقتنهم -
 يهوذا وكان يهوذا موافقا على ذلك لاستقام الكلام ، ولكنهم اشتروه لغرض خاص
 رأوه ، ولا مشورة من يهوذا وعلى رواية متى ليس ليهوذا أية صلة بشراء الحقل
 وعلى رواية لوقا ، ليست لليهود أية صلة بشراء الحقل كما ليس في روايته ذكر
 لاعادة القضية إلى اليهود .

وأخيرا اذا كان المسيح قد أخبر تلاميذه بأنه سيصلب ، وأن ذلك لا يكون
 الا لخير البشرية ، فلماذا انزعج تلاميذه وهربوا عنه حينما قبس عليه ؟ ولماذا لم
 يستقبلوا الجند واليهود الذين جاءوا للقبس عليه بالقبول والترحيب بدلا من
 الهرب طالما أن اليهود جاءوا لينفذوا مقتضى الرحمة الالهية في خلاص البشرية
 بصلب المسيح ؟ ولماذا يتخذ المسيحيون اليهود أعداء لليهو للمسيح أيضا ،
 من أجل صلبهم للمسيح ، مادام قتله لم يكن الا لخير الانسانية ؟
 ثم لماذا طلب اليهود من يهوذا أن يدلهم على المسيح وأعطوه ثوبا على ذلك
 وهم يعرفون المسيح كما يعرفون أبناءهم ؟ وليس أدل على وضع قصة الصلب من
 هذه الامور .

(١) قضية الصلب بين الدفاع والمعارض ص ١٤٢ .

قيامه المسيح كما ذكرتها الأناجيل

يرى المسيحيون أن المسيح عليه السلام صلب ودفن وبعد ثلاثة أيام من وفاته قام من القبر ، فوجد القبر الذي وضع فيه فارغا والحجر الذي عليه قد أزيل وأن كثيرين من تلاميذه شاهدوه بعد ذلك حيث اجتمع بهم .

وقد ذكرت الأناجيل الأربعة قيامه المسيح من القبر واجتماعه بتلاميذه وما جرى بينه وبينهم من حديث ، ويؤمن المسيحيون بهذا في الوقت الحاضر إيمانا لا يبلل النقاش ولا الجدال . ويرون الإيمان بذلك أحد أركان العقيدة المسيحية .

وما جاء عن المسيحيين في ذلك ما قاله الأب بولس إلياس اليسوعي : " مات المسيح على الصليب ميتة المجرمين ، لكنه قام ولما تلقى على موته ثلاثة أيام أسلم الروح يوم الجمعة في الساعة الثالثة بعد الظهر وأنزل يوسف الرامي جسده عن الصليب بعد مضي ساعات قضائها في الاستفادان بدفنه من بيلاطس البنطي مندوب روما في فلسطين ، ثم وضعه في قبر جديد على مشهد من بعض الأصدقاء ، يوحنا ونيقوديموس وبعض من النساء اللواتي تطوعن لخدمته يوم كان يطوف في نواحي فلسطين للتبشير ، وبعد دفنه تقدم الفريسيون ورؤساء الكهنة من بيلاطس بطلب التمسوا فيه تشديد الرقابة في حراسة القبر خوفاً — على زعمهم — من أن يقوم التلاميذ على سرقة الجثة ، ويروحو يوهسون الناس بأنه قد قام من بين الأموات فأجيئوا إلى ملتصمهم وكان لهم ما أرادوا " (١)

أما الأناجيل فقد روت حادثة القيامة بأشكال مختلفة يمكن للقارئ أن يرى من خلالها ملامح الوضع .

يقول متى : " وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر ، وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه ، وكان منظره كالبرق ، ولباسه أبيض كالثلج ، فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات ، فأجاب الملاك وقال للمراتين ، لا تخافا أنتما فاني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ، ليس

هو ههنا ، لانه قام كما قال هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضجعا فيه ،
واذهبا سريعا ، قولا لتلاميذه ، انه قد قام من الأموات ، هو يسوع المسيح
الجليل هناك ترونه ، ها أنا قد قلت لكما ، فخرجتا سريعا من القبر بخشوف
وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه ، وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه ، اذا
يسوع لاقاهما وقال سلام لكما ، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له ، فقال لهما
يسوع ، لا تخافا ، اذهبا قولا لاختى أن يذهبا الى الجليل ، وهناك يروننى " (١)

ثم ذكر متى أن التلاميذ بعدما أخبروا بقيامة المسيح ، انطلقوا الى الجليل
وهناك رأوه وسجدوا له الا أن بعضهم قد شك ، ولكن المسيح طمأن الجسوس
بأن قال لهم " ذفع الى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلاميذوا
جميع الأمم وهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع
ما أوصيتكم به ، ها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر " (٢)

أما مرقس ، فيبعد أن روى أن النسوة رأين شابا يلبس حلة بيضاء - وهى
ماسما ، متى ملاكا - ذكر أن النسوة لم يخبرن أحدا بما رأينه وذلك ان يقول :
" وهربن من القبر لان الرعدة والحيرة أخذتا هن ولم يقفن لأحد شيئا " (٣)
أما لوقا فقد روى ذلك على النحو التالى :

" ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين الى القبر حاملات الحنوط السندى
أعددته ومعهن أناس فوجدنا الحجر مخرجنا عن القبر قد دخلن ولم يجدن جسد
الرب يسوع ، وفيما هن محتارات فى ذلك لماذا رجلان وقفا بهن بشباب هراقصة
واذ كن خائفات ومنكسات وجوههن الى الأرض قال لهن ، لماذا تظلين الحسى
بين الأموات ؟ ليس هو ههنا لكه قام " (٤)

ثم ذكر لوقا أن الرجلين ذكرا النسوة بما قال المسيح قبل الصلب من أنسسه
سيقوم فتذكرن ورجعن من القبر وأخبرن تلاميذ المسيح الأحسد عشر بما رأينسسه
وشهدنسه .

(٢) متى ٢٨ : ١٨ - ٢٠

(٤) لوقا ٢٤ : ١ - ٦

(١) متى ٢٨ : ١ - ١٠

(٣) مرقس ١٦ : ٨

ثم يقول لوقا : " فترأى كلامهن لهن كالهذيان ولم يصدقوهن ، فقام بطرس وركب الى القبر فالتحنى ونظر الاكفان موضوعة وحدها فحسى ~~محببها~~ في نفسه مما كان " (١)

وأما يوحنا فيقول في انجيله :

" وفي أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر ، فركضت ، وجاءت الى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما : لأخذا السيد من القبر ، ولستكما تعلم أين وضعوه ، فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا الى القبر وكان الاثنان يركضان معاً ، فسبق التلميذ الآخر بطرس ، وجاء أولاً الى القبر ، وانحنى ونظر الاكفان موضوعة ، ولكنه لم يدخل ، ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الاكفان موضوعة والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الاكفان بل ملفوفاً في موضع وحده . فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً الى القبر ورأى فآمن ، لانهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب انه ينبغي أن يقوم من الموت فحسى التلميذان أيضاً الى موضعهما " (٢)

ثم ذكر يوحنا أن مريم كانت واقفة عند القبر وهي تهكي ، وانحنى نحو القبر وهي باكية ، فنظرت ملاكين جالسين وهما لابسان ثياباً بيضا ، وكان أحدهما جالسا عند الرأس والآخر عند الرجلين ، فسألاها لماذا تهكي ؟ فأجابتهما بأنهم أخذوا السيد ولا تعلم أين وضعوه ؟ ثم التفتت الى الهواء فرأت المسيح واقفاً عندها غير أنها لم تعلم أنه هو ، فسألتها المسيح لماذا تهكي ؟ ومن تطلبين ؟ فحسبته شخصاً آخر وسألتها ما اذا نقله هو من القبر أين وضعه ؟ حينئذ خاطبها المسيح باسمها قائلاً : يا مريم ؟ فعرفته ونادته بأن يا معلم ؟ فنهاها عن أن تلمسه قائلاً : لا تلمسيني لأنى لم أصعد بعد الى أبى ولكن اذهبنى الى اخوتى وقولى لهن ، انى أصعد الى أبى وأبيكم والهن والهكم فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا " (٣)

(١) لوقا ٢٤: ١١-١٢

(٢) يوحنا ٢٠: ١-١٠

(٣) يوحنا ٢٠: ١٧-١٨

هذه هي روايات الأناجيل المختلفة لقصة قيامة المسيح عليه السلام وأول ما يلاحظ المرء من الاختلاف بين رواياتها ، هو عدد النسوة اللاتي أتبن إلى القبر وهن يردن رؤية جسد المسيح وذلك اذ يذكر متى أن مريم المجدلية ومريم الأخرى جاءتا لتتظرا القبر ، وذكر مرقس أن النسوة كن ثلاثة وهن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب ، وسالومة . ويرى لوقا أن عدد النسوة أكثر من ذلك اذ يذكر مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب ، ومارثا ، ونساء أخريات لم يذكرهن إلا بمعبارة (والباقيات معهن اللواتي قلن هذا للرسول) وذكر أن أناسا كانوا معهن وأما يوحنا فلم يذكر غير مريم المجدلية .

وأما الاختلاف الثاني بين الأناجيل ، فيبدو في تفرد متى بذكر الزلزلة عظيمة حدثت عند وصول المرأتين إلى القبر ، وذكر نزول ملك من السماء لدحرجة الحجر عن القبر وذكر خوف شديد وقع على الحراس حتى صاروا كالأموات ، كما أنفرد بذكره أن الملاك دعا المرأتين لينظرا الموضع الذي كان المسيح مضجعا فيه قبل أن يقوم .

أما بقية الأناجيل فقد خلت من هذه الأمور الأربعة .

وذكر مرقس أن النسوة رأين شابا بشياب بيض ، ولم يقل أنه ملك نزل من السماء وأن النسوة شاهدن نزوله .

وذكر لوقا أن النسوة شاهدن رجلين بشياب براقاة وأنهما قالتا لهن ، لسا اذا تطلبين الحي بين الأموات ، وذلك بعد أن دخلن القبر ووجدن جسد يسوع .

أما يوحنا ، فقد ذكر أن المرأة رأت داخل القبر ملاكين جالسين في الموضع الذي كان فيه جسد المسيح أحدهما جالس عند الرجلين والآخر عند الرأس .

وهذه الاختلافات في روايات الأناجيل تظهر مدى اضطرابها في حديثه يعتبر لدى المسيحيين من أهم القضايا وأخطرها في الدين ، مما يجعل ملامح الوضع واضحة في صفحات الأناجيل .

وذكر متى أن المرأتين عادتا من عند القبر فأخبرتا تلاميذ المسيح بقيامته وذهابه إلى الجليل ، وطلبنا منهم اللحاق به هناك حسب طلب الملاك ، وأن -

التلاميذ انطلقوا نحو الجليل بعد سماعهم من المرأتين قيامة المسيح .
أما مرقس فيذكر أن النسوة لم يقلن لأحد شيئا لخوفهن الشديد لما رأينسه
غير أنه ذكر أن المسيح ظهر لمريم المجدلية في ذلك اليوم ، ولما ذهبت أخبرت
الذين كانوا مع المسيح برؤيتها له ، ولكنهم لم يصدقوا بما قالت لهم .

وأما لوقا فذكر أن النسوة حينما أخبرن تلاميذ المسيح بقيامته اعتبروا كلامهن
كالهذيان ولم يصدقوهن حتى ذهب بطرس وتأكد بنفسه من صحة كلامهن ولما شاهد
صدقهن تمجّب في نفسه ما حدث .

وأما يوحنا ، فيروى أن مريم المجدلية حينما شاهدت خلوا القبر عن جسد
يسوع ركضت فأخبرت سمعان بطرس وتلميذا آخر وصفه يوحنا بأنه الذي يحبه
المسيح ويبدو أنه يريد به نفسه أخبرتهما بأن المسيح قد قام من القبر فذهب
التلميذان وأكفهن نحو القبر فسبق أحدهما الآخر ثم تأكدا من صحة التلاميذ
ولما شاهدا صحة الكلام صدقا وآمنا ، وكانا من قبل لا يدريان أن المسيح
سيقوم من القبر .

والفقرة الأخيرة من كلام يوحنا تدل على أن قصة قيامة المسيح من الأموات
موضوعة فيما بعد أي بعد غياب المسيح ، لأنه يستبعد أن يكون التلميذان غير
عالمين بأن المسيح سيقوم ، وخاصة فإن أحدهما تلميذ يحبه المسيح فكيف يخفى
عليهما هذا الأمر الذي يعتبر من أسس المقييدة المسيحية ؟

وبعد فهذا قليل من كثير مما نتج به الأناجيل الأربعة من اختلاف في قصة
قيامة المسيح . ومع أنها تحدثت كثيرا عن ظهور المسيح للكثير من تلاميذه ، منفردين
ومجتمعين في مرات عديدة ، فأنها تختلف كالمعتاد في الحديث عن ذلك
ما يؤكد عدم صحة قصة قيامة المسيح وما لفق من أجل ذلك من الاحاديث
وهذه التناقضات . قليل من كثير يوجد في الأناجيل الأربعة ومن الصعب
مناقشة ما ورد فيها كله .

الفصل الرابع

=====

بولس وأثره في النصرانية

- * — تمهيد
 - * — أصل بولس ونشأته
 - * — بولس في حربه للمسيحية
 - * — اعتناق بولس المسيحية
 - * — بولس ودعوته للناس
 - * — بولس يواجه معارضيه
 - * — ارتداد الناس عن دعوة بولس
 - * — مؤلفات بولس
-

بولس وآثاره في المسيحية

تمهيد :

ولد المسيح عليه السلام في فلسطين ببيت لحم في أيام الملك هيرودس (١) ونشأ في ربوعها وأقام في مدينة الناصرة ، وعندما بلغ الثلاثين من عمره ، بدأ الدعوة إلى الله عز وجل منتقلا بين قرى فلسطين ، واستمر ثلاث سنين في دعوته وتبشيره للناس . (٢) ثم كان ما كان ، حيث انتهت وجوده على الأرض ولما نص فترة طويلة على دعوته لبني اسرائيل .

وفي تلك الفترة الوجيزة من الزمن ، نسب إليه من الأعمال ما لوزع عيسى أيام تلك السنوات الثلاث ، لصاقت بها ، إلا أن هذا لا يستغرب من آتاء الله الانجيل وأيدء برح القدس .

ومعد غياب المسيح عن الأنظار ، لم يبق لدى تلاميذه وأتباعه غير ما انتقش في أذهانهم من ذكرياته وشأئله المطيرة التي يستحضرونها وتأسون به من خلال ذلك .

وبع أننا مفسر المسلمين نؤمن بأن الله أنزل على المسيح عيسى ابن مريم كتابا هو الانجيل . فان بعض المسيحيين ينكرون وجود كتاب أنزل (٣) عيسى المسيح ويفسرون معنى كلمة الانجيل الواردة في كلام المسيح بالبشارة ، ولعل الذي حملهم على الانكار هو الاعتقاد بالوهية المسيح ، ومرتبة الألوهية أعلى من مرتبة الرسالة ولو اعترفوا بنزول الانجيل لكان ذلك اعترافا برسوليته ، وحطاً له من مرتبة الألوهية ، ولهذا أنكروا وجود كتاب نزل على المسيح ، وقالوا انه لم يترك شيئاً عند وفاته سوى الانجيل الشفوى .

ولقد كان المسيح وأتباعه يعادون من قبل اليهود الذين بعث المسيح من بينهم واليهم عداً أدى إلى اختفائه ، وإلى انعزال التلاميذ وحيرتهم بعد غيابه ،

(١) راجع متى ١: ٢ (٢) راجع مقارنة الأديان لأحمد شلبي ج. المسيحية ص ٥٢ الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣م مطبعة السنة المحمدية (٣) راجع كتاب يسوع المسيح شخصية تعاليمه ص ١٤ وكتاب مصادر الكتاب المقدس للقس صموئيل مشرقى ص ٥٨ - ٥٩ طبع بمطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٧٣م .

ثم كانت هناك معاداة وملاحقات للمسيحيين من قبل اليهود ، والحكام الرومان في كل مكان ، وحصلت لهم اضطهادات ومؤامرات .

وفي ذلك الجو القاتم المليء بالرعب والخاوف ، برز رجل يهودى يدعى شاول " بولس الرسول فيما بعد " وتولى كبر ما حصل لأتباع المسيح من التعذيب والتنكيل .

ونجاة ولأمر ما ، غير شاول موقفه من المسيحيين فاعتنق المسيحية ، وتحول من مثقب للمسيحيين ومؤذ لهم ، إلى مؤمن بالمسيحية ، وداع يشر بهم بين الأمم .

وإذا كانت مؤلفات الشخص وكتبه تعطي صورة واضحة عن حياته واتجاهاته وأفكاره الدينية والسياسية ، فإن مؤلفات بولس ورسائله العديدة التي بعثها في البلدان المختلفة ، خير مترجم لنا عن ذلك ، ومنرى في رسائله الشهيرة الكثيرة ما يجعلنا نحكم بأنه ، إما مسيحي أخلص للمسيحية ، أو يهودى مكر كان للمسيحية في مهدها فهدمها وأقام على أطلالها مسيحية بولسية ليعزلها من دين المسيح غير الاسم .

أصل بولس ونشأته

وفي رسالة أعمال الرسل المنسوبة الى بولس يقول بولس عن نفسه انه روماني ،
وفي نفس الرسالة أيضا يقول انه اسرائيلي من نسل ابراهيم وأنه يهودي وليسند
بطرسوس*

اذ يقول بولس حينما قبض عليه ومد للسياط : " أيجوز لكم أن تجلدوا انسانا
رومانيا غير مقضى عليه فجاء الأمير وقال له : قل لي أنت روماني ؟ فقال
نعم ، فأجاب الأمير : أما أنا فمبلغ كبير اقتنيت هذه الرقوبة ، فقال بولس : أما
أنا فقد ولدت فيها " (١)

وجاء في أعمال الرسل أيضا أن بولس قبض عليه وصممه شخص آخر " فقام الجصع
مما عليهما ومزق الولاة ثيابهما وأمروا أن يضربا بالعضي فوضعا عليهما ضربات كثيرة
وألقيهما في السجن " (٢) وجاء فيه أن بولس حينما جاء الأمير باخراجهما من
السجن قال : " ضربونا جهرا غير مقضى علينا ، ونحن رجلان رومانيان وألقونا
في السجن " (٣)

في هذين النصين ذكر بولس أنه رجل روماني وفي مواضع أخرى يقول بولس عن نفسه
: " لأنسى أنا أيضا اسرائيلي من نسل ابراهيم من سبط بنيامين " (٤) ويقول أيضا :
" أنا رجل يهودي ولدت في طرطوس كيليكية " (٥)
كما يقول : " أيها الرجال الاخوة أنا فريسي على رجاء قيامة الأموات " (٦)

وحينما نقارن بين هذه النصوص نجد بينها تناقضا جليا ، لأنه صرح فريسي
النس الأول والثاني بأنه روماني ، وفي بقية النصوص ذكر أنه اسرائيلي من أهل طرطوس
وفريسي يدين باليهودية ، وهذا التباين يجعلنا في شك من ترجمته التي قدمها
بولس لنفسه*

- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) أعمال الرسل ٢٢ : ٢٥ - ٢٨ | (٢) أعمال الرسل ١٦ : ٢٢ - ٢٣ |
| (٣) أعمال الرسل ١٦ : ٣٧ | (٤) رومية ١١ : ١ |
| (٥) أعمال الرسل ٢٢ : ٣ | (٦) أعمال الرسل ٢٣ : ٦ |

ولقد قيل في شأن هذا التباين أن بولس لم يكن رومانيا ولكنه ذكر أناسه
 روماني ليسلم من الجلد والمقاب ، وهو في الحقيقة لم يكن الا اسراييليا ، ذكر
 هذا الشيخ محمد أبوزهرة (١) رحمه الله ، ولكننا لا نرى هذا الرأي معه ،
 لأن النص الثاني ذكر أنه قال ضربونا جهورا غير مقص علينا ونحن رجلان رومانيان
 ولم يقل ذلك الا بعد الضرب عند ما طلب منه الخروج من السجن ونحن أممهم هذه
 النصوص لا نستطيع أن نجزم بأن بولس كان من بني اسراييل ، أو أنه كان من
 الرومان بسبب تدافع الأدلة التي ذكرناها هنا ، وهي من أجل ذلك ، لا توقفتنا
 على حقيقة هذا الرجل الفاضل الذي يحير الألباب بأفكاره وتصرفاته المتخالفات ،
 ولهم بهيميد أن يكون الرجل في حقيقته وثيا يتظاهر عند كل أصحاب الديانات
 باعتناقه لديانتهم وإخلاصه وتفانيه في الدعوة إليها ، وهو يذكر عن نفسه أنه نشأ
 في اليهودية وترعرع فيها وكان غيورا عليها ، وفي سبيل ذلك اضطهد المسيحيين
 اضطهادا عظيما أدى الى وفاة كثير منهم وسجن آخرين ، ثم تحول هو المسيحية
 في لحظة وانقلب من المصاداة لها الى السناداة بها والدعوة إليها ، وهو لم
 يتلق من المعلم بالدين المسيحي ما يجعله يقوم بتلك الأعمال المضنية في الدعوة
 الى المسيحية وتعليمها ونشرها بين الأمم ، حتى أصبح صاحب تشريع في المسيحية
 يرجع اليه في حياته ، وإلى رسائله الكثيرة بعد مائة ، ويوضح هذا كله في المباحث
 الآتية ان شاء الله تعالى .

(١) محمد أبوزهرة محاضرات في النصرانية ص ٨٠ طبعة دار النصر بالقاهرة .

بولس في حراسة للمسيحية

جاء في سفر أعمال الرسل ذكر ما قام به بولس قبل دخوله في المسيحية من
محاورة للمسيحيين حيث يقول كاتبه :

" وأما شاول ، فكان يسطو على الكنيـة وهو يدخل الهيوت ويجرجسالا
ونساء وسلمهم الى السجن " (١)

وقال أيضا : " أما شاول ، فكان لم يزل ينفث تهيدا وقتلا على تلاميـه
الرب " (٢)

ويقول بولس عن مقاومته وحره للمسيحية : " وكنت غيورا لله كما أنتم اليوم
واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا وسلمنا الى السجن رجالا ونساء
كما يشهد لي أيضا رئيس الكنيـة وجميع المشيخة الذين اذ أخذت أيضا منهم
رسائل للاخوة الى دمشق ذهبت لآتي بالذين هناك الى اورشليم مقيدون لكلي
يماقبوا " (٣)

ويقول كذلك في رسالته الى أهل غلاطيه : " فانكم سمعتم يسيرتي قبلا
في الديانة اليهودية اني كنت اضطهد كنيـة الله بافراط وأتلفها وكنت أقدم
في الديانة اليهودية على كثيرين من أتباعي في جنس اذ كنت أفرغوة فـسـس
تقليدات آباءى " (٤) .

هذا هو شاول قبل أن يصبح بولس الرسول في المسيحية وهو لم يأل جهدا
في مطاردة المسيحيين والنـج بهم في السجن رجالا ونساء ، وهو في كل ما عمل
لم يكن سوى واحد من الفيريين اليهود المتسكين بتقليدات الآباء وسلوكهم .

وعندما انقلب شاول فجأة من اليهودية وغيـرته عليها تحول بنفس الحماس والفيرة
نحو المسيحية ، وفاق في ذلك أولئك المسيحيين الذين سبقوه في اعتناق المسيحية
، والايان بها والذين هم على علم بدعوة المسيح وسيرته أكثر منه .

(١) اعمال الرسل ٨: ٣ (٢) اعمال الرسل ٩: ١ (٣) اعمال الرسل ٢٢: ٣

(٤) غلاطية الرسل ١: ١٣-١٤

الا أن حماسه للمسيحية لم يكن حماسا منهجيا التزم فيه شاول بمنهج
المسيح وشرعته قبل كان مذهبيا مستقلا لا يمت الى المسيحية بصلة غير الاسـ
كما لا تربطه باليهودية صلة ما • وهذا كله ما سنراه في دراستنا لمنهج بولس
في الدعوة نحو المسيحية فيما سيأتى باذن الله تعالى •

اعتناق (بولس) المسيحية

وإذا انتقلنا الى قصة اعتناق بولس للمسيحية ، نجد أن مفسر الاصل هو الذى تولى الحديث عن دخوله فى المسيحية وبين الأسباب التى حثته على اعتناقه لها .

ففيه ورد أن شاول كان ذاهبا الى دمشق لئلى بالمسيحيين الذين فيها بالمسيحيين الذين فيها مقيدى الى اورشليم بينما هو فى طريقه الى دمشق ابرق له نور وسمع صوتا يقول :

" شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ فقال من انت يا سيد ؟ فقال الرب : انا يسوع الذى انت تضطهده ، صعب عليك أن ترفض مناخس ، فقال وهو مرتعد ومتحير ما تريد أن أفعل فقال له الرب قم وأدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل ؟ وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا ، فنفس شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدا فافتادوه بيده وأدخلوه الى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب وكان فى دمشق تلميذا اسمه حنانيا فقال له الرب فى رؤيا : يا حنانيا فقال : ها أنا ذا يا رب فقال له الرب قم واذهب الى الزقاق الذى يقال له السقيم واطلب فى بيت يهوذا رجلا طرسوسيا اسمه شاول لأنه هوذا يصلى وقد رأى فى رؤيا رجلا اسمه حنانيا داخلا وواضعا يده عليه لكى يبصر فأجاب حنانيا : يا رب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل بقديسك فى اورشليم وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك فقال له الرب : اذهب لأن هذا لى انا مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك وبنى اسرائيل لأنسى ساريسه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمى " (١)

ثم جاء فى السفر أن حنانيا ذهب الى شاول وفعل ما أمر به فوقع من عينيه شئ مثل القشور فأبصر فى الحال ثم اعتمد وتناول طعاما فتقوى ، ولم تطسل

اقامته بدمشق بعد ذلك حتى بدأ يدعو جهرا الى المسيحية ، وفي ذلك يقول صاحب
سفر الأعمال ١

" وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما وللوقت جمل يكرز في الجامع
بالمسيح أن هذا هو ابن الله فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا اليس
هذا هو الذي أهلك في اورشليم الذين يدعون بهذا الاسم وقد جاء الى هنا
لهذا ليسوقهم موثقيين الى رؤساء الكهنة ، وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود
الساكين في دمشق محققا أن هذا هو المسيح " (١)

هذه هي قصة اعتناق بولس للمسيحية التي كان قد اضطهد أصحابها كثيرا ، وهي
قصة غريبة غريبة تدعو الى النظر الطويل .

لقد دخل شاول في المسيحية بعد وصوله الى دمشق على يد حنانيا كما سنبين
الكلام عن ذلك ، وبعد ذلك ، أخذ يدعو الى المسيحية بحماس لا نظير له حتى يسوع
أولئك التلاميذ الذين شاهدوا المسيح وأخذوا عنه المسيحية مباشرة . وقد وجد
أولئك التلاميذ في تغير موقف شاول واعتناقه للمسيحية العزاء الكبير فيما نالهم بعد
غياب المسيح من اضطهادات ونكبات ، وأعطوه كل الثقة وأدخلوه بينهم حتى أصبح
شريكتهم في التبشير والدعوة الى المسيحية وطاف بكثير من البلدان داعيا أمسا
قد اهلواهم مظلة السلطة الرومانية .

ولكن ما مصدر تلك المسيحية التي نشرها بولس في الاثينا ؟ هل قلعاها وتعلمها
من تلاميذ المسيح الذين شافوه ثم نشرها ؟ أو انه تظاهر باعتناقه للمسيحية
ونشر ما لديه عن أفكار تميح في أذهانه مغلفة بغلاف المسيحية تمجها على من حوله
من الناس البسطاء الذين لا يفهمون من الكلمات غير ظواهرها البراقة ؟

وللاجابة على هذه التساؤلات لن نتمسك كثيرا ، لان شاول نفسه كفانا مؤنسة
الجواب ان يقول : " وأعرفكم أيها الاخوة الانجيل الذي بشرت به انه ليس بحسب
انسان لأنى لم أقبله من عند انسان ولا علمته بل باعلان يسوع المسيح " (٢) .
وكما يبدو من هذا النص ، فان بولس يدعي أن المسيح هو الذي علمه ولقنسه

(١) اعمال الرسل ١٩: ٩ - ٢٢

(٢) غلاطية ١: ١١

ما يفتيس به ذهنه من أفكار ، ولكن متى كان هذا الاعلان من المسيح لبولس ؟

لقد سبق أن عرضنا قصة اعتناق شاول للمسيحية بحسب ورودها في سفر الأعمال ، والاجابة على هذا السؤال تحتاج الى العودة نحو تلك القصة .

حينما شاهد بولس ما شاهد من طريق وسمع ما سمع من صوت وهو ذاهب الى دمشق فقال وهو مرتعب وشخير : يا رب ماذا تريد أن أفعل فقال له السرب : قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل " (١)

وبعد ما دخل شاول دمشق أتاه حنانيا بأمر من المسيح في رؤيا رآها ووضع يديه على شاول فقال له : " أيها الأخ شاول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس وللوقت وقسح من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد وتناول طعاما فتقوى وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما ، وللوقت جعل يكرز في المجمع بالمسيح أن هذا هو ابن الله " . (٢)

وكما بدا لنا من هذا النص ، فإن شاول لم يكلف نفسه عنا التلم ، بل اكتفى بتحوله الفكري فقط ، فقام يدعو الى المسيحية معلنا أنه تلقى ما يدعو اليه من المسيح مباشرة .

والذي وجدناه في قصة دخوله في المسيحية يدل على أن الذي ظهر له في الطريق عند رحيله الى دمشق ، لم يعلم شيئا بل قاله له : " قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل " ولم يتعلم شاول عن ذلك المرث في الطريق كيف يدخل في المسيحية فضلا عن أن يتلقى منه انجيلا ينشره في الافاق تلك الفترة الطويلة من حياته متقلبا بين الأم وكما أنه لم يتعلم من حنانيا شيئا غير الدخول في المسيحية ، وإذا كان شاول قد احتاج الى حنانيا للدخول في المسيحية ، فكيف لم يحتج اليه أو الى غيره من أتباع المسيح في تلقى منه مسيح الديانة المسيحية ؟ هذا أمر له خبي " (١) (٢)

(١) أعمال ٩: ٦

(٢) أعمال ٩: ١٧-٢٠

يقول الأب بولس الياس اليسوعي : " لا نكير أن شهادة القديس بولس أوكرازته
تقسم بسمته الخاصة ، لأنها تحمل جزءاً من حياته ، من حياة إنسان تثقف ثقافة
عبرية وهلينية عالية تتفدى طويلاً من سحر النبوات والمزامير ، وتشبع من منطق
أرسطو ونظريات أفلاطون ، ثم اهتدى إلى معرفة يسوع المسيح بظهور روحى خاص
مباشر من قبله ، فوقف على خدمته نفسه ، وتجنبد للكراسة بأنجيله ثمبيراً عن حبه له ،
واقراراً له بصنيعه ، فسبكت تعاليمه بأسلوه وساقها إلى النفوس بتفردية الحق . فكانت
كرازته حياة تنبض بكل ما فيها " (١)

وهذا القول يؤكد أن بولس لم ينسحق تعاليمه ولا ثقافته من مصدر واحد ، بل
تعددت المصادر التى استفاد منها ثم مزجها بما كتبه عن المسيحية حتى أصبحت فيها
بعد شريعة متبعة باسم المسيحية ،

والأب بولس الياس قد ساقى هذا النص فى معرض تبرئته لبولس عن المخالفة
فى تعاليمه لتلاميذ المسيح الذين اقتصرُوا فى أناجيلهم على سرد الوقائع التى
حدثت فى عهد المسيح ، والمواعظ والحكم التى كان يلقيها المسيح طوال السنوات
الثلاث التى قضاها فى دعوة بنى إسرائيل ، ويدل على دفاع الأب بولس الياس
عن بولس فى هذا الصدد ما قاله بعد النص السابق مباشرة : " إلا أنها بالرغم
من تفرديتها الخاصة جاءت مطابقة كل المطابقة لتعاليم الانجيل ، لأن القديس
بولس كان شديد الحرص على أن يعرض كرازته على الرسل . والتلاميذ من وقفت
إلى آخر كى لا يحيد عن تعليمهم قيد الشعرة " (٢)

ولئن أورد الأب بولس الياس النص الأول وهو يحاول تبرئة بولس الرسول عن —
مخالفة المسيحية فى تعاليمه ، فإن النص المذكور يدل دلالة واضحة على مخالفة
بولس لتعاليم السيد المسيح حيث أنه قد تلقى معلوماته من مصادر مختلفة ، عبرية ،
وهلينية ، وأرسطية ، وأفلاطونية ، ولا جدال فى أن أغلب هذه المصادر ليست
مسيحية .

(١) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ١٨١

(٢) نفس المصدر والصحيفة .

بولس في دعوته للنس

جاء في انجيل متى أن المسيح عليه السلام جاءته امرأة كمنانية في تخوم صور وصيدا* وهي تصرخ قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود ابنتي مجنونة جدا فلم يجيبها بكلمة* ولما طلب من المسيح تلاميذه صرفها قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا أجاب المسيح قائلا :

" لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة* فأنت وسجدت له قائلة : - ياسيد أعني فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب* " (١)

ومع أننا نستغرب حدوث هذا النص عن المسيح عليه السلام على هذه الصورة* فان ما ورد فيه من اختصاص رسالة المسيح ببني اسرائيل* لا يتفق مع دعوة بولس التي كانت دعوة شاملة للأمم* ولقد كان بولس في دعوته للأمم غير ملتزم بتعليمات المسيح ورسالته* وذلك لأمرين :

أحدهما* أنه تجاوز بدعوته بني اسرائيل وسلب رسالة المسيح خصوصيتها وأضفى عليها الصبغة العالمية مخالفا بذلك قول المسيح السابق " لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة* " .

ثانيهما* أنه خالف كتاب الأناجيل الأربعة الذين التزموا برواية سيرة المسيح مبتدئين بميلاده حتى غيابه* حيث انه لا يورد شيئا من ذلك* بل يكتفى في دعوته بمعرض أفكاره الخاصة* غير ناقل عن المسيح شيئا من أقواله وأفعاله* ورسائله العديدة التي بعثها بولس الى البلدان المختلفة خير شاهد على مسلك بولس في دعوته* ولولا أن المسيحيين قالوا : ان بولس من كبار دعاة المسيحية وأتباعها* لكان لزاما على كل قارئ* وباحث أن يحكم على بولس بأنه مؤسس لديانة خاصة به غير تابع لأحد من أصحاب الديانات* .

ولكى يتبين ذلك المسلك الذي ذكرناه* نورد بعض التشريعات التي شرعها بولس معتمدا على فكره فقط يقول بولس في رسالته الأولى الى أهل كورنتوس :

" وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها* فحسن للرجل أن لا يمس امرأة* ولكن لسبب الزنا ليكون لكل واحد امرأته* وليكن لكل واحدة رجلها " (٢)

(١) متى ١٥ : ٢٤-٢٦

(٢) ١ كورنتوس ٧ : ١

وكما يتضح من مقالة هذا ، فإنه قد وضع أساسا للرهبنة في المسيحية ولم يدلل على مشروعية ما ذكره بكلام المسيح أو غيره ، ولكنه بنى على استحسانه فقط لا غير . وإذا تركنا هذا النص وانتقلنا الى نص آخر ، نجد فيه ما وجدنا في هنا من التشريع المستقل الذي لا يرتبط بدعوة المسيح . يقول بولس :

" ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل اله حسن لهم إذا لبثوا كما أنساء ، ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم ، فليتزوجوا لأن التزويج أصلح من التحرق ، وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة زوجها وان فارقته فلتلبس غير متزوجة ولتصالح زوجها ولا يترك الرجل امرأته ، وأما الباقون ، فأقول لهم أنا لا الرب ، ان كان أحدهم امرأة غير مؤمنة وهي ترضى أن تسكن معه ، فلا يتركها . . . " (١)

ولعل الرهبانية التي ابتدعها المسيحيون وذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : ورهبانية ابتدعوها (٢) لعلها ابتدعت من قبل بولس ، كما تدل عليه هذه النصوص من رسالته . وما من شك في أن بولس قد استقل بدعوته وتشريعه استقلالاً - يجعله صاحب رسالة مستقلة عن رسالة المسيح ، وان المسيحية في شكلها الحاضر ، ليست هي المسيحية التي دعا اليها المسيح عليه السلام لأن المسيح دعا الى الحكم بالتوراة وإلى الإصلاح الجذري في اليهودية التي أصبحت بتقادم العهد ديانة متضعضعة فقدت هيبتها وقضارتها ، ولذلك يقول المسيح عليه السلام " لا تظنوا أنني جئت لأنقض التاموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل " (٣) - أما بولس فقد نقض التاموس وخرج عن دائرة الدين اليهودي الذي لم تكن المسيحية الا حلقة منها ، يقول وليم لا نجر " أما المسيحية التي بدأت مذهباً يهودياً ثم أصبحت ديانة عالمية واسمة الانتشار بفضل بولس الذي اعتنقها وتغاني فسدت خدمتها ، فانها سرعان ما تمحضت عن نظام وأدب " (٤)

(١) ١ كورنتوس ٧ : ٨-١٢

(٢) سورة الحديد ٢٧

(٣) متى ٥ : ١٧

(٤) موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٢٠٧ ترجمة محمد محمود الصياد طبع بمكتبة النهضة المصرية .

ان بولس لم يقتصر في تعاليمه على تجاهل وجود الشريعة الموسوية التي لم يأت المسيح لنقضها وإنما جاء ليكملها ولكنه تجاوز ذلك الى دعوة الامم الممتنعين - للمسيحية للخروج على ناموس التوراة ، متخذاً عقيدة المسيحيين في وفاة المسيح لخلص البشر وسيلة تصوغ الخروج عليها وكانت طويته في ذلك طريقة بارعة حيث انطلق من الأمور المسلم بها لدى المسيحيين الى الأمور التي لا يعلمون بها ، وفاته المسيح على الصليب من أجل الخلاص والفداء ، أمر مسلم به عند المسيحيين والتحرر من شريعة التوراة أمر غير مقبول عندهم ، الا ان بولس اتى المسيحيين من حيث لا يحتسبون ،

يقول بولس ا : " فان كنا قد متنا مع المسيح لئمن أننا سنحيا ايضا معه عالمين أن المسيح بعد ما أقيم من الأموات لا يموت أيضا لا يسود عليه الموت بعد ، لان الموت الذي ماته قد ماته للخطيئة مرة واحدة والحياة التي يحياها فيحياها للسنة " (١) .

وفي هذا النص يجعل بولس وفاة المسيحيين مع المسيح قضية مسلما بها ، ثم يبين هذه القاعدة بمثل يضربه فيقول :

" ان الناموس يسود على الانسان مادام حيا فان المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي ، ولكن ان مات الرجل ، فقد تحررت من ناموس الرجل ، فاذا مادام الرجل حيا ، تدعى زانية ان صارت لرجل آخر ، ولكن ان مات الرجل فهي حرة من الناموس ، حتى انها ليست زانية ان صارت لرجل آخر " (٢) .

وبعد أن بين بولس قاعدته بهذا المثل الذي ضربه ، انطلق منها نحو النتيجة فقال : " اذا يا اخوتي أنتم أيضا قد متم للناموس بجسد المسيح لكس تصيروا لا خسر للذي قد أقيم من الأموات لنشر الله ، لأنه لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا لكي نشمر للموت ، وأما الآن فقد تحررنا من الناموس اذ مات الذي كنا مسكين فيه حتى نعبد ببجدة السرح لا بعشق الحرف " (٣) .

(١) رومية ٦ : ٨-١٠

(٢) رومية ٧ : ١-٣

(٣) رومية ٧ : ٤-٦

ويقول أيضا في تأكيد هذا المعنى :

" اذا لا شئ من الفايقونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطيئة والموت " (١)

هكذا يضع بولس قاعدته للتحرر من الشريعة الموسوية ، ثم ينقض الناموس نقضا صريحا فيقول مخاطبا لمن يختلن حسب شريعة موسى :

" أنا بولس أقول لكم انه ان اختلثتم لا ينفعكم المسيح شيئا " (٢)

ثم يذهب بولس الى نقض أكثر لناموس الشريعة اليهودية حيث يقول :

" فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو شهر أو شيء من هذه الأمور المستيدة ٠٠٠ اذا ان كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم فلماذا كأنكم عاشقون في العالم تفرض عليكم فرائض ، لا تمس ، ولا تذوق ، ولا تجس ، التي هي جميعها للفناء في الاستعمال حسب وصايا وشعائر الناس ٠٠٠ " (٣)

وكما يبدو من رسائل بولس فانه قد خص بدعوته التحررية الأمم الذين لا يعرفون من اليهودية غير الخصوصية والتمصب ، فأناهم من هذه الناحية جاعلا اليهودية عقيدة عنصرية - والمسيحية عقيدة عالمية جاءت لتوحيد البشرية ، ويقول في ذلك مخاطبا الأمم :

" الله الذي هو غنى في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا ، أحيانا مع المسيح ، بالنعمة أنتم مخلصون ، وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع ٠٠٠ لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم قديلا في الجسد المدعوين غرلة من المدعو ختانا مصنوعا باليد فليس الجسد أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنيبين عن رعية اسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم ولا اله في العالم ، ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قديلا بعيدين صرتم قريبين بسدم المسيح ، ولأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدا ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة مبطلا بجسدنا موس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه انسانا واحدا جديدا صانعا سلاما " (٤)

(١) رومية ٨ : ٢-١

(٢) غلاطيه ٥ : ٢

(٣) كورنثوس ٢ : ١٦-٢١

(٤) أفسس ٢ : ١٥-٤

هذه هي دعوة بولس وهي - كما قال الأب بولس الياس - " تتسم ببساطة الخاصة " وليس لها أية صلة بما كتبه أصحاب الأناجيل الأربعة ، غير أنه يلتقي نفس دعوته الى الوهية المسيح بيوحنا الذي كتب انجيله لاثبات الوهية ، ونسرى ذلك جليا في قول بولس : " فاني كنت أود أن أكون نفس محروما من المسيح لأجل اخوتي أنسائي حسب الجسد ، الذين هم اسراييليون ولهم الشتم والجد والمجد واليهود والامترار والعبادة والبواعد لهم الآباء ، وشبههم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل لها مباركا الى الأبد آمين " (١) .

وقد صرح بولس هنا بالوهية المسيح الأبدية وهو ما كان يجاهر به دائما في جميع رسائله ، والتقى في هذه الفكرة بيوحنا ، وركز أيضا على وفاة المسيح من أجل الفداء أكثر من أية قضية أخرى حيث قال في ذلك :

" ١٠ . ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح - لأجلنا ، فبالأولى كثيرا ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب ، لأنه ان كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيرا ونحسب مصالحوه نخلص بحياته ، وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضا بالله بهنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة " (٢)

وهكذا نجد بولس يركز على مسألة الموت من أجل الفداء تركيزا لا نجد له عنده نظيرا في بقية مسائل العقيدة في المسيحية ، حيث أخذت هذه القضية نفس رسائله حيزا كبيرا .

وخلاصة القول في دعوة بولس أنها تتلخص في أمور :

منها : تمهيم الرسالة المسيحية لجميع الأمم خلافا لما عرف عن المسيح مسن خصوصية دعوته لبني اسرائيل لقوله : " لم أرسل الا الى خيبراف بيت اسرائيل الضالة " .

ومن هنا : نسخ بعض الأحكام الواردة في العهد القديم كالختان وعو الأمر الذي وجد بولس في الالتزام به حرجا على الأمم الذين لم يتمسكوا عليه الختان فأبطله بقوله : " لن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا " .

(١) رومية ١ : ٣-٥

(٢) رومية ٥ : ٨-١١

ومنها : دعوته الى الاعراض عن التمسك بشريعة الثوراة ، معللا ذلك بموت المسيح من أجل الجميع وموت المسيحيين معه قائلا : " ان كنتم قد متم مع المسيح عن أركان المالم ، فلماذا كأنكم عاثشون في المالم ، نفرض عليكم فرائض ، لا تمس ، ولا تفق ، ولا تجسس التي هي جميعها للفناء في الاستعمال حسب وصايا تعاليم الناس "

ومنها : تشريعه لبعض الأحكام كالرهينة ، وقد سبق أن ذكرنا النصوص الدالة على هذه المسألة ولا بأس من الإشارة اليها هنا باختصار ، يقول بولس : " وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها ، فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها " . وهذا النص كما نجد فيه تشريع الرهينة نجد فيه أيضا تحريم تمدد الزوجات لقوله : " ليكن لكل واحد امرأته الخ " .

ومنها : الدعوة الى عدم الالتفات الى تعاليم غيره بحجة أنهم يضللون الناس ويقول بولس في ذلك " وأطلب اليكم أيها الاخوة أن تلاحظوا الذين يضمون الشقاكات والعثرات ، خلافا للتعليم الذي تعلمتموه وأعرضوا عنهم ، لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم والكلام الطيب والأقوال الحسنة ، يخدعون قلوبهم السلام " (١)

ويقول في موضع آخر : " وللقادر أن يثبتكم حسب انجيلي والكرازة ببسوع المسيح ، حسب اعلان السر الذي كان مكتوما في الأزمنة الأزلية ، ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الاله الأزل لاطاعة الايمان " (٢)

ويدعى بولس هنا أن انجيله أو كرازته بالمسيح ، كان سرا من الأسرار المكتومة في الأزمنة الأزلية ، ولكنه خرج عن طي الكتمان في زمنه هو ، وهذا ينشر ذلك السرفي الأم بأمر من الاله الأزل مما يدل على أنه مؤسس الديانة المسيحية باستقلال تام عن المسيح

(١) رومية ١٦ : ١٧ — ١٨ .

(٢) رومية ١٦ : ٢٥ — ٢٦ .

وتلاميذه الذين حرصوا على أن يظهروا اتباعا للمسيح يتأسون به قسوسا
وملا ، وأن يـرووا للناس ما شاهدوا من أعمال المسيح ، وسموا
من أقواله ، وما وقفوا عليه من شوائبه .

بولس يواجه معارضة من دعاة المسيحية في عصره

في المباحث السابقة لهذا البحث عرضنا تفرد بولس في دعوته الى المسيحية بأسلوب خاص به، وبينما أنه استفاد في تعاليمه تلك من مختلف الثقافات، وأنه مزج بين تلك الثقافات حتى أصبحت فيما بعد شريعة متميزة باسم المسيحية، وقد ذكرنا هناك مقال الأب بولس الياس في دفاعه عن بولس حيث استدل على براءته من الابتداع في المسيحية بما يثبت أنه مبتدع.

أما هنا، فإنا نورد نصوصاً تفاد على أن بولس قد خالف كثيراً من دعاة المسيحية في عصره، وعلى رأسهم بطرس الحواري أحد كبار تلاميذ المسيح، ولاشك في هذا الخلاف لا نذهب بعيداً عن رسائل بولس نفسها فأشبهنا نحن ذلك الخلافاً بما يشفي الضليل.

يقول بولس في رسالته الى أهل غلاطية: "ولكن لما أتى بطرس الى أنطاكية، قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب، وكان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويغريز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان ورأى معه باقي اليهود أيضاً حتى أن برنابا أيضاً انقاد الى ريائهم، ولكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل، قلت لبطرس قسداً للجميع ان كنت وأنت يهودي تمسح أمياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟" (١)

هكذا يختلف بولس وتلاميذ المسيح، وليس من الحق أن يقال ان تعليمات بولس لم تخرج عن منهج تلاميذ المسيح قيد شعرة بعد أن أثبت بولس هذا الخلافاً في رسائله، ولم يقتصر الخلاف في هذا الشأن على بطرس بل تمدد الى شخص آخر كانت له اليد الطولى على بولس، وهو برنابا الذي أدخله الى التلاميذ عند اعتناقه بولس للمسيحية متوسطاً له لكونهم في شك وحذر من أمره، ولولم يطمئنتهم برنابا على صدق بولس في تحوله نحو المسيحية، لما وثقوا في إيمانه وانضموا معه الى صفهم بعد أن كان من كبار المعادين للنصارى.

ولم يكتف بولس هنا بذكر الخلاف بينه وبين هذين الحواريين وإنما رماهما بالنفاق والرياء وعدم الاستقامة، وهي أمور لا يمكن قبولها في حق تلاميذ المسيح عليه السلام.

(١) غلاطية ٢: ١١-١٤ يريد بولس أن يقول لبطرس كنت تأكل مع الأمم قبل أن تأتي هنا وأنت يهودي الأصل وما دمت لا تأكل معهم الآن، فلماذا تلزم الأمم أن يتختلوا مع أن الختان شرعة يهودية؟

ويذكر بولس نوحا آخر من الخلائق بينه وبين دعاة المسيحية فيقول :
 " انى أتمجب أنكم تنتقلون هكذا سرىما من الذى دعاكم بضميمة المسيح ، الى
 انجيل آخر ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ، ويريدون أن --
 يحولوا انجيل المسيح ، ولكن ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما
 بشرناكم فليكن أنا نياما ، كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا ، ان كان أحد يبشركم
 بغير ما قبلتم فليكن أنا نياما " (١)

ومعترف بولس فى هذا النص أن فى عصره من يقاوم دعوته بانجيل يخالف انجيل
 المسيح حسب قوله ، وانجيل المسيح الذى يذكره هنا هو تعليماته التى
 يشر بها بين الأمم باسم المسيح مدعى أنه تلقاها من المسيح نفسه بظهور
 روحى خاص على مقربة من دمشق عند سفره اليها من اورشليم لتعقب المسيحيين
 وهؤلاء يسند الانجيل الى المسيح وثارة أخرى يسند الى نفسه ، وقصد
 اتضح فى هذا النص أنه أضاف الانجيل الى المسيح وأضاه الى نفسه بقوله :
 " وللقادر أن يشتمكم حسب انجيلى والكراسة بيسوع المسيح حسب اعلان السر
 الذى كان مكتوما فى الأزمنة لأزليّة " (٢)

واذا التفتنا مرة أخرى الى الخلاف بين بولس وبين بطرس فاننا نجد -- كما فى
 النص الأول -- أحد الأسباب هو اللفظ بولس للختان ، ومعارضة بطرس لذلك
 متمسكا بأحكام التوراة التى لم يأت المسيح لنقضها وانما ليكملها ولهذا يقسول
 بولس فى مقدمة ذلك النص :

" ثم بعد أربع عشرة سنة صمدت أيضا الى اورشليم مع برنابا أخذنا معى
 ليطس أيضا ، وانما صمدت بموجب اعلان وعرضت عليهم الانجيل الذى اكرز به
 بين الأمم بالانفراد على المعتبرين ، لئلا أكون أسمى أو قد سميت باطلا ،
 لكن لم يضطر ولا تيظس الذى كان معى وهو يونانى فى يختن ولكن بسبب
 الاخوة الكذبة المدخلين خفية الذين دخلوا اختلاسا ليتجسوا حريتنا
 التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا ، الذين لم تدع لهم بالخضوع ولا سعة
 ليبقى عندكم حق الانجيل ، وأما المعتبرون ، فانهم شئ* مهما كانوا لافرق عندى
 الله لا يأخذ بوجه انسان . فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشئ* ، بل
 بالعكس اذ رأوا أنى قد اجتمعت على انجيل القرلة كما بطرس على انجيل الختان ،

(١) غلاطية ١: ٦-٩

(٢) رومية ١٦: ٢٥ .

فان الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان ، عمل فى أيضا للأمم * (١)
 وقول بولس انه عرس انجيله الذى يكرز به بين الأمم على المعتبرين لشكلا
 يسمى أو قد سمى باطلا ، يدلنا على أنه لم يكن واقفا مما ينشره بين الأمم
 وذلك ما دفعه الى أن يعرض أفكاره على من يسميهم المعتبرين على انفراد ، وهؤلاء
 المعتبرون ، هم ، يعقوب وصفا ويوحنا ، ولم يسميوا عليه بشئ * ثم يذكر
 أنهم رأوا أنه أوتمن على انجيل القولة ، كما أوتمن بطرس على انجيل الختان
 فأقروه على ما هو عليه ، وأعطوه هوهرنايا يمين الشركة ليكونا للأمم ، وأما هم
 فيكونون للختان .

ومن تأمل فى مقالة بولس هذه ، رأى أنه جمع فى شريعة المسيح بين الشئ
 ونقيضه ، إذ أن قوله انه أوتمن على انجيل المزالة ، وبطرس أوتمن على انجيل
 الختان يؤدى الى القول بأن الله يأمر بشئ وينهى عنه فى وقت واحد وهو
 أمر واضح البطلان ، لأن الله لا يأمر بالختان فى انجيل وينهى عنه فى
 انجيل آخر .

وذكر بولس فى هذا النص أن هناك من دخل خلصة الى حيث يعرض انجيله
 على المعتبرين وسماهم بالأخوة الكذبة ، ولم يبين من هم أولئك الأخوة الكذبة ،
 هل هم من اليهود أو انهم من المسيحيين الممارضين لدعوة بولس ؟ وكل من
 الأمرين محتمل غير أن كونهم من المسيحيين الممارضين أقرب وأقوى احتمالا .

ارتداد الناس عن دعوة بولس

لعل ما سبق ذكره في البحث السابق من اختلاف بولس مع تلاميذ المسيح ودعاة المسيحية ، كان هو الذي سبب ارتداد الناس عن دعوة بولس وهو نتيجة حتمية وحسيلة من حوائل الخلاف بينه وبينهم .

ولقد كان المسيحيون الذين استجابوا لدعوة بولس في بادئ الأمر ، يعلمون أن بولس لم ينعم بصحبة المسيح ولا بتابعه في حياته ، ولكنهم عرفوا عنه أنه كان فيما مضى خصما لدودا للمسيحية وأتباعها ، ثم تحول نحو المسيحية بتلك الطريقة التي ذكرها هو عن نفسه وذكرها سفسر أعمال الرسل ، ولما تفضل على دخوله في المسيحية فترة طويلة ، حتى أصبح من كبار دعايتها والمبشرين بها بين الأمم ، إلا أن ذلك لم يكن يجعل المسيحيين ينسون ماضيه المليء بالكراهية والعداوة للمسيحية ، وما أن دب الخلاف بينه وبين كبار المسيحيين حتى ارتدوا عن دعوته وتركوه وحيدا ، ولم يبق معه غير لوقا .

وفي الحديث عن حادثة الارتداد هذه يقول بولس مخاطبا تيموثاوس :
 " بادر أن تجيء إلى سريما ، لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي ، وكريسكس إلى غلاطية ، وتيطس إلى دلماطية ، لوقا وحده معي ، خذ مرقس وأحضره معك . لأنه نافع لي للخدمة . أما تيخيكس ، فقد أرسلته إلى أفسس اسكندر النحاس أظهر لي شرورا كثيرة ، وليجازه الرب حسب أعماله ، فاحتفظ منه أنت أيضا ، لأنه قاوم أقوالنا جدا ، في احتجاجي الأول ، لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني " (١)

هكذا يشتكى بولس من تحول الناس عنه تاركا ذكر أسباب تحولهم وما ذكرته من أن سبب الارتداد عن دعوته هو الخلاف الذي وقع بينه وبين معاصريه من دعاة المسيحية ، لم يكن إلا استنتاجا واستخلاصا مني ، وذلك على ضوء ما وصلت إليه من دراستي في رسائله الكثيرة . وفي موضع آخر يذكر بولس أن جميع من في آسيا ممن أتباعه ارتدوا عنه ، فيقول مخاطبا تيموثاوس : " تمسك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته عنى في الايمان والمحبة التي في المسيح يسوع " . حفظ الوديعة الصالحة

بالروح القدس الساكن فينا ، أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عن
الذين منهم قيجلس وهرموجانس " (١)
وهذا النص يوضح لنا أن بولس بقى وحيدا في الميدان ، كما يوضح لنا أن التعليم
الذي ينشره هو الصورة الصحيحة التي ينبغي أن يتمسك بها تلميذه تيموثاوس ،
ولذلك يقول له في موضع آخر :

" وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأنت ومحييتي وصبري
وأضطهادي وآلامي " (٢) .

ولعل هذا النص يضع النقط على الحروف فيبين لنا سبب اختلاف بولس مع غيره
ثم سبب ارتداد الناس عنه ، ذلك لأنه تبين لهم أن له مذهباً خاصاً يدعو اليه
ويجاهد من أجله ، ولم يكن مذهبه هذا متفقاً مع العقيدة المسيحية المعروفة عند
تلاميذ المسيح . وقد رأينا في البحث السابق قول بولس بأنه أوثق على انجيل
القرنة كما أوثق بطرس على انجيل الختان ، ومعنى ذلك أن بولس يقر بطرس
فيما ذهب إليه من مشروعية الختان ولكنه يهاجم الملزمين بذلك قائلاً :

" فإنه يوجد كثيرون متجردون يتكلمون بالباطل ويخدعون العقل ولا سيما
الذين هم من الختان الذين يجب سد أفواههم ، فإنهم يقلبون بيتاً بجملة
معلمين ما لا يجب من أجل الرب القبيح " (٣)

تري كيف انقلب بولس على مشروعية الختان الذي أقر عليه بطرس ووسم مخالفه به
كأنه عار يميزهم عن غيرهم معتبراً القرلة شعاراً له ولا تبعه ؟ ولعل هذا لون آخر من
ألوان المتناقضات التي يتبناها بولس في تعاليمه وقد سبق كثير من الأمور المتناقضة التي
التزم بها في البحوث السابقة . وليس ببعيد أن يكون هذا التناقض أحد أسباب التحول
الجماعي عن بولس بالإضافة إلى ما سبق ذكره من الخلاف .

(١) ٢ تيموثاوس ٣ : ١٠-١١

(٢) تيطس ١ : ١٠-١١

مؤلفات بولس

ترك بولس مؤلفات كثيرة تشكل جزءا كبيرا من المهد الجديد الذي تبلغ عدد أسفاره سبعة وعشرين كتابا ورسالة وتبلغ عدد رسائل بولس وحده منها أربع عشرة رسالة من بين تلك المجموعة وليس لأحد من تلاميذ المسيح أو أتباعه فيما بعد ما لبولس من المؤلفات الكثيرة التي دخلت الى التاريخ المسيحي دخول الكتب المقدسة .

وتنقسم رسائل بولس الى قسمين :

قسم أرسله بولس الى البلدان وسميت بأسماء تلك البلدان وهي مخاطب جماعة لا أفراد .

قسم أرسله الى أفراد من تلاميذه الذين يثق فيهم وسمى هذا القسم أيضا بأسماء من أرسل اليه .

أما القسم الاول ، فيتألف من تسع رسائل وهي :

- ١- رسالة بولس الى أهل رومية وتشمل ستة عشر اصحاحا وكتبت سنة ٥٦ أو ٥٧ م (١)
- ٢- رسالته الاولى الى أهل كورنثوس وتحتوي أيضا على ستة عشر اصحاحا وكتبت عام ٥٥ م .
- ٣- رسالته الثانية الى أهل كورنثوس وتشمل ثلاثة عشر اصحاحا .
- ٤- رسالته الى أهل غلاطية وتتألف من ستة اصحاحات .
- ٥- رسالته الى أهل أفسس وتتألف من ستة اصحاحات .
- ٦- رسالته الى أهل فيلبى واصحاحاتها أربعة ، وكتبت فيما بين سنة ٦١ و ٦٣
- ٧- رسالته الى أهل كولوسى واصحاحاتها أربعة كتبت سنة ٦١ و ٦٣ م
- ٨- رسالته الاولى الى أهل تسالونيكي وعدد اصحاحاتها خمسة ، كتبت سنة ٥٤ م
- ٩- رسالته الثانية الى أهل تسالونيكي واصحاحاتها ثلاث كتبت سنة ٥٤ م
- ١٠- رسالته الى العبرانيين على خلاف في نسبتها اليه (٢) وتحتوي على ثمانية وعشرين اصحاحا .

(١) ذكر تواريج هذه الرسائل الأب بولس الياس اليسوعى فى كتابه يسوع المسيح شخصيته تساليمه ص ١٦ فى التعليق .

(٢) يذكر كتاب التفسير البيضاوى المسيحية لهذه الرسالة للكاتب : الكائن و . هـ م جردن وآخرون ترجمة حبيب سعيد ، يذكر أنه اختلف قهين كتب هذه الرسالة ، ف قيل أنها لبولس ، وقيل لبرنابا وقيل أنها لأيلوس ولكنه ضعف القول الاخير وسكت عن الترجيح بين القولين الاولين ص ٤٥-٥ ولم يصرح أيضا من هم العبرانيون الذين كتبت لهم الرسالة هل للمسيحيين العبرانيين أو للعبرانيين اليهود أنظر نفس الكتاب ص ٦ وما بعدها .

وأما القسم الثاني فيتألف من أربع رسائل وهي :

- ١- رسالته الأولى الى تلميذه تيموتاوس وعدد اصحابها سبعة .
- ٢- رسالته الثانية الى تلميذه تيموتاوس أيضا واصحابها أربعة .
- ٣- رسالته الى تيطس واصحابها ثلاثة .
- ٤- رسالته الى فيليمون واصحابها واحد .

ومن هذين القسمين من رسائله استقينما ما كتبناه عن ج بولس في هذا الفصل -
وذلك تحقيقا لما قلناه من أننا سنعمد على رسائله في ترجمته لكونها تعطى صورة
واضحة عن حياته ، بما اشتملت عليه من أفكار متخالفة ، وآراء مدافعة لمسنا ما أدت
اليه في النهاية من ارتداد الناس عن صاحبها .

يقول ابن حزم رحمه الله : " ورسائل بولس ، تلميذ شمعون باطرس (سمعان
بطرس) ، وهي خمس عشرة رساله ، تكون كلها ملوثة حمقا ورجوة وكفرا " (١)

لاندعى أننا قد أتينا بكل شيء عن بولس في هذا الفصل ، لأن المسيحية
في شكلها الحاضر انما هي من أعمال بولس ، ومن الصعب ان يأخذ المرء بكل
المسيحية هنا ، والذي نكتبه في هذا الفصل ، انما هو جزء من ذلك الكل العلى
بالأسرار المعقدة والغامضة .

هذا هو بولس في رسائله ، وثلث آثاره وتركته في المسيحية الحالية .

(١) الفصل في الهلل والأهواء والنحل ج ٢ ص ٣٠ .
والمعروف أن رسائل بولس أربع عشرة رساله ولعل ابن حزم اطلع على ما لم
يصل اليه .

الباب الرابع

المسيح في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول :

=====

- ١- نسب المسيح عليه السلام
- ٢- بشارة مريم بحملته
- ٣- الحمل بالمسيح
- ٤- مولده
- ٥- نشأته
- ٦- صفاته

نَسَبُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

للمسيح ابن مريم نسب شريف في بني اسرائيل . فقد كان جده لأمه —
عمران الذي اصطفى الله آله وسميت باسمه سورة من القرآن الكريم ، وهي سورة
آل عمران .

أما جدته ، فقد كانت امرأة سالحة تدعى حنة بنت فاقود بن قهيل على ما ذكره
الشوكاني (١) وذات يوم ، نذرت وهي حامل أن يكون مافي بطنها خادما لبيت
المقدس نذرا لا يشوبه شيء . ودعت الله عز وجل أن يتقبل منها نذرها . قال
تعالى :

(اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافي بطنى محررا فتقبل منى انك أنت
السميع العليم) (٢)

لكن ارادة الله شاءت أن يكون مافي بطنها أنثى وليس ذكرا كما كانت تريد .
ذلك لأن القيام يمثل هذا العمل مما لا تقوى عليه الأنثى . ولما وضعتها وظهر
لها أن المولود أنثى أسفت ونادت ربها وهي تقول :

(رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى وانسى
سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) (٣) الا أن الله عز
وجل — وهو العالم بما وضعت — تقبل نذرها بقبول حسن ، وأعاد مريم وذريتها
من الشيطان الرجيم ، وحفظها بمنايته وأنبتها نباتا حسنا وفضلها على نساء العالمين
(فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) (٤)

وحينما أوفت امرأة عمران بنذرها ووضعت مريم في بيت المقدس ، تسابق الناس
واختصموا على كفالتها ، واتفقوا على الاقتراع على ذلك ، فاقترعوا وخرجت القرعة للنبي
زكريا عليه السلام فكلها ، وفي ذلك يقول عز وجل :

(ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل
مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) (٥)

(١) فتح القدير ج ١ ص ٣٣٤

(٢) آل عمران ٣٦

(٣) آل عمران ٣٥

(٤) آل عمران ٤٤

(٥) آل عمران ٣٧

ومعد أن كفلها زكريا ، تربت مريم في عبادة وطهر ، واصطفاه الله عز وجل عيسى
نساء العالمين ، وشعرها بواسطة الملائكة ، وأمرها بملازمة التقوى والعداومة على
طاعة الله تعالى وقال تعالى في ذلك : (وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله
اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين) (١)

ولما كانت مريم مستقيمة على طاعة الله تعالى ، آتاه الله تعالى من لدنه رزقا فس
مكان عبادتها حيث تأتيتها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف (٢) .

وكان النبي زكريا عليه السلام كلما آتاه في محرابها ، وجد عندها ما رزقها الله
من النعم مما جملة يسألها عن مصدر ذلك الرزق الذي يأتيها في الوقت والمكان
الذين لا يوجد فيهما ذلك النوع من الرزق فما كان جوابها إلا أن قالت : (هو
من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) ويقول الله تعالى مخبرا عن ذلك
(فتقبلها ربه بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله
يرزق من يشاء بغير حساب) (٣) .

وهذه الإجابة التي أجابت بها مريم زكريا عليه السلام ، حركت مشاعره ودفنته
إلى أن يتوجه إلى مولاه بالدعاء وهو الشيخ الذي بلغ من الكبر عتيا من غير أن
يهبه الله ذرية من امرأته العاقر :

(٤) هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء
فاستجاب الله دعاءه وسمع ندائه فوهبه ولدا طيبا ونبيا من الصالحين وهو النبي
يحيى عليه السلام .

(فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يمشرك يحيى مصدقا
بكلمة من الله وسيدا وحصودا ونبيا من الصالحين) (٥)

(١) آل عمران ٤٣

(٢) أنظر فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٣٣٥

(٣) آل عمران ٣٧

(٤) آل عمران ٣٨

(٥) آل عمران ٣٩

وقد وصف الله عز وجل مريم ابنة عمران في موضع الخضر من كتابه بأنها صديقة آمنست بكلمات الله عز وجل وكتبه وأنسها من القانتين وضرب إصلاحها المثل للذين آمنوا :

(ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ٠٠٠) (١)

(٠٠٠) ومريم ابنة عمران التي أحصت فرجها فتفظا فيه من زوجها وصدقت بكلمات ربه وكتبه وكانت من القانتين (٢)

هذا هو نسب المسيح عليه السلام ، وهفاء أمه مريم بن صلاحها وثقواها ، وتلك جدته في ندرها لله وإخلاصها له في ذلك ، وما ترتب عليه من قبول حسن ، وغناية الهيبة دائمة بذريعتها ، حيث باركها عز وجل ، وجعلها وأبناها آية للمؤمنين . وكانت مباركة في بيت زكريا عليه السلام حين كانت سببا لإشارة الله تعالى له بالوليد الصالح الحصور يحيى عليه السلام .

وقد ورد ذكر اسم مريم في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة ، وفي ذلك ما يدل على مكانتها وعلو شأنها في النساء . وفي كثير من تلك الآيات التي ورد ذكر اسمها فيها اقترن اسمها باسم المسيح عليه السلام ولم يأت استقلالاً إلا في أحد عشر موضعاً منها .

وبالإضافة إلى ذلك فقد ورد ذكرها في ستة مواضع مضافة إلى المسيح أما بكلمة : " أم " وأما بكلمة : " والدة " فيكون المجموع نحو أربعين مرة . وقد سميت سورة في القرآن بسورة مريم .

ولعلو مكانة مريم ، لمن الله عز وجل اليهود الذين قالوا عليها بهتاناً عظيماً فقال تعالى بعد أن ذكر بعض الأسباب التي لمن من أجلها اليهود :

(وكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) (٣)

تلك هي الشجرة المباركة لنسب المسيح التي أعطت ثمرة يانعة طيبة ، وهي الشجرة التي انحدر منها من قبل أولئك الرسل الكرام من بني إسرائيل ومن هذه الشجرة كان

(١) المائدة ٧٥

(٢) التحريم ١٢

(٣) النساء ١٥٦ .

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم • اذ يلتقى النبيان الكريمان : محمد
صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام في نسبهما بأبي الأنبياء ابراهيم عليه
السلام • لأن محمدا صلوات الله وسلامه عليه من أولاد اسماعيل ابن ابراهيم
عليهما السلام • وعيسى من أولاد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة
والسلام •

ولهذا يقول عز وجل بعد أن ذكر اصطفاه لادم ونوح وآل ابراهيم
وآل عمران على العالمين (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (١)

بشارة مريم بحمل المسيح عليه السلام

لما بلغت مريم مبلغ النساء في طاعة الله عز وجل ، بشرها الله عز وجل بواسطة الملائكة بولد اسمه المسيح . فمسي ابن مريم !

(اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين) ولم يكن من الشك في ان يكون لها ولد وهي عذراء لم يمسه بشرا فاستغربت من ذلك وقالت :

(قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) (٢) !

وتحققت هذه البشارة حينما جاءها جبريل في الجانب الشرقى من أهلها بعد ان اعتزلت الناس ، ولما شاهدته على الهيئة الانسانية الكاملة ، تعوذت بالله منه ظنا منها انسه انسان يريد بها سوءا ، فطمأنها الملك بانه رسول من قبل الله عز وجل جاء بأمره ليهب لها ولدا زكيا . وفي ذلك يقول تعالى :

(واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت نكيا قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجملة آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا) (٣) .

ذلك امر قد قدره الله عز وجل وكتبه فى الأزل فلا بد من تحقيقه ونفوقه اذ لا اراد لقضاء الله وقدره ولا معقب لحكمه مهما كان مستغبرا ومخالفا للسنن الكونية التى ألهمها الناس ، والله عز وجل هو المتصرف فى خلقه ، وهو الذى سن السنن وله أن يخرقها متى شاء وكيف شاء على أى وجه شاء .

ولما أيقنت مريم أن الله عز وجل أراد أن يخرق السنن البشرية بحملها من غير أن يمسه بشرا ، استسلمت لما أراد الله عز وجل . فكان ما أراد الله عز وجل .

(١) آل عمران ٤٥ - ٤٦

(٢) آل عمران ٤٧

(٣) مريم ١٦ - ٢١

حصول المسيح عليه السلام

ومعد تلك البشارة الملكية لمريم وما جرى بينها وبين ذلك الملك ، نفخ الله عز وجل فيها من روحه فحملت بمحيى عليه السلام ولما شمرت بالحمل ، اهتمدت عن أهلها خشية أن تشتم بالعار ، ويقول الله تعالى في بيان ذلك : (فحملته فانشدت به مكانا قصيا) (١)

والقرآن الكريم لم يبين لنا كم كانت مدة الحمل ، وكانت المدة المعتادة ، أم دون ذلك . ومع أن الأقوال مختلفة في ذلك ، فإن أقربها إلى الصواب هو كون مدة الحمل تسعة أشهر كالعادة ، وذلك لأن ذكر القرآن مقتصر على الحمل والولادة من غير إشارة إلى مدة الحمل ، ولو كانت المدة غير معتادة لذكرها القرآن ، وما دام القرآن قد سكت عن ذلك والعادة قد جرت بأن تكون غالبا مدة الحمل تسعة أشهر ، فلا داعي للقول بخلافه . (٢) وقول اليهود لمريم : " يا مريم لقد اجئت شيئا فريا " يدل على أن فترة الحمل فترة معتادة ، ذلك لأنها لو حملت فوضعت في الحال لما كان مجال لأن تشتم ، لأن امرأة لم تعرف بأنها حامل - بغض النظر عن كونها عذراء - لو خرجت من دار أهلها فمادت بمد لحظة تحمل ولدا ، لم يتهمها أحد بالسوء بل يقال لها فقط من أين أتيت بهذا الولد ؟ والذي حصل لمريم حسب ما يبدو من ظاهر النصوص هو أنها حملت زمنا معلوما ثم وضعت ولما وجد اليهود ذلك ، قالوا عليها ما قالوا . ولو كان الحمل والولادة وقعا في زمن متقارب لمرفوا أن ذلك إنما حصل بأمر خارق للعادة خارج عن ارادة مريم .

وأما الروح الذي أرسله الله إلى مريم وذكره بقوله : (فأرسلنا إليها روحنا) فهو جبريل عليه السلام الذي ظهر لها إنسانا مستوى الخلق ، وشرها بما أراد الله أن يهب لها .

يقول الشيخ محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره :

" فأرسلنا إليها روحنا " أي جبريل المنسوب إلى مقام عظمتنا لغاية كماله لينفخ فيها " فتمثل لها " أي فتصور لرؤيتها " بشرا سويا " أي سوى الخلق ، كامل الصورة " (٣) ويقول الشوكاني في فتح القدير :

" فأرسلنا إليها روحنا " هو جبريل عليه السلام . وقيل هو روح عيسى لأن سبحانه الله خلق الأرواح قبل الأجساد . والأول أولى لقوله (فتمثل لها بشرا سويا)

(١) مريم ٢٢

(٢) ومن ذهب إلى الرأي المخالف الدكتور محمود بن الشريف في كتابه " الإديبان في القرآن " (٣) تفسير القاسمي " محاسن التأويل ج ١ ص ١٣١ . ٤١

أى تمس جبريل لها بشرا مستوى الخلق لم يفقد من تموت بنى آدم شيئا * (١)
 ويغضد هذا المعنى ما ورد فى انجيل لوقا اذ يقول كاتبه :
 وفى الشهر السادس (٢) أرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل
 اسمها ناصرة الى عفرأ مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم
 فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنيعة عليها . الرب معك مباركة أنت
 فى النساء . فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية
 فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت
 ستحملين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا
 لست أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العليسى
 تظلك (٣) .

وكما يظهر من هذا النص ، فإن المعنى الذى دل عليه ، يتفق مع ما دل عليه
 النص القرآنى الذى ذكر بشارة الملك لمريم بحمل المسيح ، حيث ذكر أن مريم استعازت
 بالله من الملك وأنه طمأنها وبشرها ، وأنها استغربت واستفسرت كيف يكون لها
 غلام وهى عذراء عفيفة لم تعرف رجلا فأجابها الملك مبينا لها أن ذلك داخل
 فى قدرة الله عز وجل ، وأنه آية من آياته حيث قدر إيجاد المسيح من
 أنثى بلا ذكر وقدر من قبله إيجاد آدم بلا أب ولا أم وعلى غير مثال سابق
 وخلق منه حواء بلا أم وعلى غير سنن التوالد البشرى .

(١) فتح القدير ج ٣ ص ٣٢٧ .
 (٢) الشهر السادس هنا : أى من حمل امرأة زكريا بيهيى عليه السلام .
 (٣) لوقا ١ : ٢٦-٣٥ .

مولد المسيح عليه السلام

لما حملت مريم بالمسيح عليه السلام وابشعدت عن أهلها الى الموضع الشرقي من بيت المقدس ، حانت ساعة الولادة فألجأها الطلق الى جذع النخلة ، وهناك تمت مريم لوأنها ماتت قبل أن تحمل وأصبحت هيئتها لا شأن له وذلك لان الولادة لا يمكن اخفاؤها بخلاف الحمل فانه من الممكن اخفاؤه .

فحملته فانتبهت به فكانت قصيا ، فأجاءها المخاض الى جذع النخلة ، قالست ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا نسيا (١) .

وأظهرت مريم بهذا التمنى الضعف الانساني أمام قالة السوء مع ايمانها بأنها بريئة مما قد يقال لها وأن الله تعالى لم يرد بها الا خيرا .

يقول القاسم : " وانما قالت ذلك ، لما عرفت أنها ستبلى وتمتحن بهذا المولود فالذى لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ، فلهذا فرط الحياء وخوف اللاتمة اذا يهتوها وهى عارفة ببرائة الساحة ، وضد ما قرفت به ، من اختصاص الله اياها بخاتمة الاجلال والاكرام — قال الزمخشري — لانه مقياس مدح قلما تثبت عليه الاقدام ، أن تمرر اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر ، تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ، ثم تراه عند الناس لجهلهم به عينا يعاب به ويحتف بسببه " (٢) .

ولما أظهرت مريم حزنها وأسفها وقالت ما قالت ، ناداها جبريل عليه السلام آمرا اياها بعدم الحزن ، وببشرائها بما من الله به عليها من نبيح ما يجسرى تحتها ونخلة مثمرة فوقها ، وأرعداها الى أن تهز جذع النخلة وتجذبها نحوها ليتناثر عليها الرطب ، الذى يعتبر أجود غذا للمرضع ، كما أرشدها الملك الى الطمانينة وملازمة الصمت وعدم الاجابة على ما سيقال لها من البشر . يقسول الله تعالى فى ذلك :

(فنادها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) (٣)

ولما تم وضعها عادت الى قومها وهى تحمل وليدها عيسى عليه السلام . ولما شاهدوا الطفل فى يدها أخذتهم الدهشة ، ورموها بالسوء وقالوا لها : لقد جئت بأمر بديع .

(فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغينى) (١)

انه لما يستغرب حقا ، أن تأتى عذراء معروفة بصلاحها وثقواها ، ومنتسبة الى أبوين صالحين وهى تحمل فى يديها ولدا . وهذا الامر العجيب تبعه أمر أعجب منه لم يكن فى الحسبان . وهو تكلم الطفل وهو فى المهد ، وذلك حينما خاطب القوم مريم وقالوا لها ما قالوا ، ولزمت الصمت ، لأنها نذرت أن لا تكلم أحدا ، كما أرشد ها الملك الى ذلك من قبل ، واكتفت عن الكلام بالاشارة الى ابنها ليسألوه . الا أنهم استنكروا ذلك لما جرت به العادة من عدم قسودة الأطفال على التكلم .

(فأشارت اليه قالوا كيف تكلم من كان فى المهد صبيا) (٢) .

وما أن قالوا هذا الكلام لمريم حتى بادروهم الصبي بقوله :

(.. انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ورا بوالدى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) (٣)

فنطق الصبي بالحق واعترف بمبوديته لله عز وجل قبل أى شئ . وذكر أنسه نبى آتاه الله الكتاب فى سابق علمه ، وجعله كثير النفع أينما حل ، وأمره بطاعته والاستقامة عليها حتى يتوفاه الله كما جملة بارا ومطيما لوالدته ، غير متكبر ولا عاصى ، وان الله عز وجل ، كتب له السلامه من كل سوء ، حيث لم يضره شيطان عند ولادته ، ولا يضره كذلك عند وفاته ، كما لم يضره كيد الاعداء مدة حياته بين معارضيه ، الى أن رفعه الله اليه وكذلك عندما يبعثه الله فى القيامة حيا .

هكذا نطق الصبي فى المهد ، وكلم الناس بالحق الذى أنطقه الله به ، غير أن كلامه هذا لم يجد آذانا صاغية ، حيث عابه اليهود ، وغلا فيه النصارى حتى اعتقدوا فيه الألوهية .

نشأة المسيح عليه السلام

ان القرآن الكريم لم يتعرض فيما قصه علينا من أخبار المسيح عليه السلام —
لكيفية نشأته وحياته الأولى بعد ولادته وقبل البعثة • ولعل ذلك راجع الى أن الفترة
الواقعة ما بين المجاهرة بالدعوة وما بين الولادة ، فترة غير ذات شأن في الدين.

وسنة القرآن الكريم فيما يقصه علينا من قصص الأنبياء ، هي توضيح ما يتصل
برسالتهم ، وما جرى بينهم وبين أممهم من اختلاف ، وما ترتب على ذلك من هلاك
المعاندين ، وما من اللجوء على رسله والمؤمنين بهم من النصرة والنجاة من كيد الكفار
ولهذا لم يرد في كتاب الله تعالى ما يتعلق بحياة الرسل الخاصة ، اللهم
الا ما كان له أثر في حياتهم الأولى ونشأتهم السابقة على الرسالة ، فقد قصه القرآن
الكريم ، وذلك قصة موسى مع فرعون ، وقصة يوسف مع اخوته •

من أجل ذلك ، لم يأت في القرآن الكريم ما يتصل بحياة المسيح ونشأته • وكل
ما ورد عنه في كتاب الله تعالى يتلخص في قصة حملته ، وولادته ، ثم رسالته ،
وما جرى بينه وبين بني اسرائيل ، ثم في تنفيذه ما يعتقد النصارى من الوهيته
أو بنوته ونحو ذلك •

ولهذا ، فليس من الممكن أن نأتى بشئ يتعلق بحياة عيسى ابن مريم عليه السلام
قبل دعوته لبني اسرائيل من القرآن الكريم •

صفات المسيح عليه السلام

وصف الكتاب المزيّز عيسى ابن مريم عليه السلام بصفات حميدة مثله في ذلك كمثل الأنبياء الكرام الذين ورد ذكرهم في كتاب الله تعالى .

وسأ أننا قد تبيننا صفات المسيح في عقيدة المسيحيين فيما سبق من الأبواب فأننا نستعرض هنا ما ورد في القرآن الكريم من صفاته علنا نرى الاهد الشاسع بين العقيدة المسيحية والعقيدة الاسلامية في نبى الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام الذى يرى النصارى الوهيته ، ويؤمن المسلمون بنبوته وهدويته لله وشرعته المحضة .

صفات المسيح الواردة في القرآن الكريم واضحة جليسة تبين شخصيته بياناً يدركه العقل اللسانى بسهولة وسر ، وفيما يأتى نستعرض تلك الصفات فنقول :
١- من صفات المسيح المتكرر ذكرها في القرآن الكريم : البشرية المحضة ، ولعلها أكثر الصفات وروداً في كتاب الله تعالى .

ومن أدلتها ما ورد فيه ذكر عيسى عليه السلام مطعها الى أمه مريم امما بلفظ عيسى ابن مريم أو بلفظ المسيح ابن مريم أو بلفظ ابن مريم ، وقد بلغ مجسوع ما ورد من هذه الألفاظ خمسة وعشرين لفظاً في احدى عشرة سورة من القرآن الكريم .

وفي هذا دليل على أن المسيح بشر رغم ولادته من أنثى بلا ذكر ، وأنه ينتسب الى أمه فقط . ولذلك أكثر القرآن الكريم من نسبة المسيح الى أمه في كثير من آياته التى ورد فيها ذكره وهذه لغتة الهية الى أن المسيح ابن مريم فقط ، وأنه بشر خصه الله بتلك الخلقة الفرية حيث أوجده من أم عذراء من غير أب .

ومن أدلتها أيضاً قوله عز وجل : (يا مسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ٠٠٠٠ الآية) (١)

فذكر الله عز وجل أنه ابن مريم ، ومريم بشر باتفاق ، فابنيتها مثلها وأنه كان وأمه يأكلان الطعام وذلك دليل على بشريته ، لأن الحاجة إلى الطعام من صفات المخلوق ، أضف إلى ذلك ما يترتب على أكله من شبع واحتياج إلى إخراج الفضلات ، وهذه إحدى دلائل البشرية التي لا تقدر في مقام الرسالة . ولكنها تنافي الألوهية المنسوبة إلى المسيح عليه السلام .

وقد اتضح لنا من الأناجيل الأربعة كيف كان عيسى ابن مريم يحب أن يسمى نفسه " ابن الانسان " ولعل السر في ذلك هو التشبيه إلى بشريته المحضة . كما هو السر فيما جاء في القرآن الكريم من تكرار نسبته إلى أمه مريم .

٢- ومنها صفة المبودية لله عز وجل :

فقد وردت هذه الصفة في أول كلمة نطق بها عيسى ابن مريم وهو في المهد حين قال : (٠٠ انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) (١) وفي هذا المعنى ما ورد في انجيل يوحنا على لسان المسيح حيث قال لمريم المجدلية : " ٠٠٠ اذهبي الى اخوتي وقولى لهم انى اصعد الى أبى وأبكمهم والهن والهكم " (٢)

فأثبت لله الألوهية ولنفسه المبودية .

وذكر القرآن الكريم أن المسيح لن يأنف أن يكون عبدا لله عز وجل إذ يقول الله عز وجل : (لن يستكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) (٣)

وكذلك أورد الكتاب العزيز ما سيقع من تبرئ المسيح من عبوديه يوم القيامة ، مما يدل على عبوديته لربه عز وجل ، وذلك يوم يسأله الرب قائلا : (يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأبى الهين من دون الله) (٤)

(١) مريم ٣٠

(٢) يوحنا ١٧: ٢٠

(٣) النساء ١٧٢

(٤) المائدة ١١٦

وكان جوابه عليه السلام عن هذا السؤال الذى يوضح الله به عايدى المسيح بقوله : (٠٠٠) سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد (١)

يقول صاحب تفسير المنار : * أى ما قلت لهم فى شأن الإيمان وأصل الدين وأساسه الذى يبنى عليه غيره ، ولا يعتد بغيره دونه ، الا ما أمرتنى بالتزامه اعتقادا وتبليغا ، وهو الا مريد بعبادتك وحدتك مع التصريح بأنك ربي وربهم ، وأننى من عبادك مثلهم ، الا أنك خصصتنى بالرسالة اليهم * (٢)

ومنه قول الله تعالى : (٠٠٠) وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم (٣) . فثبت بهذه الآيات عبودية عيسى ابن مريم لله عز وجل .

٣- ومن صفاته عليه السلام صفات النبوة والرسالة .

وكن واحدة منهما صفة شري يمتاز بها رسل الله وأنبياءه على سائر البشر وليس المسيح عليه السلام غير واحد من أولئك الرسل الذين سبقوه . يقول الله تعالى : (واذا قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعد اسمع أحسدا فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (٤) .

وعليه يدل قول الله عز وجل (صرح له الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . ورسولا الى بنى اسرائيل أنسى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله وأتيتكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) (٥)

فأتيت أنه رسول الله الى بنى اسرائيل جاء بآيات من الله تعالى . وفى سورة مريم ذكر المسيح عليه السلام أنه عبد الله عز وجل آتاه الكتاب وجعله نبيا ، فأعلن بذلك رسالته ونبوته بعد أن أعلن أنه عبد الله عز وجل .

(١) المائدة ١١٦-١١٧ (٢) تفسير المنار ج ٧ ص ٢٦٧

(٣) المائدة ٧٢ (٤) الصف ٦

(٥) آل عمران ٤٨ - ٤٩ .

(قال انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبيا) (١)

وقال تعالى : (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله االه واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً) (٢)

وقال عز من قائل : (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) " ٣ " هذه هى أدلة القرآن الكريم على رسالة المسيح ونبوته • وقد وردت آيات كثيرة فيه تدل على هذا المعنى ، وعلى أنه أحد رسل الله عز وجل •

ومنه قوله عز وجل • (وقفينا على آثارهم بحميس ابن مريم مصدقا لما بين يمين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (٤) • وقوله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات • وآتيناه عيسى ابن مريم الهيئات وأيدناه بسروح القدس) (٥) •

وكل هذه الآيات تدل على نبوة المسيح ورسالته عليه السلام •
٤ - ومن صفاته عليه السلام • أنه كلمة الله •

ومعنى كونه كلمة الله • هو تكونه عليه السلام بكلمة " كن " فقط • من غير أن يكون له أب ومع أن جميع المخلوقات تكونت بكلمة كن • فان تكون المسيح بها فقط مميزة عن غيره حتى لقب بالكلمة التى كون بها • وليس هو عين الكلمة التى تتكون بها الكائنات وقد جاء فى كتاب الله تعالى وصف المسيح بالكلمة فى قوله تعالى :

(انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) (٦) • وقيل معنى الكلمة : البشارة التى جاءت بها الملائكة الى مريم • وقيل المراد بها أنه يوضح ما حرفة اليهود من كلام الله ولذلك وصف بالكلمة • وقيل وصف بالكلمة إشارة الى بشاره الأنبياء به •

والقولان الأولان وجيهان لوضوح معناه • يقول صاحب تفسير المنار :

- | | | |
|------------------|------------------|------------------|
| (١) مريم ٣٠ | (٢) النساء ١٧١ | (٣) المائدة ٧٥ |
| (٤) المائدة ٤٦ | (٥) البقرة ٢٥٣ | (٦) النساء ١٧١ |

" وفي لفظ كلمة أربعة وجوه : أحدها ، أن المراد بالكلمة كلمة التكوين لا كلمة الوحي ذلك لأنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن البارئ عز وجل مما يملأ عقول البشر ، عبر عنه سبحانه بقوله : (٣٦ : ٨٢) إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (فكلمة " كن " هي كلمة التكوين) وههنا يقال ان كل شيء قد خلق بكلمة التكوين ، فلماذا خسر المسيح باطلاق الكلمة عليه ؟ وأجيب عن ذلك بأن الأشياء تنسب في العادة والعرف العام في البشر الى أسبابها ، ولما فقد في تكوين المسيح وخلق أمه به ما جعله الله سببا للملوك ، وهو تلقح من الرجل لما في الرحم البيض التي يتكون منها الجنين أضيف هذا التكوين الى كلمة الله . وأطلقت الكلمة على المكون ايذانا بذلك أو جعل كانه نفس الكلمة مبالغة وهذا هو الوجه المشهور " (١)

ثم ذكر وجهين آخرين وهما القول بأنه أطلق عليه الكلمة لانه بشارة الأنبياء ، والقول بأنه أطلق عليه ذلك لأنه يبين كلام الله الذي حرفه بنو اسرائيل . ثم اورد الوجه الرابع فقال :

" الوجه الرابع أن المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمه ، فقوله : " بكلمة منه " معناه : بخير من عنده أو بشارة ، وهو قول القائل : ألقى الى فلان كلمة سرني بها ، بمعنى أخبرني خيرا فرحت به ، قاله ابن جرير واستشهد له بقوله (وكلمته ألقاها الى مريم) يعني بشري الله مريم بميسى ألقاها اليها . قال : فتأويل القول : وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله ييسرك ببشرى من عنده هي ولد لك اسمه المسيح عيسى ابن مريم . ثم قال مستدلا على هذا ما نصه : " ولذلك قال عز وجل : " اسمه المسيح " فذكره ولم يقل اسمها فيؤنث والكلمة مؤنثة لأن الكلمة غمر مقصود بها قصد الاسم الذي هو بمعنى فلان وانما هي بمعنى البشارة فذكرت كتابتها كما تذكر كتابة الذريرة والدابة والألقاب " (٢) .

وقد ذهبت الى اختيار القولين من الأقوال الأربعة ، نظرا لما يدعسان أدلة أوردها صاحب تفسير المنار ، وليس ببعيد أن يكون المعنيان مرادين بلفظ الكلمة ، بمعنى أنه بهذين الاعتبارين وصف بالكلمة ، وقول القاسم في ذلك : " يا مريم ان الله ييسرك بكلمة منه " أي بمولود يحصل بكلمة منه بلا واسطة أب " (٣)

(١) تفسير المنار ج ٣ ص ٣٠٣ - ٣٠٤

(٢) تفسير المنار ج ٣ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ (٣) تفسير القاسم ج ٤ ص ٨٤٤

٥- ومنها وصفه عليه السلام بأنه روح الله :

ومعنى ذلك أنه روح من الأرواح التى خلقها الله عز وجل . وقوله عز اسمه
فى حقه : " انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه
خبر من قوله تعالى : (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه) (١)

بمعنى أنه سخر للانسان ما فيها جميعا من عنده تبارك وتعالى ، وكذلك
القول فى معنى قوله " وروح منه " أى روح من الأرواح التى خلقها الله من عنده
وعلى ذلك دل قوله تعالى : (والى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجملناها
وابنينا آية للعالمين) (٢)

وقوله : (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) (٣)
قال الامام الشوكانى فى قوله تعالى (وروح منه) :

" قوله : (وروح منه) أى أرسل جبريل فنفخ فى درع مريم فحملت باذن الله ، وهذه
الاضافة للتفضيل وان كان جميع الأرواح من خلقه تعالى " (٤) .

وذكر صاحب تفسير المنار فى معنى الروح أن من معناه : " أنه خلق بنفخ من روح الله
وهو جبريل عليه السلام ، ويوضحه قوله تعالى فى أمه : (٢١ : ٩١ :) والى أحصنت
فرجها فنفخنا فيها من روحنا) وقال تعالى فيها : (١٩ : ١٦ :) فأرسلنا اليها
روحنا فتمثل لها بشرا سويا) كما قال فى خلق الانسان بعد ذكر بدئه من طين
(٢٢ : ٨ :) ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواه ونفخ^{فيه} من روحه وجمعل^ل
لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) (٥) .

٦- ومنها وصفه بأنه وجيه فى الدنيا والآخرة :

وقد جاء ذلك فى قوله تعالى :

(واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم
وجيبها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) (٦) .

الوجيه هو ذو المنزلة والجاه . يقول الامام الشوكانى .
" والوجيه ذو الواجهة : وهى القوة والمنعة ، ووجاهته فى الدنيا النبوة ، وفى
الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة " (٧)

(١) الجاثية ١٣ (٢) الأنبياء ٩١ (٣) التحريم ١٢
(٤) فتح القدير ج ١ ص ٥٤٠ (٥) تفسير المنارج ج ٦ ص ٨٢
(٦) آل عمران ٤٥ (٧) فتح القدير ج ١ ص ٣٤١ .

هذه بعض صفات المسيح الواردة في القرآن الكريم .

وأما كلمة " المسيح " فقد فسرت بعدة معان :

- ١- منها : أنها معرفة من كلمة (مשיحا) العبرانية ومعناها الممسوح بالدهن المقدس
- ٢- ومنها : أنها من المسح لأن المسيح مسح الأرواح بتجواله فيها بلا استئذان .
- ٣- ومنها : أنه سمي بذلك لأنه لا يمسخ ذاك عاهة الا يرى
- ٤- ومنها : لأنه مسح الأخصيين .
- ٥- ومنها : لأن الجمال مسح
- ٦- ومنها : لأن الله مسحه بالطهارة من الذنوب وعلى هذه الأقوال الستة هو فميسل بمعنى مفعول .

٧- ومنها : أن المسيح منتهى الصديق . (١)

وهذه المعاني السبعة التي ذكرها المفسرون من علماء المسلمين على كثرتها فان ستة منها تتفق في أنها مشتقة من المسح الا أن الأولى مشبهة في نظري هو القول الأول وهو أنه سمي مسيحا لأنه مسح للنبوة من قبل الله عز وجل كما كان الأنبياء ومن يشولس المنصب الديني أو الملك يمسحون بالدهن وهو وإن لم يمسح بالفعل بذلك الدهن فقد مسحه الله لمنصب النبوة .

قال القاسم : " قال البقاعي : وأصل هذا الوصف أنه كان في شريعتهم من مسح الامام بدهن القدس كان ظاهرا متأهلا للملك والعلم والولايات الفاضلة بهاركا ، قدل سبحانه على أن عيسى عليه السلام ملازم للبركة النافذة عن المسح وإن لم يمسح " (٢)
والنصارى يذهبون الى هذا المعنى في تفسير كلمة " المسيح " ويؤكدون أنه مأخوذ من كلمة " مשיحا " العبرانية . (٣)

وسمها قيل في هذه الكلمة من معنى ، فانها أصبحت لقبا على عيسى ابن مريم عليه السلام حتى عرف به بين المسلمين الذين آمنوا ببشرته ورسالته ، وبين المسيحيين الذين كفروا برسالته وشريته المحضة ، وزعموا أنه ابن الله وشريكه في الألوهية .

(١) راجع فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٢٤١ ، وتفسير المنار ج ٣ ص ٣٠٥

ومحاسن التأويل للقاسم ج ٤ ص ٨٤٤

(٢) محاسن التأويل ج ٤ ص ٨٤٤

(٣) راجع ألقاب المسيح للقس ميسر عبد النور ص ٣٩ و ٤٢ .

الفصل الثامن

- * دعوة المسيح لبني اسرائيل عليه السلام
 - * الايات التي جرت على يديه
 - * اثر دعوته في بني اسرائيل
-

دعوة عيسى ابن مريم لبني اسرائيل

ذكر القرآن الكريم أن عيسى ابن مريم عليه السلام بعث في بني اسرائيل الذين كثرت فيهم الانحرافات عن منهج التوراة حيث جسدوا على ظواهر الفاظها غير مهتدين بما فيها من هدى ونور أنزل ليهذب النفوس ، وكانت رسالته رسالة اصلاحية لما طرأ على الشريعة الموسوية من التحريف والتجديد من قبل اليهود ، كما كانت رسالته تخفيفا وربما لبعض الاحكام التي شدد الله بها على اليهود بسبب ظلمهم وكفرهم وكثرة عنادهم لرسولهم ، كما ورد ذلك في قوله عز وجل : (فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، ويصدونهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الزنا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) (١)

وجاءهم عيسى ابن مريم داعيا الى التمسك بلب التوراة ، ونقض ما علق بها من غبار القدم . ولم يأتهم بشرع جديد ينسخ شريعة موسى عليه السلام سوى بعض تلك الامور التي وضعها الله عليهم عقابا لهم . ولذلك قال المسيح عليه السلام لبني اسرائيل ، انه جاءهم رسولا عن عند الله بآية تدل على صدقه ومفرا بشريعة موسى عليه السلام . قال تعالى : (. . . وصدقا لما بين يدي من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (٢)

ومتفق هذا مع ما يرويه (متى) على لسان المسيح عليه السلام اذ يقول : " لا تظنوا اني جئت لأنقض التاموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لأكمل ، فاني الحق أقول لكم : الى أن تنزل السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من التاموس حتى يكون الكل ، فمن نقض احدي هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا ، يدعى أصغرى ملكوت الله " (٣)

ويؤكد القرآن الكريم أن عيسى ابن مريم قد نزل عليه كتاب من عند الله

(١) النساء ١٦٠ - ١٦١

(٢) آل عمران ٤٩ - ٥٠

(٣) متى ٥ : ١٧ - ١٩

عز وجل اسمه الانجيل قال تعالى : (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (١)

ولعل في تمسك النصارى بأسفار التوراة (العهد القديم) بجانب العهد الجديد ، دليلا على تبعية رسالة المسيح لرسالة موسى عليهما السلام ، فان المسيحيين لا يزالون يجمعون بين كتب العهد ين في كتاب واحد يسمونه الكتاب المقدس " ويؤمنون بها معا على أساس أن شريعة عيسى امتداد لشريعة موسى ، غير أنهم مع ذلك لم يقيموا وزنا لما في أسفار العهد القديم من دلائل تنطق بوحداية الله تعالى ، وتدل على التوحيد الخالص ، وتدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له .

ودعوة عيسى عليه السلام تشتمل على الايمان بالكتب السابقة ، ومن جاء قبله من الأنبياء ، كما تشتمل على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

(واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة وبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (٢)

وفي تصديقه للتوراة ، تصديق لرسالة موسى ومن قبله من الأنبياء ، لأن الكتب السماوية كلها دعت الى الايمان الجلي بأنبياء الله تعالى ، فان من كذب واحدا منهم فقد كذبهم ذلك لان دعوتهم واحدة ، ومرسلهم واحد .

ومع أنه لم تكن للمسيح رسالة خاصة - كما سبق أن بينا ذلك - فان ما يعرف اليوم باليهودية والمسيحية ديانتان مستقلتان ذلك لان بني اسرائيل لما اختلفوا في شأن دينهم وتقطعوا أمرهم ، جاءهم المسيح ليجمعهم على كلمة الحق فقال لهم : (قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون) (٣)

(١) المائدة ٤٦ (٢) الصف ٦

(٣) الزخرف ٦٣

ولكنهم لم يستجيبوا لدعوته وكفروا به ولم يؤمن به سوى عدد قليل من خواصه الذين انحازوا اليه وإلى ذلك يشير قوله تعالى : (فأمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدتنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) (١)

وهذا الاختلاف أصبحت المسيحية عقيدة مستقلة عن اليهودية ، ثم ابتعدت عن نسخ التوراة بمرور الزمن ، قال تعالى : (فأختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) (٢)

هذه هي دعوة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وذلك هو مذهب رسالته وشرعته التي لم تكن تختلف عن شريعة التوراة ، لولا ما أتى عليها من التحريف الذي غير معالمها ، حتى أصبحت ديانة مقطوعة الصلة عن وحس الله تعالى .

(١) الصف ١٤

(٢) الزغرف ٦٥

الآيات التي أظهرها الله على يد عيسى عليه السلام

لما كانت رسالة المسيح الى قوم أرتو الخصام والجدل والعتاد المتواصل في النفوس ، أيداه الله عز وجل بآيات كثيرة تدل على صدقه في رسالته ، وكانت تلك الآيات من جنس ما كان سائدا في قومه غير أنها ليست مما في استطاعتهم الاتيان به .

يقول ابن كثير : " كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان ، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته ما يناسب أهل زمانه ، وكانوا سحرة أذكيا ، فيمض آيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي اليه ، وهائلوا ما عاينوها من الأسرار الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره الا عن أيدى الله وأجرى الخارق على يديه تصديقا له ، أسلموا سراعا ولم يتلعثوا ، وهكذا عيسى ابن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء فأرسل بمعجزات لا يحيطون بها ولا يهتدون اليها ، وأنسى لحكيم ابراء الاكهم الذي هو أسوأ حالا من الأغنى والأبرص والمجنون ومن به مرض مزمن ، وكيف يتوصل أحد من الخلق الى أن يقيم الميت من قبره ؟ هذا ما يعلم كل أحد (أنه) معجزة (١) دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله ، وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين بعث في زمن الفصحاء البلفاء ، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فلفظه معجز تجدى به الانس والجن أن يأتوا بمثله أو يعشر سور من مثله أو بصورة ، وقطع عليهم بأنهم لا يقدررون لا في الحال ولا في الاستقبال " (٢)

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة في معرض ذكره لمعجزات عيسى ابن مريم عليه السلام : " ٠٠٠ ولقد أيداه الله بمعجزات وان ولادته نفسها معجزة كما جاء في الملل والنحل للشهر سنائي : فقد قال رحمه الله في ذلك : " كانت له

(١) كلمة (أنه) سقطت عن النسخة وأضفتها الى المتن بعد أن وجدت في النص الذي نقله الشيخ أبو زهرة من البداية والنهاية في ص ٢١ من كتابه

" محاضرات في النصرانية " .

(٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٤ .

آيات ظاهرة ، ومينات زاهرة مثل احياء الموتى وابراء الاكمه والأبرص ، ونفـس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه وذلك حصوله من غير تطفة سابقة ، ونطقه من غير تعليم سابق " (١)

ثم ذكر الشيخ أبو زهرة الآيات التي أجراها الله على يد المسيح ، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وعدها خمس آيات وهي تتلخص فيما يأتي : (٢)

١- تصويره عليه السلام من الطين على شكل الطير ، فيكون طيرا بأذن الله بعد أن ينفخ فيه عليه السلام ، والله تعالى هو الخالق في ذلك بقدرته

٢- احياءه للموتى بقدرته الله عز وجل .

٣- ابرأؤه للأكمه والأبرص وهما مريضان تعذر على الطب قديمه وحديثه المشهور على دواء لهما .

٤- انزال المائدة من السماء استجابة لطلب الحواريين الذي أرادوا أن تطمئن قلوبهم وعلموا صدقه .

٥- اخباره عليه السلام بأمور غائبة عن حسه ، فقد كان يخبر تلاميذه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

وهذه الآيات التي لخصها الشيخ أبو زهرة وأشار إليها ابن كثير في البداية والنهاية ، ورد ذكر أربعة منها في قوله تعالى حكاية عن المسيح إذ قال لبنى اسرائيل :

(...) أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بأذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بأذن الله ، وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) (٣)

وذكرت المعجزة الخامسة في قوله تعالى :

(إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها ونظمـثـن قلوبنا ونعلم أن قد صدقنا ونكون عليها من الشاهدين ، قال عيسى ابن مريم :

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٩

(٢) أنظر محاضرات في النصرانية ص ٢٠

(٣) آل عمران ٤٩

اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (١)

هذه هي الآيات الخمس التي أوتيتها عيسى ابن مريم عليه السلام ، وهي التي دعم الله بها رسالته ودلل بها على صدقه في نبوته ، ومع أن ولادته بتلك الطريقة الغريبة ونطقه في المهد يعتبران من آيات الله تعالى ، فانهما غير داخليين في نطاق الآيات التي قصد بها اثبات النبوة وصدق دعوى الرسالة ، لأن ولادته بلا أب قصد به التدليل على قدرة الله عز وجل على التصرف في السنن الكونية المألوفة بخرقها بما شاء من أمور عجيبة ، وكلامه في المهد ، قصد منه تبرئة ساحته أمه مما نسب اليها من قالة السوء . ولهذا الاعتبار لم يذكر الشيخ أبو زهرة هاتين الآيتين في ضمن المعجزات التي أوتيتها عيسى ابن مريم عليه السلام . كما لم يذكرهما الدكتور أحمد شلبي عندما ذكر المعجزات الميسوية الأربعة في كتابه مقارنة الأديان (٢)

وللدكتور أحمد شلبي رأى مخالف لمن يقول ان معجزات عيسى عليه السلام كانت من جنس ما يرب فيه بنو اسرائيل (٣) اذ يقول :

" أكثر معجزات الرسل تأتي من نوع ما اشتهر من الفكر في عهد كل منهم وتكون في مستوى أعلى مما يستطيعه الناس ، فالسحر كان معجزة موسى ، والبلاغة كانت من معجزات محمد ، وانتشار السحر في عهد موسى ، وانتشار البلاغة في عهد محمد ، ولكن هل معنى هذا هو انتشار الطب بين بني اسرائيل في عهد عيسى ؟ لا فان الثابت أن معرفة بني اسرائيل بالطب كانت قليلة حينذاك وقبل ذاك ، حتى لقد كان انتشار الوفا بينهم من أسباب اخراجهم من مصر ، والحقيقة أن معجزات عيسى في صميمها تتسق مع مولده ، فمعجزاته من نوع مولده ترمي الى الناحية الروحية واقامة الدليل على وجود الروح ، تلك التي أنكرها أكثر بني اسرائيل ، فخلق شكلا طير من الطين لا حراك فيه ، ثم النفخ فيه فيتحرك ويطير مع أن مادته لم يزد عليها شي ، معناه أن زيادة جديدة طرأت ، وهذه الزيادة ليست مادية قط ، فلا بد أن تكون روحية ، فجسم الميت الذي لا يتحرك ولا يمشي ، يصبح بعد محاولة عيسى حيا

(١) المائدة ١١٢ - ١١٥

(٢) راجع المسحبة ص ٢٣ وما بعدها .

(٣) ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٤ والشيخ محمد أبو زهرة في " محاضرات في النصرانية ص ٢١ .

واها دون زيادة مادية عليه ، فمعنى ذلك وجود الروح " (١)

ولئن كان ما ذكره الدكتور أحمد شلبي ينطبق على خلق الطير وحياء الموش بأذن الله عز وجل ، فان جانب الإبراء للمرضى ينطبق على التحصن المادي لمن ينكر رسالة المسيح فيكون ذلك من جنس ما برع فيه الناس في عهد المسيح ، وإذا ثبت أن بني إسرائيل لم تكن لهم معرفة بالطب فلا تنكر عليه ذلك ، غير أن عدم معرفتهم بالطب لا يمنع من أن يكون في أوساط بنس إسرائيل من يتقن الطب من الرومان واليونانيين الذين لا ينكر شأنهم في مجال الطب وتفوقهم فيه ، ثم كون بني إسرائيل لا يعرفون الطب عند أقامتهم بمصر لا يكون دليلاً على أنهم لا يعرفونه في عهد المسيح لأن الفترة الفاصلة بين عهد موسى وعهد عيسى فترة طويلة تكفي لأن تتطور خلاله عشرات الأجيال لأنها تعد بنحو ألف سنة . وعليه فلا يمكن أن نتخذ ذلك دليلاً على عدم معرفة بني إسرائيل بالطب في عهد المسيح .

ثم ان قول الدكتور أحمد شلبي : " فالسحر كان معجزة موسى " لا يتفق مع الحق المعلوم من أن أنبياء الله لم يكونوا سحرة قط ، فالسحر كبيرة من الكبائر لا تقع من الأنبياء فكيف يكون معجزة لبني من أنبياء الله تعالى . وموسى عليه السلام هو القاتل لسحرة فرعون حينما ألقا حبالهم وعصيهم : (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون)^(٢) ويقول تعالى على لسانه لهم : (ما جئتم به السحرة ان الله سيظهر ان الله لا يصلح عمل المفسدين) (٣)

وقد سى الله عز وجل ما جاء به موسى آيات بينات ، وشنع مقالة من زعم أنها سحر اذ يقول تعالى :

(فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر غشوى وما معنسا بهذا في آياتنا الأولين) (٤)

ومن أجل هذه الأدلة القرآنية وغيرها ، نرى أن تسمية بعض آيات الأنبياء سحراً ليس الا من قبل معارضيه من الكفار ، ولا ينبغي لمسلم أن يجارهم في ذلك . ولعل ما وقع من الدكتور أحمد شلبي خطأ غير متعمد .

(١) المسيحية ص ٣٤ - ٣٥ (٢) يونس ٧٧
(٣) يونس ٨١ (٤) القصص ٣٦

ثم أن قوله أن بنى اسرائيل أخرجوا من مصر لا انتشار الوفاء فيهم ، لا يتفق مع ما علم من النصوص الاسلامية من أن بنى اسرائيل خرجوا من مصر ، لا بأخراج فرعون بل بأخراج الله لهم على يد موسى عليه السلام مع امتناع فرعون من الموافقة على خروجهم ولم يخرجوا الا بمجبرة . رغم طلب موسى وهارون من فرعون السماح لبنى اسرائيل بالخروج من مصر . وقد جاء ذلك في قوله تعالى : مخاطبا لهما : (فأتياه فقولا أنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعد بهم قد جئتاك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) (١)

ولم يكن المصريون قد أخرجوهم بل كانوا يصخرونهم للعمل ، ويستمبدونهم وكان خروجهم نجاة و خلاصا مما كانوا يقاسونه من العذاب المهيمن كما قال تعالى :

(ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهيمن من فرعون انه كان عاليا مسرفين) (٢)

فتبين لنا من هذه الآيات عدم صحة القول بأنهم أخرجوا من مصر ، ولو كان خروجهم طردا وأبعادا لهم من قبل فرعون ، لما اعتبر بنو اسرائيل يوم خروجهم عيدا يحتفل به الى يومنا هذا وهو عيد الخروج الذى ورد ذكره في سفر الخروج من أسفار العهد القديم ، بقوله : " هي ليلة تحفظ للرب لأخراجه اياهم من أرض مصر هذه الليلة هي للرب ، تحفظ من جميع بنى اسرائيل في أجيالهم " ٣

تلك الآيات البينات هي معجزات عيسى ابن مريم عليه السلام التي أجرى الله عز وجل على يده لتكون علامة مبصرة على صدقه وصحة رسالته الى بنى اسرائيل ، ومع أن تلك الآيات مبصرة تدعو الى التصديق برسالة المسيح وتنطق بصدق دعوتيه فان القلوب القاسية التي تفوق الحجارة في قسوتها ، قد لا تتأثر بها ، ولا تؤمن بمن جرت تلك الآيات على يده . وسيوضح لنا في المبحث الآتى ما كان من بنى اسرائيل تجاه دعوة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

(١) طه ٤٧

(٢) الدخان ٣٠-٣١

(٣) خروج ١٢-٤٢

أثر دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام في بني إسرائيل

انقسم بنو إسرائيل ازاء دعوته الى فئتين ، فئة مؤمنة ، وفئة غير مؤمنة
وهي الغالبية الكاثرة منهم والى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله : (فآمنت
طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) (١)

ولو كانت الآيات وحدها تكفى لدخول الناس في دين الله جميعا ، لكن
ما أوتيته عيسى ابن مريم كافيا لدخول قومه في دعوته من غير أن يتخلف مشهم أحسن
عن الايمان به ، وخاصة ما داموا يتعلقون بدين سماوى جاء المسيح مصدقا لسنة
ولكنهم قوم طال عليهم الأمد ففتت قلوبهم وخرج كثير منهم عن طاعة الله
الى طاعة الاحبار الذين يدعون الى تحريم ما أحله الله وتعليل ما حرّمه الله
عز وجل .

يقول الشيخ محمد أبوزهرة : " بحث عيسى عليه السلام بتلك البينات
وأيد رسالته بتلك المعجزات ، وانها باهرة تخرس الألسنة ، وتقطع الطريرف
على منكرى رسالته ، لو كان الدليل وحده هو الذى يهدى النفوس الضالّة
والقلوب الشاردة ، ولكن القوم الذين بحث فيهم ، كانوا غلاظ الرقاب فساء القلوب
فكانت مهمته شاقة ، فحاول هدايتهم ، لان منهم من علم الديانة رسوما وتقاليد
يتجهون الى المظاهر والاشكال منها ، دون الاتجاه الى لبها وغايتها ، حتى لقد
كان منهم من يحجم عن عمل الخير في يوم السبت زاعما أنه داخل في عموم النهى
عن العمل فيه " (٢) .

بهذه القلوب المتحجرة اصطدمت دعوة المسيح عليه السلام ، ولم يستجيب
له الا طائفة منهم ، والنصوص القرآنية تدل على أن انحراف بني إسرائيل لسم
يقتصر على الناحية السلوكية فحسب ، بل امتد الى صلب العقيدة حيث أشركوا بالله -
تعالى وزعموا أن لله ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وفي ذلك يقول عز وجل
: (وقالت اليهود عزير ابن الله) (٣)

أما من الناحية السلوكية ، فقد كانوا يدعون أنهم شعب الله المختار ، لا يدانيهم
في الشرف غيرهم من البشر ، وزعموا أنهم من المنصر الالهى ، واعتبروا غيرهم من عنصر

الشياطين الذين خلقوا لخدمتهم على الهيئة الانسانية . لقد جاء ذكر هذه المقيدة في كتاب الكنز المرصود بقوله : " وقال الرابي مناحم : " أيها اليهود انكم من بنى البشر لان ارواحكم صدرها روح الله . وأما باقى الأمم فليست كذلك ، لان ارواحهم صدرها الروح النجسة " (١)

وجاء فيه أيضا قوله : " وقال الحاخام " أباريانيل " : المرأة الخيري يهودية هي من الحيوانات . وخلق الله الأجنى على هيئة الانسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم ، لانه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلًا ونهارًا حيوان وهو على صورته الحيوانية ، فلا ، ثم كلا ، فان ذلك مناسب للذوق والانسانية كل المناسبة " (٢)

هذه عقيدة اليهود في غيرهم من البشر ، وهى التى جعلتهم فى ضلال وتبار حتى نكبوا مرات عديدة قيل بعثة المسيح عليه السلام ، غير أنهم لم يتأدبوا ولم يتعظوا بما حصل لهم من ذل وسكنة ، بل يعيدون الكرة كلما سنحت لهم الفرصة بشتى الوسائل ومختلف الحيل ليفسدوا فى الأرض ويستحوذوا على أهلها .

ولهذه الاعتبارات جابها دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام ، لانها تحول بينهم وبين ما يشتهون ، بكبت غرورهم من جهة ، وحملهم على إعادة النظر فى اعتقادهم فى غيرهم من بنى آدم من جهة أخرى . وهذا وذاك ، لم يزدتهم دعا عيسى ابن مريم الا كفرا وعنادا وسخرية بخيرهم من الأمم .

والقرآن الكريم قد أشار الى هذه المقيدة اليهودية فى مواضع من سوره يقول تعالى : (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم يقولون ليس علينا فسى الا ميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٣)

١ / الكنز المرصود فى قواعد التلمود ترجمة الدكتور يوسف حنا نصر الله الطبعة الثانية بيروت ١٣٨٨ هـ ص ٦٨ يعتبر الكتاب ترجمة لكاتبين ألفا بالفرنسية أحدهما لمؤلفه الدكتور روهلنج واسمه : (اليهودى على حساب التلمود) والثانى لمؤلفه الدكتور أشيل لوزان واسمه (تاريخ سورية لسنة ١٨٤٠ م) . وهذا النص مترجم من الكتاب الاول الذى يعتبر كاشفا لما فى التلمود من مضامين وقواعد ومخططات .

٢ / نفس المصدر ص ٦٨ - ٦٩

٣ / آل عمران ٧٥

وقال في موضع آخر حكاية عنهم وعن قلدتهم من النصارى :
(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر من خلق يخقر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير) (١)

يقول صاحب تفسير المنار في تفسير هذه الآية : " أى قل لهم أيها الرسل : إذا كان الأمر كما زعمتم ، فلم يعذبكم الله تعالى بذنوبكم في الدنيا كما تعلمون من تاريخكم الماضي وكما ترون في تاريخكم الحاضر ، ومن هذا العذاب لليهود ما كان من تخريب الوثنيين لمسجدهم الأكبر وبلدهم المرة بعد المرة ومن إزالة ملكهم من الأرض ، وللنصارى ، ما اضطهدهم به الأمم وما فكل به بعضهم ببعض ، وهوسر من تنكيلهم وتنكيل الوثنيين باليهود " (٢)

وهذا الفريق الطاغى من بنى اسرائيل صد عن دعوته ، وأما الفريق المؤمن فقد ذكره القرآن الكريم باسم الحواريين الذين أصبحوا أصحابه وخواصه الذين — يلزمونهم ويهتدون بهديه . وكان عددهم اثني عشر رجلا كما جاء ذلك في كتب النصارى كالأناجيل الأربعة ، وغيرها ، ولما يثب المسيح من ايمان بنى اسرائيل وعلم بكفرهم وكيدهم له ، طلب من ييايمه على الصحة والايمان ، فاستجاب له أولئك نفر من قومه ، وأرادوه ، وأشهدوه على اسلامهم وايمانهم ، فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) (٣)

(١) المائدة ١٨

(٢) تفسير المنار ج ٦ ص ٣١٥

(٣) آل عمران ٥٢ — ٥٣

الفصل الثالث

- * موقف القرآن الكريم من قضية الصلب *
- * نهاية عيسى عليه السلام على الأرض وآراء العلماء في ذلك *
- * ابطال القرآن لمقيدة التليبست *

=

موقف القرآن الكريم من قضية الصلب

لقد اجتمعت الأناجيل الأربعة على أن المسيح عليه السلام قتل صلبا على يد الرومان بوشاية من اليهود . واتضح لنا من خلال استعراضنا لنصوصها المتعلقة بقصة الصلب تباينها وتناقضها في ذلك مع أجماعها كلها على وقوع الصلب . ودرسنا كذلك ما أخبرت به الأناجيل من أحداث متقدمة على الصلب ثم خرجنا من دراستنا لتلك النصوص بالحكم على قصة الصلب وما سبقها من مقومات بأنها قصة مختلفة لم يكن المسيحيون على علم وبقين بوقوعها ، واستأنسنا في ذلك أيضا بما كان سائدا في القرون المسيحية الأولى من اعتقاد لدى بعض الفرق المسيحية ، كفرقة الدوسيت وغيرها ممن يرون أن المسيح لم يصلب وإنما صلب غيره .

وهنا نرى أن القرآن الكريم يؤكد عدم صحة القول بصلب المسيح ، ويوضح أن اليهود والنصارى لم يكونوا على يقين من أمره ، بل شبه لهم ذلك واختلط عليهم الأمر ، وأن الله عز وجل نجى نبيه من مكر الماكرين حين تكلمهم ورفضهم من بينهم ، وطهرهم من جوارهم . ويقول تعالى مهلنا بعض الأمور التي لمسن من أجلها اليهود : (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقنا - بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيم) (١)

والشك المذكور هنا في أمر عيسى ، قد ذكر على لسان المسيح أيضا في خطابه لتلاميذه قائلاً : " كلكم تشكون في هذه الليلة " (٢) ومعنى بالليلة ليلة المؤامرة ، وهذا الشك هو الذي جعلهم يتخبطون في أمرهم .

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي نقلاً عن كتاب السيوف البتارة : " يعلم الواقف على حقائق التاريخ أن مسألة الصلب من أهم المسائل التي ولدت الشقاق والنفرة فيما بين النصارى عموماً ، ونصارى مصر والشام في الأجيال الأولى خصوصاً فانهم كانوا غالباً يرفضون حصول الصلب رفضاً باتاً ، لان بعضهم كان يعتبره اهانة لعرف المسيح ، ونقصاً فاضحاً ، والبعض الآخر كان يحججه

ارتكنا على الأدلة التاريخية • وهؤلاء الجاحدون للصلب طوائف كثيرة منها الساطرنيسيون والمركيون والمبارديسيانيون والتاتيانيسيون والكاربوكراتيون والمانيسيون والبارسكاليولينيون والبوليسيون • اذ كلهم اعتقدوا مع كثيرين غيرهم بأنه لا يمكنهم أن يسلموا بنوع من الانواع أن المسيح سحر فعلا ، أو مات على الصليب حقيقة • حتى استخفوا بالصليب والصلب " (١)

وقال أيضا نقلا عن الميوا دارسيوس ، أحد الأعضاء الانستيودي فرنس في باريس قوله في صفحة ٤٩ من كتابه عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية : " ان القرآن ينفي قتل عيسى و صلبه • ويقول بأنه ألقى شبهه على غيره ، فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه ، وان ما قاله القرآن موجود عند طوائف النصرانية منهم الباسيليديون ، كانوا يعتقدون بخاتمة السخافة ، أن عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب ، ألقى شبهه على سيمون السيرناني ثامما ، والقسيس شبه سيمون عليه ، ثم أخفى نفسه ليضحك استهزا ، على مضطهديه الفالطين ومنهم السيرنيتيون ، فانهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى ، وقد عثر على فصل من كتب الحواريين ، واذا كلامه نفس كلام الباسيليديين وقد صرح انجيل القديس برنابا باسم الذي صلب بدل عيسى فقال : انه يهوذا " (٢)

ونقل عن المؤرخ الميوشاريكار قوله : " ان مسألة صلب المسيح كلها مبتكرة مخترعة لا غير " (٣) ، كما نقل عن المؤرخ الميوا أرست دي بونس الالمانى قوله في كتابه " النصرانية الحقبة " صفحة ١٤٢ ، " ان جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء ، هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شايبه ، من الذين لم يروا المسيح (عليه الصلاة والسلام) ، لا من أصول النصرانية الاصلية " ٣

وهذا يعلم أن ما ذكره القرآن الكريم ، هو الحق الذي تدعمه الأدلة التاريخية وقبله العقل الانساني السليم ، كما يعلم منه أن عقيدة الصلب ليست مما أجمع عليه النصارى في غابر الزمان ، غير أنها أخذت صورة الشرعية بعد انقراض الفرق المسيحية التي كانت تعارض عقيدة الصلب • وكانت آخر فرقة تنكر صلب المسيح طائفة البوجوميل المسيحية التي أطلق

(١) تفسير القاسمي ج ٥ ص ١٦٩١ - ١٦٩٢ •

(٢) نفس المصدر ج ٥ ص ١٦٩٢

(٣) نفس المصدر ج ٥ ص ١٦٩٦ •

المسيحيون عليها اسم الخوارج . وكانت منتشرة في مملكة البوسنة (١) في القرن الثالث عشر الميلادي . وقد تبرضوا من أجل معتقدتهم هذا لكثير من الاضطحان من قبل الكاثوليك الرومان الذين شنوا عليهم حربا مقدسة في سنة ١٢٢١ م بأمر من البابا هتوريوس الثالث ، وفي سنة ١٢٣٨ م بأمر من جريجورى التاسع . وفي سنة ١٢٤٠ م بأمر من انوسنت الرابع وفي سنة ١٣٢٥ م بأمر من البابا جون الثانى والعشرين . وفي سنة ١٣٣٧ م بأمر من بندكت الثانى عشر .

ويقول السير توماس . وارتولد الذى تحدث عن هذه الطائفة بعد أن ذكر دخولهم فى الاسلام : " ولعل السبب فى رضا البرجومييل بالساح لأنفسهم ، أن — ينتظموا فى سلك عامة المسلمين المؤمنين ، راجع الى مواضع كثيرة تشابه فيها عقائدهم الخاصة وببإحدى الاسلام . فقد رفضوا عبادة مريم العذراء ، ونظام التعميد ، وكل صورة من الكهنوت ، وأنكروا الصليب رمزا دينيا وعدوا من عبادة الأصنام — الانحناء أمام الصور الدينية والتماثيل وآثار القديسين ، وكانت بيوت صلواتهم ساذجة خالية من الزينة ، وهذا على خلاف الكنائس الكاثوليكية الرومانية التى تحلت بالزخارف الزاهية . وشاركوا المسلمين فى كراهية النواقيس التى أطلقوا عليها " أبواق الشيطان " واعتقدوا أن المسيح نفسه لم يصلب وإنما حل محله شبح آخره وهم يتفقون فى هذه الناحية فى جانب ما جاء به القرآن " (٢)

ثم ذكر توماس أن هذه الطائفة قد اختفت بعد الفتح التركى للبوسنة فى القرن الخامس عشر الميلادي . وما وجودهم حتى ذلك الحين على اعتقاد عدم صلب المسيح ، الا دليل مقنع على أن اعتقاد صلب المسيح لم يجمع عليه بين المسيحيين بل أن الواقع خلافه ، لأن المخالفين ينفون وقوع الصلب ، ويذكرون أن غيره هو الذى صلب . وذلك كاف فى بطلان مذهبهم ، وفساد معتقدتهم .

(١) مملكة كانت توجد فى شبه جزيرة البلقان فى القرون الوسطى المسيحية .

(٢) الدعوة الى الاسلام ص ٢٢٨ طبع بالقاهرة سنة ١٩٧١ م بمطبعة لجنة التأليف والترجمة .

نهاية عيسى عليه السلام على الأرض وآراء العلماء فيها

لم يختلف الناس في شأن نبي من أنبياء الله تعالى كاختلافهم في أمر عيسى ابن مريم عليه السلام ، اختلف بنو إسرائيل في نبوته ، اذ حظ اليهود من قدره وبالح النصرى في مدحه ، وعلو منزلته عن البشر ، فان المسلمين قد خالفوا اليهود والنصارى في كلا الأمرين . ذلك أنهم قد آمنوا برسالة المسيح . ولكنهم لم يفلحوا في حبه . ورفع منزلته عن البشر . كما خالفوه فيما زعمه الفريقان من أنه قتل صلباً على يد اليهود والرومان ، وانما آمنوا بأن الله تعالى قد أنجى المسيح من كيد الكفار ومكرهم . وأجمعوا على أنه لم يقتل ولم يصلب متمسكين في ذلك بقوله تعالى : (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، والله به من علم الاتباع الظن وما قتلوه يقيناً (١) .

ولكن المسلمين بعد أن اتفقوا على أن المسيح عيسى لم يقتل ولم يصلب — : اختلفوا فيما بينهم في حاله بعد ذلك ، هل رفعه الله تعالى بجسمه حياً الى السماء ، أو أنه أماته ميتة طبيعية ، كغيره من البشر بعد أن استوفى أجله في الدنيا .

فذهب جمهور علماء المسلمين الى أن الله تعالى أنجاه من القتل بأن رفعه الى السماء حياً بجسمه وروحه ، ولا يزال فيها حتى ينزل آخر الزمان في أمّة محمد صلى الله عليه وسلم . يحكم بينهم بشرعة الاسلام ويستدلون على ذلك بنصوص من الكتاب والسنة .

وقالت طائفة من المسلمين : ان الله تعالى نجاه من الموت والقتل على يد اليهود ، ولكنه أماته حتف أنفه ، مثله مثل غيره من بني البشر . وأنه لم يرفع بجسده الى السماء . ولن ينزل في آخر الزمان كما ادعى الجمهور . واستدلوا على رأيهم بآيات من القرآن الكريم . كما ناقشوا أدلة الجمهور . وذكروا أنها لا تدل على معتقدهم . ومن الذين اتفقوا على هذا في تفسير المنار (٢) والشيخ محمود شلتوت في كتابه : الفتاوى (٣) والشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره (٤) .

(١) . سورة النساء ١٥٧ — (٢) تفسير المنار ج ٣ ص ٣١٦ — ٣١٧
(٣) الفتاوى ص ٥٩ — ٨٢ الطبعة الثالثة (٤) تفسير المراغي ج ٣ ص ١٦٩ الطبعة الثالثة ١٢٧٤ م .

والدكتور أحمد شلبى فى مقارنة الأديان (١) ، كما زعم أحمد شلبى أن ذلك هو
معتقد جمهور المسلمين وادعى أن رأى المخالف رأى قلة منهم .

ولكنه لم يوفق فيما حكاه . فان مذهب الجمهور هو رأى الأول ، وأما
المخالفون لرفع السيد المسيح بجسده فهم قلة كما ذكرنا .
أما أدلة الجمهور على رفع عيسى ، فنورد ها فيما يأتى :
الدليل الأول : قوله تعالى بعد أن نفى القتل والصلب عن المسيح : (بل
رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) (٢) وذكر الرفع بعد نفى القتل دليل
على الرفع الجسمانى لا الروحى ، وآخر الآية أيضا يشعر بذلك ، لأن ختمها
بصفتى العزة والحكمة يتلاءم مع ما يفهم من معنى الرفع الجسمانى لا الروحى .
الدليل الثانى : قوله عز وجل : (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم انى متوفيك
ورافعك الى ومطهرتك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى
يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) (٣)
ولهم فى معنى التوفى المذكور فى هذه الآية قولان : الأول أن معناه النوم ،
أى أن الله ألقى عليه النوم ورفعه أثناء نومه ، واستدلوا على هذا المعنى بما
ورد فى القرآن من اطلاق الوفاة على النوم فى قوله : تعالى : (وهو الذى يتوفاكم
بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) (٤) وقوله : (الله يتوفى الأنفس حين موتها
والقى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى
أجل مسمى) (٥) .

والثانى : أن المراد بالتوفى ، الموت ، غير أن تقديم التوفى على الرفع لا
يفهم منه أن عيسى عليه السلام ، توفى ثم رفع ، لان الواو لا تقتضى الترتيب ، كما
لا تقتضى الغورية ، وعليه ، فان المعنى المراد من الآية هو : " أن الله يرفع
نبيه الى السماء ويظهر من كيد الكفار ، ويتوفاه فيما بعد فى آخر الزمان .

(١) المسيحية ص ٣٧ — ٥٢ الطبعة

(٢) النساء ١٥٨

(٣) آل عمران ٥٥

(٤) الانعام ٦٠

(٥) الزمر ٤٢

ويدعم الجمهور مذهبهم بآيتين أخريين وهما : قوله تعالى : (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (١) وقوله : (وانه لملم للساعة فلا تترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) (٢)

فيرى الجمهور أن الضميرين فى الآية الأولى فى قوله (به) و (موته) — يرجعان الى المسيح عليه السلام بمعنى أنه لا يموت المسيح حتى يؤمن به كل أحد من اليهود والنصارى أنه عبد الله ورسوله . وهو اختيار ابن جرير كما حكى عنه الامام الشوكانى ونسبه الى جماعة من السلف وذهب الى أنه هو الظاهر من سياق النص . (٣) وعلى هذا يستند مذهب الجمهور .

وعليه فان العموم المستفاد من الآية لأهل الكتاب مخصوص بالموجودين عند نزول المسيح فى آخر الزمان اذ لو ترك على عمومهم ، لأنفس ايمان اليهود والنصارى جميعا . وهو أمر لم يحصل فوجب تخصيص هذا العموم اذ ان شهادته عليهم يوم القيامة تحتم هذا . لأنه يشهد لهم لو آمنوا به جميعا لاعليهم . (٣)

أما الآية الثانية ، فمعناها ، أن نزول المسيح عليه السلام فى آخر الزمان علامة من علامات الساعة التى يعرف بها قرب قيامها ، وهذا فى رأى الجمهور دليل على حياة المسيح بجسده فى السماء .

ولو اقتصر الجمهور فى استدلالهم على ما ذهبوا اليه على هذه الآيات ، لأمكن أن يقال : ان أدلتهم غير صريحة فى الدلالة على ما قرروه فان المخالفين قد أولوا هذه الآيات بما يشهد لهم لكن الجمهور لم يقتصروا على هذه الآيات ، بل استدلوا بما صح من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : " والذى نفس بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة وأقرأوا ان شئتم (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) " (٤)

(١) النساء ١٥٩

(٢) الزخرف ٦١

(٣) أنسظر فتح القدير ج ١ ص ٥٣٥

(٤) البخارى فى كتاب الأنبياء باب نزول عيسى ابن مريم .

أما الرفع المذكور في آيتي آل عمران والنساء فمعناه عندهم رفع المكانة والقدر - وقالوا ان ذلك خرج بخرج قوله تعالى في حق آدم عليه السلام : (ورفعنساء مكانا عليا) (١) ذلك رأيهم في الآيتين اللتين اعتمد عليهما الجمهور .

وأما آية سورة النساء التي استدل الجمهور على نزول عيسى بها ورد فيها من أنه ما من أحد من أهل الكتاب يدرك نزول المسيح حتى يؤمن أنه عبد الله ورسوله فقد رسوا مذهب الجمهور بناء على أن الضمير يرجع في قوله " قبل موته " إلى أهل الكتاب ، وهذا الاحتمال في نظرهم يضع وجوب الأخذ بمذهب الجمهور .

وأما آية سورة الزخرف فقد تعددت في معناها أقوال المفسرين ، وقد قال بعضهم ان الضمير في قوله : " وانه لعلم للساعة " يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى أن مهجته صلوات الله وسلامه عليه علامة من علامات قرب قيام الساعة ، لأنه نبي آخر الزمان .

وعلى القول بأن الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام ، فإن المفسرين ذكروا معنيين آخرين بجانب المعنى الذي فهمه الجمهور من الآية ، والمعنيان هما :

أنه عليه السلام علامة على امكان البعث الذي ينكره كفار مكة المخاطبون بالآية لوجوده من غير أب .

أو ان احياء الموتى علامة من علامات امكان البعث كذلك : هذه خلاصة آرائهم في الآيات التي استدل بها الجمهور .

أما موقفهم ازاء الأحاديث التي ذكرت نزول المسيح ، فيتلخص في أنهم رأوا - أنها أحاديث احاد لا يمكن أن تثبت بها المقيدة وان صحت ، لأن أحاديث الاحاد توجب العمل لا الاعتقاد ، فالاعتقاد عندهم لا يمكن ثبوته الا بقطع على الثبوت وقطعي الدلالة من النصوص ، والأحاديث الواردة في هذا عندهم لم تصل الى درجة ما يثبت الاعتقاد . (٢) هذه خلاصة ردودهم على مذهب الجمهور .

(١) مريم ٥٧

(٢) انظر تفسير المنارج ٣ ص ٣١٧ وفتاوى الشيخ محمود شلتوت ص ٧٧ - ٨٢

والحق يقال ، ان الآيات التي يستدل بها الجمهور ، لا تخلو مما ذكره المخالفون من احتمالات ، والدليل ذو الاحتمالات ، لا يكون فيصلا في الرأي . غير ان ذكره تعالى للرفع بعد نفي القتل والصلب يجعل القلب يميل الى القول بمذهب الجمهور .

والقول بأن المراد بالرفع الوارد في الآيتين ورفع المكانة ، كالرفع الوارد في شأن ادريس وغيره ، لا يقبله ظاهر النص ، لانه لو كان كذلك ، لما ورد الرفع في آية آل عمران على سبيل الوعد ، لأن رفع المكانة واقع لأنبياء الله لا محالة ، ولا يتقيد ذلك بما بعد وفاتهم ، بل ان درجاتهم رفيعة في مجاهم ومماتهم . ولهذا أخبر الله عز وجل أنه رفع نبيه ادريس مكانا عليا . والمكانة العالية بعد الوفاة ليست من خصائص عيسى عليه السلام ، بل الأبرار من سائر عباد الله ترفع درجاتهم بعد أن يفارقوا هذه الدنيا ، مع تفاوت القدر في ذلك ، ولقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أن عيسى عليه السلام ، ذو مكانة رفيعة في الدنيا والآخرة ، وذلك حين بشرت الملائكة مريم قبل ولادته ، اذ يقول تعالى : (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمع المسيح عيسى ابن مريم وجيهها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) (١) فأثبت أنه رفيع القدر في الدارين ، ذو مكانة عالية عند الله تعالى .

ثم ان المسيح عليه السلام لو مات حتف أنفه كما يقول المخالفون ، لنقلنا ذلك بواسطة الاخباريين ، وهو أمر لم يحصل ، ومن المستبعد أن يموت الله على نبيه عيسى بالامانة أو يتركه لنهاية مجهولة ، وهو الوجه في الدنيا والآخرة .

وأما ردهم للأحاديث الشريفة الدالة على نزول المسيح في آخر الزمان بحجة أنها أحاديث آحاد ، والآحاد ليست مما تثبت به العقيدة ، فأمر غير مقبول لسببين أحدهما : أن هذه الأحاديث ذكر تواترها من يعتمد بعلمه من علماء المسلمين كالحافظ ابن كثير والهام الشوكاني وغيرهما ، فيطلت دعواهم أنها أحاديث آحاد ٢ /

(١) آل عمران ٤٥

(٢) وذكر الشيخ ناصر الدين الألباني ورود هذه الأحاديث بطريق عشرين صحابيا ، وفند الآراء المخالفة في رسالة سماها : " وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين " ص ٣٤ .

والثاني : أننا لا نقبل القاعدة التي استندوا اليها في رفضهم قبول الأحاديث على قرى أنها آحاد تلك القاعدة التي تهدم الشريعة ولا تخدمها . وقولهم انها توجب العمل لا لاعتقاد ، مخالف للشرع ، لان العمل الشرعي السدي يعتمد به ، لا بد أن يبنى على الاعتقاد ، والاعتقاد عماد الامور الشرعية وأساسها سواء كانت تلك الامور اعتقادية نظرية ، أم كانت عملية ، فلا بد من وجوب اعتقاد الواجب منها ليعتمد بها شرعا . وقد بحث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الى اليمن بعقيدة الاسلام ، فأبلغهم بها عن طريق شخص واحد ، وأرسل رسله الى الملوك والامراء يحملون رسائله ، يدعوهم فيها الى الاسلام . والدعوة الى الايمان بوحداية الله تعالى ، والتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، أمر يتعلق بالاعتقاد ، وقد كان يبلغ بها شخصا واحدا هو رسوله صلى الله عليه وسلم الى الملوك .

اذا علم هذا فاننا نرى أن مذهب الجمهور هو الراجح ، وهو الذي يجنب اعتقاده والمسير اليه لظاهر الآيات في ذلك ، ولأن أحاديث نزول عيسى عليه السلام قد صحت وبلغت حد التواتر ، كما نص على ذلك الثقات من العلماء ، ولأن ذلك يدخل تحت القدرة الالهية ، إذ ان الله تعالى قادر على كل شيء ولا يترتب على ثبوت ذلك محال عقلى . ثم ان المخالفين زعموا أن عودة المسيح الى الأرض عقيدة النصرى وأنهم قد استطاعوا بثبوتها في المسلمين ، كما ذكر ذلك الشيخ محمود شلتوت في الفتاوى ونسبه الى الشيخ محمد رشيد رضا (١) وذكر ذلك أيضا الدكتور أحمد شلبي (٢) .

ولكننى أرى أن ما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن عيسى ابن مريم سيكسر الصليب عند نزوله ، يرد هذا الزعم ويبطله لأن النصرى لا يمكن أن يثبتوا في المسلمين ما يناقض معتقدتهم حيث يرون قدسية الصليب واحترامه .

وكذلك ما جاء في الأحاديث من أنه سيحكم بشرعية الاسلام ، يبطل دعواهم ، لأن النصرى لا يرون صحة الاسلام ، فكيف ينشرون بين المسلمين أن الاسلام سيحل عن الاسلام ويحكم به ؟

(١) الفتاوى ص ٨١

(٢) المسيحية ص ٤٧ - ٤٨ .

وقصارى القول ، أن النصارى يرون أن المسيح سيعود إلى الأرض ويستدلون على ذلك ببعض نصوص الأناجيل ، إلا أنهم غير متفقين في تفسير معنى الرجوع أم هو مجيء جسماني حيث يقيم المسيح بين الناس ملكا يحكم بينهم ، أم هو مجيء روحى يفلب على الناس عنده الاتجاه نحو الخير والمحبة ؟ وسيادة الأنجيل عليهم كافة ؟ (١)

وسها يكن من أمر ، فإن من الخطأ القول بأن المسلمين أخذوا هذه العقيدة من النصارى ، وإنما أخذوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صحت بذلك الأحاديث وتواترت .

(١) انظر إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٢٩ — ٥٥٤ .
وحقائق أساسية في الإيمان المسيحى ص ٢٦٢ — ٣١٨ .

ابطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث

لما كان القرآن الكريم كتاباً عزيزاً تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن حكيم خبير وكان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا غاشخ له من بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لما كان القرآن كذلك ، فقد بين للبشر ما يجب عليهم التمسك به من الدين الحق الذي ارتضاه الله لهم جميعاً ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له • وهدم أوكار الشرك ، وأتى على قواعده من أساسها •

ومن بين تلك القواعد الشركية التي هدم القرآن الكريم سرحها ، عقيدة التثليث التي يتمسك بها النصارى على أنها عقيدة سماوية نزلت من عند الله وما هي من عند الله ، وبين كتاباً الله تعالى أن القواعد التي بنى عليها النصارى معتقدهم ، مقتربات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا كان المسيح عليها ولا تركها بين أتباعه •

والأسس التي أوضحها القرآن في نقض عقيدة النصارى تتلخص في أنه نفى أن يكون لله ولد مطلقاً ، ونفى أن يكون له شريك في ألوهيته ، ونفى أن يكون عيسى ابن مريم ابناً له أو شريكاً له ، وأثبت أن الله واحد لا شريك له ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، ووضح النصارى في زعمهم أن المسيح ابن الله أو أن الله مع الله •

يقول الله تعالى في النفي المطلق للشريك والولد : (قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) (١) •

وقال عز وجل : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله • إذا ذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون • عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) (٢) •

وفي النفي الخاص لبثوة المسيح يقول تعالى بعد أن ذكر عبوديته لله ونبوته — وما أعطاه من بركة ، وأوصاه به من طاعته : (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون • ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) (٣) •

(١) سورة الاخلاص

(٢) المؤمنون ٩١ — ٩٢

(٣) مريم ٣٤ — ٣٥

أى أن عيسى ابن مريم عليه السلام — كما أخبر عن نفسه وهو فى المهد — عبد الله ورسوله ، تفضل الله عليه بالنبوة وآتاه الكتاب وباركه وأوصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومرو والدته وجعله لبن الجانب رحيم القلب لا جبارا شقيا . وذلك هو القول الحق الذى نطق به عيسى عليه السلام ، وهو قول يقطع المراء والجدل

ومحمد ما قس الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قصص المسيح من حمل وولادة وما جرى على يديه من معجزات فى بنى اسرائيل ، وما كان منهم من كفر ومكر بنبيه حتى كان من أمر ما كان ، قال مشيرا الى ما سبق من قصصه :
(ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم . ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم — خلقه من تراب . ثم قال له كن فيكون) (١) .

أى أنه فى وجوده بلا أب يماثل آدم عليه السلام فى ذلك لأنه خلق من تراب من غير أب غير أن مماثلته له من جميع الوجوه منعدمة ، لأن آدم عليه السلام خلق أيضا بلا أم . ومن كان كذلك . فهو أخرى بالنبوة من عيسى ابن مريم وهو أمر لم يحتقده أحد مع علم الجميع بأن خلق آدم أكثر غرابة .

يقول ابن كثير فى تفسيره للآية : " (ان مثل عيسى عند الله) فى قدرة الله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم بل (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فالذى خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى ، وان جاز ادعاء النبوة فى عيسى لكونه مخلوقا من غير أب ، فجواز ذلك فى آدم بالطريق الأولى ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل ، فقد عواه فى عيسى أحمد بطلانا ، وأظهر فسادا ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لامن ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ولهذا قال تعالى فى سورة مريم : (ونجمله آية للناس) وقال ههنا : (الحق من ربك فلا تكن من المترين) أى هذا هو القول الحق فى عيسى الذى لا محيد عنه ولا صحيح عنه ، وماذا بعد الحق الا الضلال " (٢)

(١) آل عمران ٥٩

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٦٧ .

ثم يقول تعالى مؤكدا أن ما سبق هو القول الفصل والحق الواجب الاتباع في أمر عيسى عليه السلام " (أن هذا ليس هو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو المميز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالفسدين) (١) .

وقال وهو يدعو النصارى الى التمسك بالحق وعدم الخلو في الدين باعتقاد - الباطل في المسيح عليه السلام : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً) (٢) .

يقول ابن كثير : " ينهى تعالى أهل الكتاب عن الخلو والاطراء وهذا كثير في النصارى فانهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله اياها فنقلوه من حيز النبوة الى أن اتخذوه الهاً من دون الله ، يعبدونه كما يعبدونه " (٣) .

وفي موضع آخر يبين القرآن الكريم بحبارات صريحة كفر النصارى في دعواهم أن المسيح هو الله أو أنه أحد الأقانيم الثلاثة ، فقال : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أأنى يؤفكون ، قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن

(١) آل عمران ٦٢ - ٦٣

(٢) النساء ١٧١ - ١٧٢

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٨٩

سواء السبيل (١)

هكذا يوضح القرآن الكريم كفرهم ويفضح فساد معتقدتهم ، ومخالفته لما دعا به المسيح عليه السلام من عبادة الله قائلاً لهم : " يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار " وتوعدهم الله عز وجل ان استمروا على كفرهم بالعذاب الأليم الذى سيكون عقاباً لهم على ما فرطوا فى جنب الله ، وأكد لهم أن عيسى ما هو الا رسول كسائر رسل الله ، وأنه صديقه وأنهما كانا ياكلان الطعام كسائر البشر لا فرق فى ذلك بينه وبين أمه وأن امتاز عليها بالرسالة فحظه من البشرية كحظ أمه منها ، فالذى يأكل الطعام ، لا يمكن أن يكون الهياً بحال . وذلك لأن الأكل تستدعيه المسخبة والله منزّه عن ذلك ويترتب على تناول الطعام الحاجة الى التخلّى ، وهذا أيضاً لا يليق بحقام الألوهية .

يقول الإمام الشوكانى رحمه الله فى قوله : " ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل " الآية " أى ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وما وقع منه من المعجزات لا يوجب كونه الهياً ، فقد كان لمن قبله من الرسل مثله ، فان الله أحيا المصطفى يد موسى ، وخلق آدم — من غير أب . فكيف جعلتم أحياً عيسى للموتى ووجوده من غير أب يوجب ان كونه الهياً . فان كان كما تزعمون الهياً لذلك ، فمن قبله من الرسل الذين جاءوا بمثل ما جاء به الهية ، وأنتم لا تقولون بذلك " (٢)

وقال صاحب تفسير المنار : " أقام الله تعالى البرهان من حال المسيح وأنه على بطلان كونه الهياً ، وبين ما يشاركه به أشرف البشر من المزية الخاصة ، وما يشاركه به سائر البشر من صفاتهم العامة . وثقى على ذلك بالتمجيب مسن بمد التفاوت ما بين قوة الآيات التى حجهم بها ، وشدة انصرافهم عنها ، ثم لقن نبيه حجة أخرى يوردها فى سياق الإنكار عليهم ، وتبكيتهم على عبادة مالا فائدة فى عبادته فقال : (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا ؟)

أى قل أيها الرسول لهؤلاء النصارى وأمثالهم الذين عبدوا غير الله : أتعبدون من دون الله - أى متجاوزين عبادة الله وحده - ما لا يملك لكم ضرا تخشون أن يعاقبكم به إذا تركتم عبادته ، وترجون أن يدفعه عنكم إذا أنتم عبدتموه ولا يملك لكم نفعا ترجون أن يجزيكم به إذا عبدتموه وتخافون أن يمنعه عنكم إذا كفرتموه ؟ (والله هو السميع العليم) أى والحال أن الله تعالى هو السميع لأدعيتكم وسائر أقوالكم ، العليم بحاجاتكم وسائر أحوالكم ، فلا ينبغي لكم أن تدعوا غيره ، ولا أن تعبدوا سواه " (١)

وفى آية أخرى يقول الحق تبارك وتعالى مبينا كفر النصارى فى معتقدهم ويحدهم عن جادة الحق فيما ارتضوه لأنفسهم سبيلا : (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم - قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، والله ملك السموات والأرض ، وما بينهما يخلق ما يشاء ، والله على كل شئ قدير) (٢)

قال فى تفسير المنار : " أقام الله الحجة على أهل الكتاب كافة ، ثم بين ما كفر به النصارى خاصة ، فقال : " لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم " (٣)

ويقول القاضى عبد الجبار : " أما الكلام عليهم فى التثليث ، فهو أن يقال : أن قولكم ، أنه تعالى جوهر واحد ثلاثة أقانيم ، مناقضة ظاهرة ، لأن قولنا فى الشئ أنه واحد ، يقتضى أنه فى الوجه الذى صار واحدا لا يتجزأ ولا يتبعض وقولنا ، ثلاثة يقتضى أنه متجزئ ، وإذا قلتم ، أنه واحد ثلاثة أقانيم ، كان فى التناقض بمنزلة أن يقال فى الشئ ، أنه موجود معدوم ، أو قديم محدث " (٤)

ويقول القرطبى فى كتابه : الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ردا على أحد النصارى الذى ألف كتابا أسماه : " كتاب تثليث الوجدانية فى معرفة الله " .

(١) تفسير المنار ج ٦ ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

(٢) المائدة ١٧

(٣) تفسير المنار ج ٦ ص ٣٠٧

(٤) شرح الأصول الخمسة طبع بمطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة الطبعة الأولى عام ١٣٨٤ هـ .

يقول ردا عليه : " أما قوله تثليث الوجدانية ، فكلام متناقض لفظا وفاسد معنى . بيان ذلك : أن قوله : تثليث الوجدانية ، كلام مركب من مضاف ومضاف اليه ، ولا يفهم المضاف مالم يفهم المضاف اليه . فأقول لفظ الوجدانية مأخوذ من الوحدة ، ومعناه راجع الى نفى التعدد والكثرة . فهي اذا من أسماء السلوب فاذا وصفنا به موجودا فقد نفينا عنه التعدد والكثرة . والتثليث بمعناه تعدد وكثرة فاذا اضاف هذا القائل التثليث للوحدة ، فكأنه قال تكثير مالا يتكرر ، وتكثير مالا يتكرر باطل بالضرورة فأول كلمة تكلم بها هذا السائل متناقضة وباطلة بالضرورة " (١)

ويقول ابن تيمية في مناقشة النصارى في التثليث : " وقولهم : قال له واحد ، خالى واحد ، هو حق في نفسه ، لكن قد نقضوه بقولهم في عقيدة ايمانهم : (٢) - " نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه ، مساو الأب في الجوهر " فأنبتوا هنا الهين ، ثم أثبتوا روح القدس الهها ثالثا ، وقالوا انه مسجود له ، فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة ، ويقولون : انما ثبت اله واحد ، وهو متناقض ظاهر ، وجميع بين النقيضين : بين الالهيات والنفس . ولهذا قال طائفة من المقلاء : ان عامة مقالات الناس يمكن تصورها ، الا مقالة النصارى ، وذلك ، أن الذين وضعوها ، لم يتصوروا ما قالوا ، بل تكلموا بجمل وجمعوا في كلامهم بين النقيضين . ولهذا قال بعضهم : لو اجتمع عشرين نصارى ، لتفرقوا عن أحد عشر قولا . وقال آخر : لو سألت بعض النصارى ، وامراته وابنه عن توحيدهم ، لقال الرجل قولا ، وامراته قولا آخر ، وابنه قولا ثالثا " (٣)

هذا هو موقف الاسلام من عقيدة التثليث وهذه خلاصة آراء علماء وتلك آيات الله البينات التي هدى قواعد الشرك من أساسها ، ولم تترك للنصارى عذرا . يتمسكون به في عقيدة التثليث التي لم تكن مما أنزل الله على رسله ، ولا مما ارتضاه ديننا لمباداه ، ولكنهم عموا وصموا ، فلم يبصروا الحق البين والبصائر التي أنزلها الله على خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم . لأنهم اتبعوا أهواء أسلافهم الذين قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا عن هدى الله ، وابتعدوا عن سوا السبيل ، فحققت عليهم اللعنة على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

(١) الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣ مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٢٩ توحيد .
(٢) يريد الامانة التي وضعوها في مجمع نيقية (٣) الجواب الصحيح ج ٢ ص ١٥٨ .

الباب الخامس

(المصادر المسيحية في الميزان)

ويتناول البحث فيه الموضوعات الآتية :-

- ١- تمهيد .
- ٢- تعريف بكتاب الأناجيل الأربعة .
- ٣- تاريخ كتابة الأناجيل والخلاف فيه .
- ٤- اللغات التي كتبت بها والتي ترجمت اليها .
- ٥- كتاب الأناجيل الأربعة غير معروفين .
- ٦- تضارب الأناجيل في بعض رواياتها .
- ٧- انجيل برنابا .

" وملاك القول أن ثمة تناقضا كبيرا بين بعض
الأناجيل والبعض الآخر ، وأن فيها نقاطا
تاريخية مشكوكا في صحتها ، وكثيرا من القصص
الباعثة على الريبة ، والشبهة بما يروى عن آلهة
الوثنيين " .

قصة الحضارة ج ١١ ص ٢١٠ .

* تمهيد

ان أية فكرة في العالم تستمد قوتها ما تستند عليه من دلائل ، وان أى دين فيه انما تكون قوته بقوة ما يعتمد عليه من حجج ، وتلك القوة لا يمكن توفرها فـسـي الأدلة الا اذا توفرت فيها الشروط الموجبة للقبول . وتلك الشروط الواجب توفرها ، تتجلى في عدالة روايتها ، واتصافهم بالضبط لمروياتهم ، وسلامتهم من سوء الحفظ والفلط والوهـم من غير أن يتخلل رواياتهم أيما انقطاع ، ومن غير أن يوجد بين مروياتهم أى تناقض في الاخبار عن الأمر الواحد .

وفي دراستنا للمصادر المسيحية هنا ، سنحاول أن نتبين هل كانت هذه الشروط متوفرة فيها أولا ، وذلك بالرجوع الى أقوال العلماء من مؤرخين وغيرهم ، ومنها يمكن الحكم على الديانة المسيحية التي نأمل أن نخرج بها من هذا الباب . غير أن ما سبق عرضه هناك لم يقصد به تقويم المصادر المسيحية . وانما كان لكشف تناقضها بحيث لا يعتمد عليها ، غير أننا نسرى أنه من الصعوبة بمكان أن ندرس هنا المهد القديم والمهد الجديد ، لكثرة أسفارهما ، وتباين آراء العلماء فيها ، وكثرة الكلام حولها . ومن أجل ذلك سنكتفى بدراسة الأناجيل الأربعة التي تعتبر المصود الفقري للأدلة النصرانية ، لتكون هذه الدراسة نماذج يمكن أن تطبق عليها أسفار المهد الجديد .

وسيكون كلامنا في هذا الباب على النحو الآتي :

- أولا : تعريف بكتاب الأناجيل الأربعة .
- ثانيا : تاريخ كتاب الأناجيل والخلاف فيه .
- ثالثا : اللغات التي كتبت بها والتي ترجمت اليها .
- رابعا : كتاب الأناجيل الأربعة غير معروفين .
- خامسا : تضارب الأناجيل في بعض رواياتها .
- سادسا : انجيل برنابا .

١- كتاب الأنجيل الأرمينية

أولا متى .

أورد متى في انجيله ترجمة وجيزة لنفسه ، اذ ذكر أنه كان من جباة الضرائب قبل أن يكون من أتباع المسيح . ويقول في ذلك : " وفيما يسوع مجتاز هناك رأى انسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متى فقال له اتبعنى ، فقام وتبعه " (١)

ويقول مرقس في ذلك " وفيما هو مجتاز رأى لاوى بن حلفى جالسا عند مكان الجباية ، فقال له اتبعنى ، فقام وتبعه " (٢) فسماه مرقس هنا لاوى بن حلفى .

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله : " ولما صعد المسيح الى ربه ، جال متى للتبشير بالمسيحية في بلاد كثيرة ومات في سنة سبعمين ببلاد الحبشة علس اثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة ، وفي رواية ، انه طعن برمح في سنة ٦٢ بالحبشة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعيا للمسيحية مبشرا بها ، فموطن دعايته كما يروى مؤرخو المسيحية " هي الحبشة " (٣) .

ويقول الدكتور احمد شلبي " متى أحد الحواريين الذين سبق أن عددناهم مات سنة ٧٩ ببلاد الحبشة " (٤) وجاء في كتاب " تاريخ الأمة القبطية " أن أهم الجهات التي بشر فيها متى — بلاد العرب ، وإثيوبيا (الحبشة والنوبة) . (٥)

وجاء فيه أيضا : " متى البشير — ويدعى أيضا لاوى بن حلفى من قانا الجليل وهو أحد الرسل الاثنى عشر وكان من المشاركين (جباة المشور) للدولة الرومانية في كفرناحوم من أعمال الجليل بفلسطين وما حولها . وكانت هذه الوظيفة محترقة جسدا من اليهود لأنها من جهة تلجى محترفا الى الظلم . وتشير

(١) متى ٩: ٩ (٢) مرقس ١٤/٢ . (٣) محاضرات في النصرانية ص ٤٢

(٤) المسيحية ص ١٨١

(٥) تاريخ الأمة القبطية ، الحلقة الثانية ، خلاصة تاريخ المسيحية في مصر ص ٤٥
تأليف لجنة التاريخ القبطي طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر عام ١٩٢٥ م

من جهة ثانية الى الخضوع لسيادة أجنبييه ، ولكن السيد المسيح اختاره تلميذا من تلاميذه كما هو مذكور في انجيله (مت ٩: ١) ولما صعد السيد الى السماء جال للتبشير في بلاد كثيرة • ثم انتقل الى النعم في سنة ٧٠ م ببلاد الحبشة • افسر ضرب صبح أنزله به أحد جنود ملك الحبشة • وفي رواية أخرى أنه طعن بريح في سنة ٦٢ ، بعدما قضى نحو ٢٣ سنة مشرا باثيويا كما هو الراجح وكتب انجيله باللغة العبرية " (١)

هذا خلاصة ترجمة متى كما ذكرها هو عن نفسه وكما ذكرها عنه غيره من المسيحيين وغيرهم • وكما هو واضح من هذا النص الأخير ، فان متى أحد الحواريين الاثنى عشر ، الذين رافقوا المسيح وصحبوه طوال دعوته لبني اسرائيل ، غير أننا نجد في كتاب تحفة الأريب قول صاحبه في متى : فأما متى • • • وهو الأول منهم ، فوالله ما أدرك عيسى ولا رآه قط الا في العام الذي رفعه الله فيه الى سمائه • وبعد أن رفع عيسى عليه السلام ، كتب متى الانجيل بخطه في مدينة الاسكندرية ، فأخبر فيه بمولد عيسى عليه السلام ، وما ظهر عند ولادته من المعجائب ، ومخرج أمه الى أرض مصر خائفة من الملك رودس الذي أراد قتله • • • (٢)

وصاحب هذا الكتاب ذكر أنه كان نصرانيا بدرجة قسيس قبل أن يسلم ، وذكر في كتابه سبب اسلامه بالتفصيل ، وهو يرى أن متى ليس من الحواريين الاثنى عشر الوارد ذكرهم في القرآن الكريم (٣) ولعل المؤلف وجد من الأدلة ما سوغ له القول بعدم اعتبار متى من الحواريين ، وهو أمر لا نستطيع الجزم به ، لعدم وقوفنا على ما يدعمه • غير أننا نلاحظ عليه أنه يقول : ان متى ليس من الحواريين الاثنى عشر الوارد ذكرهم في القرآن الكريم ، مع العلم بأن القرآن لم يمد الحواريين ولم يذكر أسماءهم •

(١) تاريخ الامة القبطية الحلقة الثانية ص ٥٢ — ٥٣

(٢) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص ٣٢ — ٣٣

(٣) انظر نفس المصدر ص ٣٢

ثانياً : مرقس أما مرقس ، فلم يكن من الاثنى عشر باتفاق النصارى ، يقول كتاب تاريخ الأمة القبطية في ترجمته " اسم هذا الرسول : يوحنا ، ويلقب بمرقس وهو أحد الانجيليين الاربعة . ولم يكن من الاثنى عشر تلميذاً ، وعليه يدعاه دخلت الديانة المسيحية الى مصر في القرن الأول .

... أصله من اليهود سكان الخمس المدن الغربية وهاجروا الداه ارسطوبولس ، ومرض ، الى فلسطين ، موطن اجدادهما ، وسكنوا اورشليم في وقت ظهور السيد المسيح وكان مرقس من أوائل الذين قبلوا دعوته ، فاصطفاه في جملة التلاميذ رسولاً . وقد أجمعت طائفة الطوائف المسيحية على أن الرب يسوع ، كان يتردد على بيته ، وأنه في هذا البيت أكل القصح مع تلاميذه ، وفي إحدى غرفه ، حمل الروح القدس على التلاميذ يوم الخميس ، وجاء في سفر الاعمال : أن الرسل بعد صعود السيد المسيح ، كانوا يجتمعون في بيته " ١٢/١٢ ع ١

... رافق مرقس بولس الرسول ورنابا خاله الى أنطاكية حوالي سنة ٤٥ م وذهبا معها الى قبرص ، ثم الى بعض جهات في آسيا الصغرى " (١) .

وذكر أن مرقس تركهما وعاد الى اورشليم ، ثم ذهب ثانية مع خاله رنابا الى قبرص وهناك افترقا ، فتوجه مرقس الى شمال أفريقيا وحده ، حيث بشر الخمس المدن الغربية . وفي نحو منتصف القرن الأول توجه الى مصر عن طريق الصحراء الغربية ، ماراً ببعض بلاد الوجه القبلي منها ، فأقام في بابليون ، فبقي بها حتى عام ٥٨ وهناك كتب انجيله باليونانية ، وبعد أن نشر المسيحية في مصر خنق عليه الوثنيون بالاسكندرية ، فقبضوا عليه في عيد القصح سنة ٦٨ م ووضعوا الحبل في عنقه ، فأخذوا يجرونه في المدينة حتى تمزق لحمه ونزف دمه ، ثم سجنوه في المساء ، فعاودوه في اليوم الثاني كذلك حتى مات (٢) .

(١) تاريخ الأمة القبطية ص ٦١ و ٦٣

(٢) انظر نفس الكتاب الصفحات ٦٣ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٧ وانظر كذلك محاضرات في

النصرانية للشيخ محمد أبي زهرة ص ٤٥ - ٤٦ .

وذكر الشيخ محمد أبوزهرة نقلا عن كتاب " مروج الأخبار " في تراجم الأبرار " أن مرقس كان ينكر الوهية المسيح ، وكذلك أستاذه بطرس الحواري (١) ويذكر صاحب تحفة الأريب أن مرقس لم يدرك المسيح ولا رآه ، وأنه تنصّر على يد بطرس الحواري ، فأخذ عنه الاجيل في مائة روم (٢) .

وهذا الذي ذكره صاحب تحفة الأريب لا يتفق مع ما ذكره كثير من النصارى عن مرقس من أنه اعتنق النصرانية على يد المسيح عليه السلام وأنه عليه السلام كان يشرد على بيته ، وقد أكل الفصح في منزله في الليلة الأخيرة ويقول بولس الياس : " ومرقس كان تلميذا لبطرس ، وقد وافقه في معظم أسفاره (٣) وعلى كل ، فليس لنا أن نضيف شيئا الى ترجمة مرقس غير ما علمناه من كتاب المسيحية ، وإذا كان هناك ما نضيفه ، فهو ما ذكر مرقس من أن المسيح أرسل اثنين ممن تلاميذه في اليوم الأول من الفطير الى المدينة ، فأخبرهما أنهما يلاقيان رجلا يحمل جرة ماء ، فأمرهما باتباعه ، وأن يطلبوا منه أن يحد مكانا يأكل المسيح فيه طعام الفصح مع تلاميذه . وهو أمر يدل على أن التلميذين لا يعرفان ذلك الرجل بتلك العلامة ، وهي حمله جرة ماء " .

ثالثا : لوقا : كان لوقا تلميذا لبولس ومرافقا له في رحلاته ، ولم يكن ممن التلاميذ باتفاق المسيحيين .

جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية قوله : " لوقا البشير ولد في أنطاكية ودرس الطب ونجح في ممارسته ، وكان مرافقا لبولس الرسول ، ورافقه في أسفاره وأعماله ، وهو كاتب سفر أعمال الرسل ، ويروى بعضهم أنه استشهد في حكم نيسرون .

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٦

(٢) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص ٣٦

(٣) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٣ .

ويقول بعض آخر: انه انتقل الى النعيم في مدينة بقراس (بيلاد اليونان) سنة ٧٠ م وكتب انجيله باليونانية " (١)

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة بعد أن ذكر اختلاف الناس في أصله وفي مهنته: " ومن هذا يتبين أن الباحثين ليسوا على علم يقيني بمولد وصناعة كاتب هذا الانجيل فمن قائل انه انطاكي ولد بانطاكية ومن قائل انه روماني ولد بإيطاليا ومن قائل انه كان طبيباً ومن قائل انه كان مصوراً وكلهم متفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوار يسه " (٢) .

ويقول الأب بولس الياس اليسوع: " ذكر الطرخ أوسابيوس أن لوقا يعود بأصله الى انطاكية وثقافته الى اليونانية التي كان يتقنها وهذا ما يمكنه من أن يمتحن الطب على ما ذكره بولس الرسول (كولس ٤) . اعتنق المسيحية في أول عهدهما وتلمذ لبولس ورافقه في معظم أسفاره وأخذ عنه وعن برنابا وطرس ويعقوب وغيرهم بعض ما سمعه ورفقه عن المسيح (أعمال ١٨-٢١) " (٣) .

ثم يفترض بولس الياس أن لوقا لقي مزم أم المسيح عليه السلام فخلق منها ما كتبه في الانجيل من عبارة الملك لها . ومولد المسيح . وغير ذلك مما أورده لوقا .

ولكن ذلك مجرد تخمين واقتراض لا يجوز بصحته . والثابت أن لوقا كان تلميذا لبولس وما دام كذلك فإنه استقى معلوماته من بولس الذي علمنا في ترجمته مصدر تعاليمه .

رابعا : يوحنا : وهو أحد الأربعة الذين كتبوا الاناجيل وعرفت بأسمائهم وهو بلا خلاف أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر الذين صحبوا المسيح في جميع جولاته بفلسطين . ويقول كتاب تاريخ الأمة القبطية في ترجمته : " يوحنا البشيرا ولد في بيت صيدا من أعمال الجليل وهو ابن زبدي وسالومة وأخو يعقوب الكيسر

(١) تاريخ الأمة القبطية ص ٥٣

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٤٨

(٣) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٤ - ٢٥ .

وقد كان السيد المسيح يحبه ، حتى انه استودعه والدته وهو فوق الصليب ، وفي
أيام الاضطهادات الأولى نجاه القيصر دومتيانوس الى جزيرة بطمس ، وهنساك
تلقى مناظر الرضا ، ثم عاد الى أفسس ، ليث يبشر بها حتى توفي شيخا ، وكان
في أواخر أيامه قد ضعف حتى عجز عن الوظ ، فلم يجد ما يقوله لسامعيه الا
” ليحب بمضكم بعضا “ ولما أظهر بعض المؤمنين مللهم من تكرار هذه العبارة
قال لهم : ان هذه وصية الرب العظمى اذا أتمناها ، فقد أتمنا كل الوصايا “ ١ ”

ومعلم من ترجمة يوحنا هذه ، أنه مات حتف أنفه بعد سن الشيخوخة ، وهو
الوحيد من بين أصحاب الأناجيل الأربعة في موته موته طبيعية ، بينما مات
كتاب الأناجيل الثلاثة قتلا على يد أعدائهم ، كما سبق ذكر ذلك في تراجمهم .

٢- تاريخ كتابة الانجيل

لقد اتضح لنا من قبل أن المسيحيين لم يكونوا يؤمنون بوجود كتاب نازل على المسيح عيسى ابن مريم اسمه " الانجيل " بل كانوا يعتقدون أنه عليه السلام ، لم يترك في أتباعه سوى تماثيل شفوية سجلها فيما بعد كتاب الانجيل الأربعة في سفر أضيف إلى كل واحد منهم ، وعرف بالانجيل .

وأيضاً لرأى النصارى في هذه المسألة ، نورد ما قاله القس صموئيل مشرقى في هذا الشأن إذ يقول : " ... فالفكرة القائلة بأن يسوع جاء إلى العالم بكتاب أنزل عليه اسمه " الانجيل " فكرة خاطئة لا تطابق الواقع ، والأخرى أن يقال أنه عندما جاء يسوع إلى العالم ، أعطى " الانجيل للناس ، لأن معناه كما سلف القول ، البشرى ، فكان هذا النجى نفسه بكل ما انطوى عليه ، هو البشرى ، أو " الانجيل " (١) .

أما كلمة الانجيل ، فهي يونانية ، ومعناها الحلوان الذى يعطى من جاء ببشارة ، ثم استعملت بمعنى البشارة نفسها . يقول بولس الياس : " تعني كلمة انجيل اليونانية " الحلوان " وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى ، ثم أريد به البشرى عينها . أما السيد المسيح فقد استعملها بمعنى " بشرى الخلاص " التى حملها إلى البشر ، واستعملها الرسل من بعده بالمعنى عينه ، وربما استعملوها أيضاً بمعنى ملخص تعليم المسيح ، أو سيرة حياته وموته ... وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذى يتضمن هذه البشرى . وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم وهكذا نقول : انجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، ولا مشاحة في أن الانجيل انتشر أولاً شفاهاً ثم كتب بعد سنين ذلك لأن المسيح لم يكتب كتاباً هذه البشرى التى طلع بها على العالم ، ولا سيما لأنه هو البشرى مع كميته التى ما أسسها على الانجيل المكتوبة ، وإنما على شخصه الحى ... (٢) ويؤكد القس صموئيل مشرقى هذا المعنى إذ يقول : " الانجيل

(١) مصادر الكتاب المقدس ص ١٩

(٢) يسوع المسيح شخصيته تاملية ص ١٤

كلمة مترجمة عن اللفظة اليونانية " انجيليون " ومعناها : " الخبر الطيب " -
أطلقت حصراً على الأنجيل الأربعة وتوسّع على جميع أسفار العهد الجديد ،
تسمية للكلمة باسم الجزء الأسفري ، لأن بقية هذه الأسفار ، إنما تتعلق بالأنجيل
وترجع إليه ، وهي لذلك ، بحزلة تفسير لما ورد به ... (١)

ولكن الفرق بين كلام الكاتبيين ، بولس وصموئيل ، يبدو في قول الأول ان -
المعنى الأصلي للكلمة الانجيل " الخلقان " وهو ما يعطى من جاء بالبشارة
ثم استعمل بمعنى البشارة فيما بعد . مع قول الثاني ان معناها الخبر الطيب
في الأصل ، ونفس المعنى أطلقت على الأنجيل .

وقد تبين لنا جلياً أن المسيحيين لا يعتقدون بوجود كتاب منزل اسمه الانجيل ،
وذلك إيماناً منهم بالوهمية المسيح ، وأنه هو البشارة عنها ، ومعبارة أوضح انسه
هو الانجيل الذي نزل من السماء لخلاص البشرية .

ويعتقد المسلمون اعتقاداً جازماً ، أن الله عز وجل أنزل على رسوله عيسى
ابن مريم كتاباً اسمه الانجيل ، وذلك إيماناً منهم بالآيات القرآنية التي أكدت
نزول الانجيل على عيسى عليه السلام تأكيداً لا يقبل الجدل أو التأويل . ومن
تلك الآيات قوله تعالى (... نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين
يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل الآيات) (٢)

وقوله عز وجل : " يا أهل الكتاب لم تحتاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة -
والانجيل الا من بعده أفلا تمقلون " (٣) وقوله جل وعلا : (وقفينا على
آثارهم بميسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى
ونور ، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (٤) وسهله
الآيات البينات يتبين ضلال النصارى في دعواهم أن المسيح لم ينزل عليه كتاب

(١) مصادر الكتاب المقدس ص ١٨ ولاحظ أنه ذكر ضمير الأنجيل في مضمين
من النص والأولى أن يؤنث .

(٢) آل عمران ٣ - ٤ (٣) آل عمران ٦٥ (٤) المائدة ٤٦

اسمه الانجيل . وهذا القول منهم في الحقيقة ، دليل على أن النصرانية لم تكن
الا من بنات أفكار من جاء بعد المسيح ، وهم الأحيار والرهبان الذين قال —
الله في حقهم : (اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح
ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) (١)

وهذا رأى الاسلام في الانجيل ، بغض النظر عن أصل الكلمة ومعناها ، وليست
الانجيل في نظر الاسلام والمسلمين سوى كتب موضوعة بعد المسيح تتحدث عن
بعض أخباره ، وأقواله ، وتخلط بذلك كثيرا من الأمور التي ليس لها صلة بالحق
الذي لا يختلف باختلاف الزمان والمكان . ولا باختلاف الرسل الذين تتابعت
بعثاتهم الى البشر على مر المصهور ، وهي الأمور التي تتصل بأصول الديانة .

ولنتقل الى بيان الخلاف حول تاريخ كتابة الانجيل فنقول :

أولا انجيل متى : يقول الأب بولس الياس اليسوعي : " كتب متى انجيله
بالأرامية حوالي سنة ٤٤ هـ لقوم من اليهود المتصرين حديثا ، فأثبت ما شاع
على ألسن الرسل والتلاميذ ، وما عرفه بنفسه من الانجيل الشفهي . لكن النسخ
الأرامية فقدت ، ولم يبق منها سوى ترجمتها اليونانية " (٢)

وجاء في قصة الحضارة لول ديورانت : " وثقول الرواية المأخوذة منها ، أن انجيل
متى من أقدم الانجيل كلها ، ومعتقد إيرينيوس Irenaeus أنه كتب باللغة
المصرية — أي الآرامية ، ولكنه لم يصل إلينا الا باللغة اليونانية
وحتى أكثر العلماء يرجعون به الى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي ٨٥-٩٠م
(٣)
ولست أدري كيف يمكن التوفيق بين هذا التاريخ الذي ذكره (ول ديورانت)

(١) التوبة ٣١

(٢) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢١

(٣) قصة الحضارة ج ١١ قيصر والمسيح ص ٢٠٨ .

لأنجيل متى ، وبين التاريخ الذي ذكره بولس الياس ، والفرق بين التاريخين -
شاسع . والذي لسنائه من خلال دراستنا لمراجعهم ، هو أن متى قد توفي -
بأثيو سنة ٦٧ أو ٦٢ م على خلاف في ذلك ، فكيف يقال أن انجيله يعود
تاريخه إلى الفترة الواقعة بين سنة ٨٥ وسنة ٩٠ ؟ الا على الرأي القائل
أن كاتبه لم يكن متى وإنما أحد تلاميذه كما هو مذكور ذلك في موضعه ان شاء الله
تعالى (١)

وما دنا بصدده الحديث عن تاريخ كتابة هذا الانجيل فاننا نورد ما ذكره
الشيخ محمد أبو زهرة من أنه اختلف في تعيين تاريخ كتابته ، ثم قال
نقلا عن جرجس زهن اللبناني " ما ترجمه عن الفرنسية : " ان متى كتب بشارة
في اورشليم في سنة ٣٩ للمسيح على ما ذهب اليه القديس إيرينيوس " (٢)

ويذكر الدكتور أحمد شلبى أن تاريخ كتابة هذا الانجيل لا يعرف بالضبط (٣)
ويقول عبد الكريم الخطيب : " انجيل متى " وصاحبه الحواري متى ، من تلاميذ
المسيح الاثنى عشر الذين لازموه ، وعاشوا معه ، وقد كتب انجيله باللغة السريانية
بأرض فلسطين ، بعد المسيح بثمانين سنة ، وقد ضاعت النسخة الاصلية ، ولم يبق
منها الا ترجمتها اليونانية . كما تقول بذلك المصادر المسيحية " (٤)

وهنا نصل إلى القول بعدم ثبوت تاريخ متفق عليه لتأليف هذا الانجيل
وكل ما لسنائه خلال دراستنا للمصادر المسيحية ، لا يشفي الفيل ، ولا يفيده
تاريخا محددا لكتابته ، وهذا أمر يدعو إلى القول بأن هذا الانجيل ، قد فقد
أهم مقوماته كمصدر من مصادر الدين المسيحي .

(١) قصة الحضارة ج ١١ قيصر والمسيح ص ٢٠٨

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٤٣

(٣) انظر المسيحية ص ١٨١

(٤) المسيح في القرآن والتوراة والانجيل ص ٨٦ وهذا الكلام يخالف ما جاء من
أن متى مات قبل هذا التاريخ باتفاق ، وأن أغلبية الكتاب ترى أنه كتب بالعبرية
أو الآرامية .

ثانيا : انجيل مرقس :

جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية ، أن مرقس قصد الديار المصرية في منتصف القرن الأول الميلادي ، فاقام ببابلون حتى سنة ٥٨ م . حيث كتب انجيله (١) .
أى قبل أن يقتل بعشر سنوات ، لأنه قتل سنة ٦٨ م ولكن المدة التي كتب فيها انجيله غير معينة بزمان محدود في خلال الثمانى سنوات التي اقامها في مصر ويقول الدكتور أحمد شلبى : " ولا يعرف بالضبط تاريخ تأليف هذا الانجيل " (٢) .
ويستعرض الأب بولس الياس اليسوعى أن مرقس ألف انجيله بين سنة ٦٠ وسنة ٧٠ ويقول ان من المؤكد أنه كتب انجيله قبل سنة ٧٠ (٣) .

ولكن هذا مجرد تخمين ينبذه الاختلاف الواقع في تحديد تاريخ تأليفه وخاصة اذا قارنا بين كلام بولس الياس هذا ، وبين ما جاء في تاريخ الأمة القبطية من أنه كتب انجيله حينما كان مقيما بمصر من منتصف القرن الأول حتى سنة ٥٨ .
وهذه الاختلافات توضح لنا أن هذا الانجيل ليس له تاريخ يربطه بصاحبه ذلك لان مرقس توفي سنة ٦٨ على ما ذكر في تاريخ الأمة القبطية وسنة ٦٢ على ما ذكره الدكتور أحمد شلبى (٤) .

ويقول ول ديورانت : " ويتفق الناقدون الثقات بوجه عام على أسبقية انجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل وفي تحديد تاريخه بين عامى ٦٥ و ٧٠ م " (٥) .
وهكذا تتضارب الآراء في تحديد تاريخ كتابة انجيل مرقس .
ثالثا : انجيل لوقا :

يقول الشيخ محمد أبوزهرة : " يقول الدكتور بوست في تاريخه : " قد كتب هذا الانجيل قبل خراب اورشليم ، وقبل الاعمال ، ويرجح أنه كتب في قيصرية في فلسطين

- (١) انظر تاريخ الأمة القبطية ص ٦٣ و ٦٤
- (٢) المسيحية ص ١٨١ - ١٨٢
- (٣) انظر يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٣
- (٤) المسيحية ص ١٨١
- (٥) قصة الحضارة - قيصر والمسيح ج ١١ ص ٢٠٨ .

مدة أسرى بولس سنة ٥٨ - ٦٠ من الميلاد ، غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك * ومن هذا يفهم أن يوسف يرجح أنه ألفه بولس حين في الأسر ولكن يحقق العلامة لارون أنه حرر انجيله ، بعد أن حرر مرقس انجيله ، وذلك بعد موت بطرس ، وبولس ، والواقع أن باب الخلاف في تاريخ تدوين هذا الانجيل أو سح من ذلك ، فقد قال هورن : ألف الانجيل الثالث سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ * (١) .

هكذا نجد الأقوال في تاريخ كتابة هذا الانجيل متعددة ومتضاربة . ويرى الأب بولس الياس أن لوقا كتب انجيله قبل سنة ٧٠ وقبل خراب اورشليم بالسذات ممللا استنتاجه هذا بما علل افتراضه من قبل في تاريخ كتابة مرقس لانجيله ، وهو أنه لو كان كتبه بعد ذلك التاريخ ، لوضح مراد المسيح في اخباره عن خراب اورشليم ، وعن نهاية العالم ، والديوثنة الأخيرة مميّزا بينهما وهو أمر لم يفعله لاشتباه الامرين عليه ، وذلك دليل على أن خراب اورشليم لم يقع عند كتابته لانجيله (٤) .

وبح أن الأب بولس أيد وجهة نظره بما سبق ، فإن تحديد السنة التي ألف فيها هذا الانجيل ، أمر غير ميسر انطلاقا مما استدلل به . ويقضى تاريخ هذا السفر مجهولا كتاريخ سابقه : متى ومرقس .

رابعا : انجيل يوحنا :

أما هذا الانجيل ، فهو الانجيل الرابع . وأما تاريخ كتابته ، فيقال انـه كتب خلال سنة ٨٥ و ٩٥ وقد جاء هذا على لسان الأب بولس الياس إذ يقول : " ، وكتب يوحنا انجيله خلال سنة ٨٥ و ٩٥ بناء على طلب المؤمنين الذين التفتوا حوله ، ووقعه باسم التلميذ الذي كان يسوع يحبه اقتداء بالمسيح الذي لقب نفسه ابن الانسان " (٣) .

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٩

(٢) انظر يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٣ و ص ٢٥

(٣) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٢٧

وهذا الكلام ليس فيه تحديد لتاريخ تأليفه بالضبط ومن هنا جاز قول ديورانت أن يقول : وتنزع الدراسات الحديثة إلى تحديد تاريخ الانجيل الرابع بأواخر القرن الأول " (١)

وأواخر القرن الأول التي حدد بها (ول ديورانت) تاريخ انجيل يوحنا غير واضحة أيضا ، لأن أواخر القرن تشتمل على ما بعد الثمانين إلى المئة . وهذا نخلص إلى القول ، بأن الأناجيل الأربعة ، ليس لها تاريخ محدد معروف يعتمد عليه . فقد سبق أن اتضح لنا أن الأقوال في تواريخها متضاربة وليس لواحد منها تاريخ اتفق على اعتباره . ونكتفي هنا بعرض ما ذكره الشيخ رحمه الله الهندي نقلا عن (هورن) الذي قال في المجلد الرابع من تفسيره : " الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ، أيثر وغير معينة ، لا توصلنا إلى أمر معين ، والمشايخ القدماء الأولون ، صدقوا الروايات الواهية وكتبوها ، وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوسهم تعظيما لهم ، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة ، وصلت من كاتب إلى كاتب آخر ، وتحذر تثقيدها بعد انقضاء المدة " . (٢)

ثم نقل عنه قوله أيضا في نفس المجلد : " ألف الانجيل الأول سنة ٣٧ ، أو سنة ٣٨ ، أو سنة ٤١ ، أو سنة ٤٣ ، أو سنة ٤٨ ، أو سنة ٦١ ، أو سنة ٦٢ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميلاد ، وألف الانجيل الثاني سنة ٥٦ ، أو ما بعدها إلى سنة ٦٥ ، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ ، أو سنة ٦٣ ، وألف الانجيل الثالث سنة ٥٣ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ . وألف الانجيل الرابع سنة ٦٨ ، أو سنة ٦٩ ، أو سنة ٧٠ ، أو سنة ٩٧ ، أو سنة ٩٨ من الميلاد " . (٣)

ويقول أيضا : " توجد في زمان تأليف الأربعة روايات واهية ضعيفة بلا سند ، يعلم منها أيضا أنه لا سند عندهم لهذه الكتب " (٤) .

(١) قصة الحضارة — قيصر والمسيح ج ١١ ص ٢٠٩ — ٢١٠

(٢) اظهر الحق ج ١ ص ٧٩

(٣) اظهر الحق ج ١ ص ٨٠

(٤) نفس المصدر والجزء ص ٧٩ .

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة نقلا عن الدكتور بوست : " ان هناك من يقول انه كتب باليونانية ، ثم يرجع أنه ألف باليونانية مخالفا بذلك اجماع مورخينهم " (٤)

وقال صاحب تفسير المنار : قال صاحب ذخيرة الألباب : ان القديس متى كتب انجيله في السنة ٤١ للمسيح ، وباللغة الصنارية في فلسطين وهي العبرانية أو السريانية (ثم قال) : ثم ما علم هذا الانجيل أن ترجم الى اليونانية ، ثم تغلب استعمال الترجمة على الأصل الذي لمعت به أيدي النساخ الابنانيين ، وصحته ، بحيث أضحي ذلك الأصل هاملا بل فقيدا ، وذلك منذ القرن الحادي عشر . أهـ (ثم يقول صاحب المنار) : أقول : يا ليت شمري من هو الذي ترجم انجيل متى باليونانية ، ومن عارض هذه الترجمة على

- (١) أنظر تاريخ الأمة القبطية ص ٥٣
- (٢) انظر يسوع المسيح شخصيته تعالىه ص ٢١
- (٣) راجع محاضرات في النصرانية ص ٤٢ و ٤٣
- (٤) محاضرات في النصرانية ص ٤٤

الأصل قبل أن يثبت في النسخ و نسخوه ، والله أعلم " (١)

هذا ما قيل في الانجيل الاول وهو انجيل متى السجوازي .

أما انجيل مرقس ، فقد قيل انه ألف باليونانية (٢) وليت شعري لماذا ألف باليونانية ، وهو لم يكتبه الا لليهود المختصرين كما يقول غير واحد من المسيحيين مع أن المرقس كتابته باللغة المهرانية التي هي لغة اليهود ؟ وأيضا لا وجود للنسخة الأصلية لهذا السفر ، ولا يعرف ناقله ولا تاريخ نسخه .

وأما الانجيل الثالث ، وهو انجيل لوقا ، فقد كتب باليونانية كذلك ، غير أن النسخة الأصلية له ، لم يعرف أين ذهبت ، ولم يعرف كذلك ناسخها من الأصل ولا تاريخ نسخها .

ومن المختلف فيه كذلك تعيين من كتب له لوقا انجيله ، فقد قيل انه كتب لليونان وقيل غير ذلك . الا أن ما في بدايته من مخاطبته لشخص من عظماء الروم اسمه تافيلس ، يؤيد رأى من قال ، انه كتب للرومان . (٣)

وأما الانجيل الرابع وهو انجيل يوحنا ، فقد قيل انه كتب باللغة اليونانية ، يقول كتاب تاريخ الأمة القبطية في ذلك : " وكتب انجيله ورسائله الثلاث وسفر الرؤيا باللغة اليونانية " (٤)

ويقول (ول ديورانت) : " وقد يبدو من غير المعقول أن يكون كاتب سفر الرؤيا هو نفسه كاتب الانجيل الرابع . ذلك أن سفر الرؤيا سفر يهودي ، وأن الانجيل فلسفة يونانية " (٥) وكونه كتب انجيله باليونانية أمر يدعو الى الشك . لا سيما وهو شيخ قد بلغ من الكبر عتيا عند كتابة الانجيل . أضف الى هذا كونه قد لقي كثيرا من ذكرياته مع المسيح ، ولم يجد ما يقوله للناس غير (ليحب بعضكم بعضا) فكيف استطاع كتابة الانجيل ؟ فسي هذه السن . وذكر الأب بولس الياس السعدي أن قدم نسخة للانجيل يعود تاريخ نسخها الى القرن الرابع الميلادي وهي محفوظة في مكتبة الفاتيكان ، والنسخ الأخرى لهذه الانجيل يقتضي تاريخ نسخها أن يكون بعد القرن الرابع ، وتلك النسخة الفاتيكانية كانت منسوخة باللغة اليونانية وهذا وغيره يتضح لنا أن هذه الانجيل لا يختلف مع غيره من الانجيل الأخرى وعدم عثور النصارى على النسخ الأصلية لها . وأنه فقد صلته بها من القرن الأول حتى القرن الرابع .

ولعل (ول ديورانت) لم يبلغ حينما قال بعد حديثه عن يوحنا وانجيله : " وقصاري القول ان المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم " (٦)

- ١/ تفسير المنارج ج ٦ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ / ٢٠٠ / انظر نفس المرجع ج ٦ ص ٢٩٤
- ٢/ انظر محاضرات في النصرانية ص ٤٩٥٤٨ / ومحاضرات في النصرانية ص ٤٦٠
- ٣/ تاريخ الأمة القبطية ص ٥٤ وانظر تفسير المنارج ج ٦ ص ٢٩٦
- ٤/ قصة الحضارة ج ١١ ص ٢٧٤ / ٦٠ / انظر يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٣١
- ٥/ قصة الحضارة ج ١١ ص ٢٧٦

٤- كتاب الانجيل الاربعة غير معروفين

لقد خالصنا الى القول من قبل ان تاريخ تسجيل هذه الاناجيل غير معروف بالضبط ، ولم نعرض لمناقشة صحة نسبتها لكتابتها الاربعة ، الذين عرفت باسمائهم ، ونرى لزاما علينا هنا ان ننظر في ذلك .

يقول صاحب تفسير المنار : " اختلف علماء الكنيسة ، وعلماء التاريخ في الاناجيل الاربعة التي اعتمدوها في القرن الرابع : من هم الذين كتبوها ؟ ومتى كتبوها ؟ وماى لغة كتبت ؟ وكيف فقدت نسخها الاصلية ؟ كما ينبغي ذلك مفصلا في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى ، وفي غيرها من كتب الدين والتاريخ .

ويقول ول ديورانت : " اما النسخ الاصلية ، فيبدو أنها كتبت بين عامي ٦٠ و ١٢٠ م ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل ولعلها تعرضت أيضا لتعريف مقصود ، يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينشئ اليها الناسح أو أغراضها . والكتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادي ، لا ينقلون قط شيئا عن العهد الجديد ، بل كان ما ينقلونه مأخوذا من العهد القديم ، ولنا نجسد اشارة لانجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ الا في كتاب بيباس Papias ، الذي كتب في عام ١٣٥ ، اذ يقول ان يوحنا الاكبر - وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها - قال ان مرقس ألف انجيله من ذكريات نقلها اليه بطرس " (٢) .

ويقول أيضا في انجيل متى : " وان كان يبدو لنا أنه في هذه الصورة الأخيرة يردد أقوال انجيل مرقس ، وأنه ينقل في أكبر الظن من أخبار يسوع نفسها ، فان النقاد يميلون الى القول بأنه من تأليف أحد أتباع متى ، وليس من أقوال العشائر نفسه . وحتى أكثر العلماء يرجعون به الى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي

(١) تفسير المنار ج ٦ ص ٢٩٢ .

(٢) قصة الحضارة - قيصر والمسيح ج ١١ ص ٢٠٧ .

٨٥ — ٩٠ م * (١)

وهذا تتبدد الثقة بهذا الانجيل الذى لا يعرف كاتبه .

أما انجيل مرقس ، فقد قبل ان كاتبه هو بطرس الحواري عن مرقس ، وليس مرقس هو الذى كتبه ويقول الشيخ محمد أبو زهرة نقلا عن ابن البطريق : " وفي عصر ناريون قيصر ، كتب بطرس رئيس الحواريين ، انجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية ، ونسبه الى مرقس " (ثم يقول الشيخ محمد أبو زهرة) : ونوجه نظر القارئ الى ما قاله ابن البطريق من أن الذى كتب الانجيل هو بطرس عن مرقس ، ونسبه اليه ، فكان بطرس راوى مرقس ، مع أن الاول رئيس الحواريين كما يقول ابن البطريق ، والثاني من تلاميذه ، كما جاء في كتاب مرجع الأخبار في تراجم الأبرار وإذا كان ذلك الانجيل خلاصة علمه بالسيحية ، فإذا رآه عنده استاذ ، فقد روى هذا عن مرقس ما ألقاه عليه وعلمه ، وان ذلك لغريب " (٢)

حقا ان ذلك لغريب ، غير أن هذا غير مستغرب من قوم اتخذوا دينهم أسراراً ورموزاً يتفق بعضها بعضاً ، ورضوا بأن يقولوا بعد ذلك ان عقيدتهم فوق الادراك العقلى للانسان ، متجاهلين بذلك الحكمة الالهية من انزال الكتب وارسال الرسل ، وهى سمادة الناس في الدارين بهدايتهم الى سبيل الرشاد .

وأما انجيل لوقا ! فقد ذكرنا أن كاتبه هو لوقا لاغير ، الا أن لوقا هذا لسم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه ، بل هو تلميذ بولس الذى لسم يكن من تلاميذ المسيح أيضا ، وكما سبق في ترجمة لوقا ، فان شخصيته غير معروفة ، إذ قال الكثيرون انه من انطاكيا ، وقال الدكتور بوست : انه لم يكن انطاكيا ، بل هو ايطالى ولد في رومه ، وأكد أن الذين قالوا انه من انطاكيا ، وهموا نفس ذلك ، لأنه اعتبه عليهم بلوكيوس . (٣)

(١) قصة الحضارة — قيصر والمسيح ج ١١ ص ٢٠٨

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٤٦

(٣) انظر نفس المرجع ص ٤٨

وهذا يتبين أن كاتبة غير متفق على شخصيته . وقد قيل أن كاتبه هو بولس . (١)
وأما انجيل يوحنا ، فحدث عنه ولا حرج . ومع أن جمهور المسيحيين يعتقدون
أن يوحنا الحواري هو الذي كتب هذا الانجيل ، فإن ذلك لم يكن أيضا موضع
اتفاق ، وذلك منذ آخر القرن الثاني ، الميلادى .

يقول أول ديونانت : " . . . وان ما يسطيح به الكتاب من نزعة قريبة من نزعة
القائلين بأن الخلاص لا يكون بالايمان بل بالمعرفة . وما فيه من تأكيد للأراء
الميتافيزيقية ، قد جملا الكثيرين من الباحثين في الدين المسيحى ، يشكسون
في صدق القول بأن واضعه هو الرسول يوحنا . . . " (٢) .

وقال الشيخ محمد أبو زهرة نقلا عن استاد لن قوله : " ان كافة انجيل يوحنا ،
تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية ، ولقد كانت فرقة الوجين في القرن الثاني
تشكر هذا الانجيل وجميعها أسند الى يوحنا . ثم نقل عن دائرة المعارف البريطانية
التي اشترك في تأليفها خمسة من علماء المعارف ما نصه : " أما انجيل يوحنا ،
فانه لا مريسة ولا شك كتاب مزور ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بمضاهية
لبعض ، وهما القديسان ، يوحنا ومثى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن
الكتاب ، أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة
على علانها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ، ووضعت اسمه على الكتاب
نصا ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض
كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وانا لنألف ونشفيق على الذين
يبدلون منتهى جهدهم ليربطوا ، ولربأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفيلسوف السذى
ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني — بالحواري يوحنا الصياد الجليل ، فكان
أعمالهم تضيع عليهم سدى لمخطهم على غير هدى " (٣) .

(١) راجع تفسير المنارج ٦ ص ٢٩٦ .

(٢) قصة الحضارة — قيصر والمسيح ج ١١ ص ٢٠٩ .

(٣) محاضرات في النصرانية ص ٥٠ .

وهذا ندرك أن الأناجيل الأربعة لم يجمع المسيحيون على كتابتها ومؤلفيها
وما دام الأمر كذلك ، فإن حجية هذه الأناجيل غير مقبولة ، وأن الاستدلال
بها مردود . وليس لنا أن نناقش مسألة الإلهام كتابتها ، وعصمتهم من الكسب
والفيلط ، لأنه لا طائل من وراء ذلك ، لأننا خلصنا إلى القول بجهالة مؤلفيها
فالأدوين لم نعرف شخصياتهم ، لا نعرف أحوالهم ، إذ الحكم على الشيء فسرغ
عن تصويره ، وعدم تصور المسيحيين لهويات الكاتبيين يمنعنا من الحكم عليهم ، والحد من
عن عصمتهم وإلهامهم .

ويكفي لإبطال العصمة والإلهام عن ألفهما ، ما فيها من تناقض بين ، ففسس
الأخبار عن المسألة الواحدة .

٥- تضارب الاناجيل في رواياتها

في الباب الأول والثالث ، تبين لنا كيف أن الاناجيل تتضارب وتتناقض في حديثها عن الأسرار الواحدة ، مما يجعل المرء يشك في الحكم بصحتها ، وذلك خلال مناقشتنا لأدلة التلاميذ على مسائل البابين المذكورين ، ومع أن تلك التناقضات تفتى عن إعادة الكلام في ذلك ، فإننا نرى الحوادث عنه هنا مناسبة ، ونحاول أن نعرض نماذج لتلك التناقضات ،

تناقض متى ولوقا في نسب المسيح :

يذكر متى أن المسيح يرجع بنسبه الى سليمان بن داود (١) وأن يوسف الذي تزوج أمه ونسب اليه المسيح ، هو يوسف بن يعقوب بن ماثان (٢) . ويذكر لوقا أنه يرجع الى ناثان بن داود (٣) وأن يوسف الذي ينسب اليه المسيح ، هو يوسف بن هالي بن ماثان (٤) .

فذكر متى أن المسيح ابن سليمان بن داود ، وذكر لوقا أنه ابن ناثان بن داود ، كما ذكر متى أن يوسف بن يعقوب بن ماثان ، وذكر لوقا ، أنه ابن هالي بن ماثان ، فتناقضا في أمر واحد .

تناقضيهما في قصة اعتماد المسيح على يد يوحنا المعمدان :

يقول متى : " فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء ، واذ السموات قد انفتحت له ، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه ، وصوت من السموات قائلا : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت " (٥) ويقول لوقا : " ولما اعتمد جميع الشعب

(١) متى ١: ١٦

(٢) متى ١: ١٥

(٣) لوقا ٣: ٣١

(٤) لوقا ٣: ٢٣-٢٤

(٥) متى ٣: ١٦-١٧

اعتمد يسوع أيضا ، واذ كان يصلى انفتحت السماء ، ونزل عليه الروح القدس بهيئة
جسمية مثل حمامة ، وكان صوت من السماء قائلا : أنت ابني الحبيب بك سررت .

فذكر متى أنه رأى الروح نازلا عليه وهو يخرج من الماء وذكر لوقا أنه نزل
عليه الروح القدس وهو يصلى . فتناقضا أيضا في مسألة واحدة .

تناقض لوقا في حديثه عن السلام :

يقول لوقا عند الحديث عن ميلاد المسيح : " . . . وظهر معه الملاك جبرائيل
من الجنس السماوي مسبحين الله وقائلين : المجد لله في الأعالي وعلى
الأرض السلام ، والناس المسره " (٢) ويقول في موضع آخر على لسان المسيح :
أتظنون أني جئت لأعطى سلاما على الأرض ؟ كلا ، أقول لكم ، بل انقسام ، لأنه
يكون من الآن خمسة في بيت واحد ، متقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة
ينقسم الأب على الابن والابن على الأب ، والأم على البنت ، والبنت على الأم
والحماة على كنبها ، والكنيسة على حوائطها " (٣) ،

فتناقض في حديثه ، اذ ذكر في الأول أن المسيح جاء بالسلام على الأرض ،
ثم ناقض ذلك بذكره أن المسيح لم يأت ليعطى سلاما على الأرض وكأنه قال :
جاء المسيح بالسلام على الأرض ، ولم يأت المسيح بالسلام على الأرض

تناقض مرقس ولوقا في قصة الرجلين المصلوبين مع المسيح في نظرهم :

يقول مرقس : " وصلبوا معه لصين واحد عن يمينه وآخر عن يساره
واللذان صلبا معه كانا يعبراناه " (٤) وكذلك يقول متى (٥) .

(١) لوقا ٣: ٢١-٢٢

(٢) لوقا ١٣: ١٤

(٣) لوقا ١٢: ٥١-٥٣

(٤) مرقس ١٥: ٢٧ و٣٢

(٥) انظر متى ٢٧: ٤٤

أما لوقا ، فيقول : (وكان واحد من المذنبين المملقين يجدف عليه قائلاً :
ان كنت أنت المسيح ، فخلص نفسك وإيانا . فأجاب الآخر وانتهره قائلاً : أولاً —
أنت تخاف الله اذ أنت تحت هذا الحكم بمينه ؟ (١))

فصرح مرقس بأن الرجلين يميزانه ، وذكر لوقا أن أحدهما فقط عبره ، والآخر نهسا
عن ذلك قائلاً : أما تخاف الله ؟ فثبت بهذا تناقضهما .
تناقض في ذكر من حمل صليب المسيح :

يقول لوقا : (ولما مضوا به ، أمسكوا سيمان رجلاً قهراً ، كان آتياً من الحقل ،
وضموا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع (٢)) وهذا يقول متى ومرقس (٣) ولكن
يوحنا يقول : " فآخذوا يسوع وضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له
موضع الجحش (٤) (٥٠٠) (٤) .

فتناقضوا بهذا فيمن حمل الصليب ، حيث ذكر الثلاثة أن الذي حمل الصليب هو
سيمان القيواني ، وذكر يوحنا أن المسيح هو الذي حمل صليبه .
ومن نظر في هذه الأناجيل باعتماد وجد أن التناقض لا يفارقها في كثير من
الأخبار التي تتحدث عنها . وكذلك الكتب النصرانية الأخرى كرسائل الرسل وغيرها ،
ملينة بالتناقض ، وكأنها في ذلك اتخذت التناقض أساساً للمقيدة ، وما يوافق النقل
الصحيح ، والمقل السليم ، لا يثقف مع عقيدتهم هذه .

وهذه الدراسة يتضح لنا من الأناجيل الأربعة عدة أمور :

١ — ان تاريخ تأليفها غير معلوم ٢٠ — ان النسخ الأصلية لها مفقودة .

٢ — ان تاريخ ترجمتها ، وهوية مترجميها غير معلومة .

٣ — ان اللغة الأصلية التي ألقت بها بعضها غير متفق عليها .

٤ — ان كتابها غير هؤلاء الأربعة الذين تنسب اليهم ، وهم مجهولون ، والمجهول
لا تقبل روايته ، وخاصة في مثل هذه المسائل الخطيرة في الدين التي ينبغي

أن يحفاظ لها ، ويحافظ على سلامتها ، وصحة مصدرها .

٥ — انها تناقض في المسألة الواحدة ، تناقضا لا يمكن صدوره عن مصدر يوثق بصدقه
فضلا عن أن يكون صادرا عن معصوم كتب بالهام .

ومن هنا نخلص إلى القول بأن هذه الاسفار الأربعة التي تعتبر عماد المذهب الجديد ،
ليس لها سند يصلها بالمسيح عيسى ابن مريم وفضلا عن ذلك ، ليس لها سند متصل بمن
نسبت اليهم كتابة هذه الأناجيل . ومنه نعلم أن ما يعتمد عليه النصارى في دعم عقيدتهم
أو هن من بيت العنكبوت وأقل من أن يعتمد عليها في اثبات عقيدة دينية ، يؤمن بها
ويعتقدها مجتمع عاقل .

(١) لوقا ٢٣ : ٤٠ — (٢) لوقا ٢٣ : ٢٦ (٣) متى ٢٧ : ٣٢ ومرقس ١٥ : ٢١

(٤) يوحنا ١٩ : ١٦ — ١٧ .

٦- انجيل برنابا

يوجد في هذا العصر انجيل خامس يدعى انجيل برنابا ، غير أن المسيحيين لا يعترفون بشرعيته ، وذلك لعدة أمور :

أولا : انه يهدم العقيدة المسيحية من أساسها بالنكاره ألوهية المسيح وانكاره صليبه وغير ذلك مما يتصل بالعقيدة النصرانية .

ثانيا : انه يؤيد الدين الاسلامي ويعترف برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ثالثا : انه يهاجم بولس الذي شهد صلح المسحية بعد المسيح ، والذي يحتسره -
النصارى صاحب الفضل العظيم بإسمائه في المسيحية .

ولقد ظهر هذا الانجيل لأول مرة سنة ١٧٠٩ م ، وأول من عثر عليه وكريمر
أحد مستشارى ملك بروسيا ، حينما كان مقيما بأستردام ، فأخذ في تلك السنة
من مكتبة أحد وجهائها .

يقول مترجمه الدكتور خليل سمادة في مقدمته : " وأول من عثر على النسخة الإيطالية
من لم يعرف التاريخ أثرهم ولم تدرس الأيام ذكرهم ، هو كريمر ، أحد مستشارى ملك
بروسيا ، وكان مقيما وقتئذ في أستردام ، فأخذها سنة ١٧٠٩ من مكتبة أحد
مشاهير وجهاء المدينة المذكورة " (١) .

وذكر خليل سمادة أن هذه النسخة قد أهديت فيما بعد بأربع سنوات للسيد
البرنس أيوجين سافوى ، ثم انتقلت سنة ١٧٣٨ مع سائر مكتبة الى مكتبة البلاط الملكى
في فيينا ، وهى لا تزال بها حتى الآن . وذكر أنه عثر على نسخة أسبانية في مئتين
واثنين وعشرين فصلا وأربعمائة وعشرين صفحة غير أن محاسنها قد طمست ودرست رسومها
بعد أن ترجمت الى اللغة الانجليزية بواسطة الدكتور منكوس أحد أعضاء كلية الملكسة
في اكسفورد ، وبعد أن سلمها المترجم مع الأصل الى الدكتور هويت أحد مشاهير
الأساتذة آنذاك ، في سنة ١٧٨٤ الذى أخذ شذرات منها وألقاها في بعض
المحاضرات وقد اطلع الدكتور خليل سمادة على تلك الشذرات فوجدها مطابقة للنسخة
الايطالية السابق ذكرها الا في أمرين اثنين ذكرهما (٢) .

وقد وجدوا في مقدمة النسخة الأسبانية التى كتبها فرامينو الراهب اللاتينى ، أنه وجد

(١) مقدمة الدكتور خليل سمادة لانجيل برنابا ص (د) .

(٢) انظر نفس المرجع والصفحة .

رسائل لايريناوس ، ومن بينها رسالة تندد بيولس ، واستند كاتبها في تلخيصه
بيولس على الانجيل القديس برنابا ، ومن هناك ، كان فراميتو شديد الحسرة
على المشور على هذا الانجيل ، وجاءته الفرصة يوماً فكان مقرباً الى البابا سكستس
الخامس ، فدخل معه مكتبته الخاصة ، ففحص النحاس البابا ، وما ان لمس
فراميتو ذلك ، حتى بدأ الاطلاع على الكتب ، فوقع في يده انجيل برناباس
فأخفاه في ملابسه حتى أفاق البابا من غفوته ، فاستأذنه للخروج ، والكتاب
التمين في طيات ملابسه ، فأذن له البابا بالانصراف ، وهو غير عالم بما كان منه ،
ولما خلا الراهب بالكتاب ، قرأه بشغف عظيم ، فاعتق الدين الاسلامي الحنيف .

ثم يورد الدكتور خليل سمان : رأى كاتبين في هذا الانجيل وهما لوتسـدال
ولورارنج ، اللذين ذهبا الى القول بأن هذا الانجيل أحدث نسخه حوالي سنة
١٥٧٥ وأن من المحتمل أن يكون ناسخه هو الراهب فراميتو . (١)

ولقد قيل ان كاتب هذا الانجيل عربي واستدل على ذلك بالتعليقات النجسوة
على هامشه بالعربية ، غير أن ذلك استبعد لركاكة المبارات العربية التي كتب بها
التعليق ، بحيث يقدم المضاف اليه على المضاف وهو أمر لا ينسب الى عربي . وعسـد
ورود ذكر لهذا الانجيل في الكتب الاسلامية ، وكونه وجد في وسط مسيحي
صرف ، يمنع أن يكون كاتبه من المسلمين ثم ان المسلم المخلص لدين الله لا يمكن
أن يخلق هذا الافك ، ومنصر به الاسلام ، أو يكيد به للمسيحية ، لان الاسلام
يحرم الكذب ويعد من الكبائر .

وأما ما قيل من أن مطابقة كثير من معانيه ، النصوص الاسلامية ومبادئها يرجع
أن يكون واضعه أحد المسلمين ، فأمر في غاية البعد ، لأنه يوجد في الاناجيل
الارملة وغيرها بعض ما يتفق مع المبادئ الاسلامية ، فلم يقل أحد أن واضع
الاناجيل الارملة شخص مسلم .

هذا وقد ألفت كتب الرد على هذا الانجيل من قبل المسيحيين ، تقسم بالحدة
والعنف ، وذلك نظراً لخطورته على العقيدة المسيحية ، من بينها " نقد انجيل برنابا "

لكتابه " يسى منصور " الذى استفتح كتابه بالتهم على الراهب فرامرينو متهمين
اياهم بالشهوانية واغتصاب الراهبات مما جعل البابا سكس يسقط حقه فى أن يكون
كرديتالا ، ولفضبه على البابا خرج من المسيحية الى الاسلام انتقاما منه ، على
يد بعض الدراوس من الصوفية المتجولين من الاندلس فى ايطاليا ، فاراد على
حد قوله - أن يكيد للمسيحية فلفق هذا الانجيل . (١)

ونحن نسأل يسى منصور من أين اتانا هؤلاء المعلومات التى استعصى على علماء
أوربا الوصول اليها ؟ ونحب أن يعين لنا ذلك الصوفى المتجول الذى اعطس بق
فرامرينو الاسلام على يده ، كما نرجو أن يعين لنا تاريخ اعتناقه الاسلام ، ويذكر لنا
أيضا ما كان من أمر الراهب هذا قبل وبعد دخوله فى الاسلام . وما يدل على
تحامله على هذا الكتاب ، قوله فى المقدمة : " ولأن بعد أن عرفنا هذا ، قد
بتفهم الكتاب السسمى انجيل برنابا " (٢) مع أن التحقيق الملقى لا يمكن أن
يكون بهذه الطريقة .

ومن الأخطاء الفاحشة الشائعة بين الكتاب المسيحيين ، زعمهم أن المسلمين وجدوا
فى انجيل برنابا ما يدعم معتقدهم (٣) وهو أمر فى غاية السخف والبلادة ، لأن الدين
الاسلام لم يكن فى حاجة الى مثل هذه الكتب يؤمن ما ، لأنه انزل من عند الله عز وجل
وهو محفوظ بحفظه ، قوى بقوة بن شروعه ، ولا يعتمد على كتب من وضع البشر حتى
لو كانت متصلة السند صحيحة النقل ووافقة للمقل ، فإنه يستشهد بها فقط ، ولا
يعتمد عليها . فما بالك بكتاب لم يعرف كاتبه ولا سنده ، ولم يتبين لنا صدقه
أو كذبه ؟ !

والخلاصة أننا لا يمكن أن نعتد على انجيل برنابا مطلقا ، لأن حاله كحال
الانجيل الأرمية تماما من حيث الجهل بسنده وتاريخ كتابته وترجمته ولغة الأصل

(١) أنظر نقد انجيل برنابا ص ١١ طبع بمطبعة دار نشر الثقافة سنة ١٩٧٣م .

(٢) نفس الكتاب ص ١١

(٣) انظر يرموع المسيح للأب بولس الياس ص ٣٨ .

وكانه مترجمه • غير أن ذلك لا يمتنى أننا نكذبه • وإنما هو أقرب إلى العقل
والنقل من الأناجيل الأربعة الأخرى •

والحمد لله أولاً وآخراً • صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه • ومن اهتدى بهديه • وسار على نهجه إلى يوم
الدين •

خاتمة الرسالة

تدين المجتمعات البشرية منذ فجر التاريخ بأديان مختلفة ومعقدة ، وذلك بعد أن كان الإنسان الأول ونوه يدينون بدين واحد ، وهو دين التوحيد ، ونفس النظر عن الرأي المخالف القائل بأن الناس كانوا يدينون بأديان مختلفة منذ نشأتهم الأولى ، وأن الديانات تطورت من الشرك إلى التوحيد ، فإن ما شاهدناه من الاختلاف الديني بين الناس ، لم يحدث إلا بتأثير زمني واجتماعي ، وذلك عندما طال الأسد على الناس فابتعدوا عن الطريقة التي كان عليها أسلافهم رغم التمسك الظاهري بها ، وأن يؤثر عليهم المجتمع الذي يعيشون فيه فيتأثرون بما حولهم من معتقدات ، ويقلدون من حولهم من الأمم المحرفة ، فتختلط عليهم الأمور حتى لا يوجد بين ما يدينون به ، وبين ما يدين به مجاوروهم إلا فرق ضئيل ، وذلك الفرق هو الاختلاف في الاسم فقط .

ثم إن هذا الاختلاف في الديانات بين الناس لم يحدث دفعة واحدة ، كما أن البشر لم يوجدوا على الأرض بهذه الكثرة دفعة واحدة ، بل حدث ذلك تدريجياً ، ولا شك أن دعوة كل نبي هي دعوة للانتقال من الشرك إلى التوحيد ، وأن المنهج الإلهي الذي جاءت به الرسل إنما هو منهج التوحيد الذي يدعو إلى ترك الشرك بالله في ربهيته وألوهيته وإلى التمسك بتوحيد الله تعالى ، ولم تختلف دعوة الرسل منذ أول رسول إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم في أصول الدين . ومن أجل ذلك كان لزاماً علينا أن ننظر نظرة جديدة إلى الشهادة الصحيحة التي تفصل بين النصرانية التي تنسب إلى عيسى ابن مريم عليه السلام ، وبين الدين الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بوحي من عند الله تبارك وتعالى ، مع أن كلا منهما دين الله منزل ، والدين الإلهي المنزل ، لا يختلف في أصوله مطلقاً ، ولكن الاختلاف بين هاتين الديانتين قد وقع .

وهذا الاختلاف الواقع ، هو الذي حاولت في هذا البحث توضيح أسبابه وبينان دوافعه ، حسب الخطة التي وضعتها في المقدمة .

فبينت في الباب الأول : تصور المسيحيين للذات الإلهية بوجه عام ، ووجه خاص

بينت في الفصل الأول إيمانهم بوجود الله تعالى وأدلتهم على ذلك . ولم أجد فسي هاتين المسألتين مأخذاً عليهن . ثم وضحت صفات الله تعالى في نظرهم وصلته بالعالم ،

وناقشتهم في هاتين المسألتين في النقطتين المماثلتين لهما في الباب الثاني .
وبينت تناقضهم في ذلك . وفي الفصل الثاني : أوضحت أن عقيدتهم في التجسد
الالهي متناقضة ، وبينت وجه ذلك مستدلا عليهم بما يناقض ذلك من العهد القديم ،
وفيه تم توضيح خطأهم في فهم معنى الكلمة التي أطلقت على المسيح ، وحاجبتهم عن
ذلك بنصوص من العهد القديم .

وفي الفصل الثالث : توصلت إلى أنهم تناقضوا غاية التناقض في اعتقادهم بنوة المسيح
لله وأبوة الله له على وجه الحقيقة مع ورود ما يفيد خلاف ذلك في الأناجيل الأربعة
التي ذكرت بنوة المؤمنين عامة لله من غير إشارة إلى التفريق بين المسيح وبنيهم
في ذلك . كما توصلت فيه إلى أنهم خالفوا نصوص الكتاب المقدس ، بعهديه : القديم
والجديد ، في ادعائهم أن الله أحد الأقانيم الثلاثة .

وفي الفصل الرابع : ناقشت أدلتهم في التثليثية يناقضه ، من الأناجيل الأربعة ،
والعهد القديم ، وخرجت منه بالحكم على أدلتهم بأنها خاطئة من الدلالة على معتقدتهم
وفي الفصل الأول من الباب الثاني : بينت العقيدة الإسلامية في الذات الإلهية عموماً ،
وخاصة صفاته تعالى في الإسلام ، وفقدت المقارنة بينها وبين صفاته تعالى في نظرية
المسيحيين موضحاً التناقض النصراني في ذلك . كما بينت فيه صلته تعالى بمخلوقاته
مقارناً بينها وبين صلته تعالى في المسيحية بالعالم ، وأمرت إلى الهدوء الشاسع
بين العقيدتين في ذلك موضحاً تناقض النصراني في ذلك أيضاً .

وفي الفصل الثاني منه : بينت وحدانية الله في الإسلام ووضحت الآيات الكونية الناطقة
بها ، ويراد الإسلام بروح القدس ، ووضحت فيه التطابق بين النصوص الإسلامية
والانجيلية في إرادة جبريل بالروح القدس مشيراً إلى مخالفة المسيحيين لنصوص الأناجيل
وأظهاراً للبعد الفاصل بين العقيدة الإسلامية ، والنصرانية في الذات الإلهية ، ناقشت
مسألة الأقانيم في هذا الفصل ، وبينت أن كلمة أقنوم كلمة لم يجمع النصراني على استعمالها
قديماً وحديثاً ، كما أظهرت تناقضهم في مسألة الأقانيم .

أما الباب الثالث فكان عن المسيح في نظر المسيحيين : وخرجت منه بالحكم
على عقيدة النصراني في المسيح بأنها مخالفة لدعوة المسيح ورسالته مستدلاً على
ذلك بنصوص من الأناجيل وتوصلت فيه أيضاً إلى أن بعض الأدلة الانجيلية تناقض
صلب المسيح . وإلى أن الأناجيل تناقضت في الحديث عن الصلب والقيامة ، وأن تناقضها
دليل على عدم وقوع الصلب ، وفيه توصلت إلى أن بولس هو صاحب الأثر الكبير في
المسيحية بعد المسيح ، وخرجت من هذا الباب بالحكم على العقيدة المسيحية بمسند

المسيح بأنها لا صلة لها ، بعيسى ابن مريم عليه السلام ، وأنها لا ترتبط بعيسى الله عز وجل .

وأما الباب الرابع فكان عن المسيح في القرآن الكريم ، وقد أوضحت فيه العقيدة الإسلامية في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام . وفيه بينت أن الحمل بالمسيح مدة معتادة بناءً على عدم ما يدل على خلاقه ، ولأن المادة قد جرت بذلك ، ولا يبد من دليل يدل على خرق المادة . وفيه أيضاً ناقشت الدكتور أحمد شلبي في نقطتين : أحدهما في قوله أن السحر كان معجزة موسى . والآخرى في قوله : أن بني إسرائيل أخرجوا من أرض مصر نتيجة لانتشار الهاء فيهم لجهلهم بالطب . وبينت في ذلك مخالفته النصوص الإسلامية الدالة على أن أنبياء الله لم يكونوا سحرة قسطة وأن بني إسرائيل لم يخرجوا من مصر قهراً ، وإنما أخرجهم الله تعالى ابتغاء لهم من قهر فرعون واستعباده ، وأقامت الأدلة على ذلك من كتاب الله تعالى . وفيه أوضحت حكم القرآن في عقيدة الصلب وذكرت أن القرآن لم يكن وحده هو الذي حكم على عدم صحة الصلب ، بل أن هناك فرقاً مسيحية عديدة قالت بذلك وفيه بيان لأراء علماء الإسلام في نهاية عيسى ابن مريم على الأرض واختلافهم بعد الإجماع على نجاته من الصلب والقتل في مسألة نزوله في آخر الزمان ، وفيه بينت أن المذهب الحقيقي هو مذهب الجمهور القائل بنزوله في آخر الزمان وعدم موته إلى ذلك الحين ، لأنه رفع بجسمه إلى السماء ، وأن مذهب المخالفين فيه خرج على ما صح من الأحاديث النبوية التي حكم بتواترها أولو العلم والبصيرة من هذه الأمة ، وبينت في ذلك كله خطأ القاعدة التي استندوا إليها في رد الأحاديث من الأحاديث في مجال العقيدة ثم ختمت الباب بالأدلة القرآنية التي أبطلت التثليث ، واقتلعت جذوره من الأسانيد .

وأما الباب الخامس فكان عن المصادر المسيحية في الميزان وقد بينت فيه المصادر المسيحية ، وبينت أن الأناجيل الأربعة لم يتفق على تاريخ كتابتها ولا وجود للنسخ الأصلية لها ، وأن كتابتها وترجمتها مجهولون ، وأن تناقضها في الأمر الواضح مع الجهل بكتابها وترجمتها وتاريخها ، يفقدها القيمة كمصدر من مصادر الدين المسيحي ثم ختمت الباب ببحث وجيز عن انجيل برنابا خرجت منه بالقول أنه كثر من الأناجيل الأربعة فيما سبف إلا أن نصحه أقرب إلى الحق من نصوص تلك الأناجيل ومع ذلك فأننا في غنى عن كتاب لا يعرف أصله وتاريخه .

هذه بعض النتائج التي توصلت إليها من هذا البحث ، ومع ذلك فأننى لأدعس أنني قد أحطت بالموضوع كله من جميع جوانبه ذلك أن الموضوع واسع ويحتاج إلى أكثر من رسالة

وما قد يوجد فيها من تكرار لمسألة واحدة — كما في الأقسام أو الأقسام — فسيببه الاصطلاح الذي اتخذته اللاهوتيون في الحديث عن تلك المسألة إذ يتبعون طريقة خاصة • حاولت اتباعها قدر المستطاع • أما منهج المقارنة في حد ذاته فمنهج عويص كما اعترف بذلك كثير من علماء المقارنة • وزيد صمود كون أحد طرفي المقارنة هنا المعتقد النصراني الذي يصفه المسيحيون بأنه فوق العقل ولعل الله ينير بصائر المسيحيين • فيروا الحق ويرشدوا إليه •

هذا وقد وجدت الكتاب في هذا الموضوع يتجهون اتجاهات مختلفة •

فمنهم من يحاول إبراز أوجه التشابه بين العقيدتين في بعض النواحي غاضاً الطرف عن الخلاف الواسع بينهما • ولجج يعلم الوحدة بين الإسلام والمسيحية • وهو أمر له عواقبه الوخيمة التي يجب أن يتنبه لها كل مسلم • وكتاب لويس زيجون جرجس المسمى : " لقاء روح بين القرآن والانجيل والتوراة " يمثل هذا الجانب (١) •

ومنهم من يكتب في هذا الموضوع من غير تفريق بين ما هو إسلام وما هو نصراني أو يهودي • وقد يخلط بين الأمرين خلطاً يموه على القارئ المبتدئ أن ذلك هو رأي الإسلام • مع أن الإسلام له رأي مخالف لذلك • أوله رأي يتصل ببعض جزئياته • دون الموافقة على الجزئيات الأخرى وهذا الصدد أود أن أشير إلى كتاب " الرسائل الكبرى " لسنية قراعة • حشرت فيه بين ما هو إسلامي وبين ما هو يهودي أو مسيحي • وهرضت في صفحاته صوراً كثيرة للناس • وكتبت تحتها آيات من القرآن الكريم • من ذلك ما زعمت الكاتبة أنها صورة آدم وحواء عندما خرجا من الجنة • وغير ذلك من صور كثيرة زعمت أنها تمثل أنبياء الله وغيرهم • وكتبت تحت جميعها آيات مناسبة • والإسلام لا يعترف بهذه الصور وغيرها • وأنني أحذر من نشر مثل هذا الكتاب في المجتمع الإسلامي • (٢)

ومن الكتاب من يسلط عليك المجاملة لأمر ما فيحاول التقريب بين الإسلام والمسيحية مستدلاً على ذلك بقوله تعالى • بعد وصف اليهود بأنهم أشد الناس عداوة للمسلمين :

(١) طبع بمطبعة قاصد خير بالقاهرة وقدم له أحد أساتذة الأزهر الدكتور شاكر محمود أحمد •

(٢) الرسائل الكبرى طبع بدار مطابع الشعب بالقاهرة عام ١٣٨٥ هـ •

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) ذلك بأن منهم
قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (١) وفيه مخالطة ظاهرة لإداعي المسيحي
اللبس إليها فإن الآية ما نزلت إلا في النصارى الذين أسلموا بدليل قوله تعالى :
بعد ذلك : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع
ما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين) ذلك أن الجمع
بين الحق والباطل لا يمكن لأحد يزاد على ذلك أن الذى أنزل هذه الآية
قد أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يدعو النصارى إلى كلمة التوحيد ، ولم
يأمره بالتنازل عن الحق مطلقا من أجل التعاضد السياسى أو الصالح المشتركة .
ومنهم من كتب بين الحق في كتابه بلا مجاملة ، ولم تأخذه عن ذلك لوعة لائس
ولعل الشيخ محمد أبا زهرة خير من مثل لهذا النوع من الكتاب . وهو الواجب على
كل كاتب مسلم ، لأن الكتابة في مثل هذه الأمور شهادة والشهادة يجب
أن تؤدى على وجهها ، والكاتب يجب أن يكتب كما علمه الله وأرجو أن تكون رسالتى
من هذا النوع .

والله تعالى أصل التوفيق إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، إنه سميع
مجيب ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين .

مصادر ومراجع الرسالة

أولا : المصادر الاسلامية :

١ — القرآن الكريم

— التفاسير

— عمدة التفسير . للامام الحافظ عماد الدين أبي الفدا* اسماعيل بن كثير
الدمشقي القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ . طبع بمطبعة عيسى الهابسي
الحلبى وشركاه بمصر.

— الكشف . لجار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ولد سنة ٤٦٧ هـ
وتوفى سنة ٥٣٨ هـ . طبع سنة ١٣٨٥ هـ بمطبعة مصطفى الهابسي الحلبي
الطبعة الأخيرة.

— فتح القدير للامام محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني . ولد
١١٧٣ هـ في بلدة هجرة شوكان ، وتوفى سنة ١٢٥٠ هـ . طبع بمطبعة
مصطفى الهابسي الحلبي سنة ١٣٨٣ هـ الطبعة الثانية.

— تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل . للشيخ محمد جمال الدين
القاسمي . ولد سنة ١٢٨٣ هـ وتوفى سنة ١٣٣٢ هـ . طبع بمطبعة
عيسى الهابسي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦ هـ بتحقيق
فؤاد عبد الباقي .

— فتح البیان . للشيخ صديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ طبع
بمطبعة العاصمة بشارع الفلكي بالقاهرة سنة ١٩٦٥ م.

— تفسير المنار المسمى تفسير القرآن الحكيم ، الطبعة الرابعة بدار المنار
بمصر سنة ١٣٧٣ هـ تأليف السيد محمد رشيد رضا (منشئ المنار) .

— تفسير المراغي ، للشيخ أحمد مصطفى المراغي الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٤ م.

ب — كتب السنة النبوية :

- صحيح البخارى للإمام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم
ابن المغيرة بن بردزبه الجعفى ، ولد ببغارى سنة ١٩٤ هـ وتوفى
بخرنتك إحدى قرى سمرقند سنة ٢٥٦ هـ طبعة عيسى الحلبي .
- صحيح مسلم للإمام أبى الحسين ، مسلم بن الحجاج بن مسلم
القشيري النيسابوري ، ولد سنة ٢٠٤ هـ وتوفى سنة ٢٦١ هـ . طبع
بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .
- التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، للشيخ محمد أنور شاه الكشميري
الهندي ، ولد سنة ١٢٩٢ هـ وتوفى سنة ١٣٥٢ هـ . رتب أحاديثه
تلميذه الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان ، وحقق نصوصه وراجعها
مع التعليق عليها الشيخ عبدالفتاح أبو غدة . طبع بمطبعة الأصيل
في حلب بسوريا سنة ١٣٨٥ هـ . الناشر مكتب المطبوعات الاسلامية
بحلب .

ج — مؤلفات أخرى اسلامية :

- ابن تيمية . الامام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني
ولد سنة ٦٦١ هـ وتوفى سنة ٧٢٨ هـ . السجواب الصحيح لمن بدل
دين المسيح . طبع بمطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر سنة
١٩٦٠ م
- ابن حزم . الامام أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري المتوفى
سنة ٤٥٦ هـ ، الفصل في المل والأهواء والنحل . نشرته مؤسسة
الخانجي بمصر ، ويطلب من مكتبة المثنى ببغداد لم يذكر تاريخ طبعه .
- أحمد شلبي . الدكتور أحمد شلبي .
مقارنة الأديان . قسم المسيحية . طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة
الرابعة سنة ١٩٧٣ م .
- الألباني . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .
وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين .

- امام الحرمين ، أبو المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي عبد الله —
ابن أبي يعقوب المظروف بإمام الحرمين توفي سنة ٤٧٨ هـ .
- الشامل في أصول الدين : طبع بشركة الاسكندرية للطباعة والنشر —
عام ١٩٦٩ م
- أبو زهرة : الشيخ محمد أبو زهرة :
محاضرات في النصرانية : طبع بمطبعة يوسف سنة ١٣٨٥ هـ الطبعة
الثالثة .
- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني :
كتاب التيسير في القراءات السبع طبع بمطبعة الدولة باستانبول عام
١٩٣٤ م
- رحمة الله الهندي : رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي .
اظهار الحق . طبع بمطبعة الرسالة أصدرته وزارة الشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية . اخراج وتحقيق عمر الدسوقي سنة ١٣٨٤ هـ .
- سنيته قراءة
الرسالات الكبرى اصدار مكتب الصحافة الدولي بالقاهرة . طبع بدار
مطابع الشعب بالاتحاد الاشتراكي سنة ١٩٦٦ م .
- شلتوت : الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر ، توفي سنة
١٣٨٣ هـ .
- الفتاوى : دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة .
طبعته دار الفهم بالقاهرة الطبعة الثالثة .
- عبد الكريم الخطيب :
المسيح في القرآن والتوراة والانجيل . طبع بمطبعة دار التأليف عام ١٣٨٥ هـ
الطبعة الأولى ، الناشر ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
- عبد الملك بن عبد الله الترجمان :
تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة
الدول العربية توحيد رقم ٦٦ وكان مؤلفه نصرانيا متبحرا في علوم
أصول الدين النصراني فأسلم .

- على بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفى :
شرح العقيدة الطحاوية من منشورات المكتب الاسلامى بدشق . الطبعة
الثالثة بتعليق الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى .
- القاضى عبد الجبار : أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن
عبد الله الهمدانى الأسد أبادى ولد ما بين سنة ٣٢٠ هـ و ٥٣٥ هـ -
تقريباً ، وتوفى عام ٤١٥ هـ .
شرح الأصول الخمسة ، تعليق أحمد بن الحسين بن أبى هاشم . حققه
وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان . طبع بطبعة الاستقلال الكبرى
الطبعة الأولى عام ١٣٨٤ هـ الناشر مكتبة وهبة .
- القرطبى
الاعلام بما فى دين القصارى من الفساد والأوهام واظهار معاسن دين
الاسلام واثبات بنوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . مخطوط بمحمد
المخطوطات فى جامعة الدول العربية . رقم ٢٩ توحيد . وهو رد على
كتاب بحث به أحد النصارى من طليطلة الى مدينة قرطبة فرغ منه بالكسرك
المحروسى سنة ٦٨٤ .
- محمود بن الشريف :
الأديان فى القرآن طبع بدار المعارف سنة ١٩٢٠ م .

ثانيا - المصادر المسيحية :

١ - الكتاب المقدس

أسفار العهد القديم

الأناجيل الأربعة

رسالة أعمال الرسل للوقا

رسائل بولس

ب - الكتب المسيحية المؤلفة في العقيدة :

ابراهيم سعيد وأنندراس وأطرسون .

شرح أصول الايمان طبع بمطبعة النصر بشبرا في القاهرة وأصدرته دار الثقافة المسيحية .

الأب فرنسيس فرييه .

التجسد . ترجمه الى اللغة العربية بتصرف الأب لويس أباديير ، من منشورات المعهد المعادي سنة ١٩٦٢ بالقاهرة .

أثناسيوس الرسولي .

تجسد الكلمة ، ترجمه الى العربية القس مرقس داود . صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة . وطبعته دار الجيل للطباعة . رقم الايداع بدار الكتب ٣٦٤٢ لعام ١٩٧٣ م

الياس مقار :

ايمانى أوقضايا المسيحية الكبرى طبع بمطبعة دار العلم العربي الطبعة الثانية ونشرته دار الثقافة المسيحية بالقاهرة .

برنارد جلمسر :

كل شئ عن جسم الانسان . طبع بدار المعارف بالقاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ م

بولس الياس اليسوعى :

يسوع المسيح شخصيته تعالىه . طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ م

حبيب سعيد :

أديان العالم طبع بالمطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ، وأصدرته دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، بدون تاريخ .

روهلنج :

اليهودى على حساب التلمود ، يمثل الكتاب أحد شقى كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، ترجمة الدكتور حنا يوسف نصر الله ، الطبعة الثانية ببيرروت سنة ١٣٨٨هـ .

سيرتوماس . و . آر. تولد :

الدعوة الى الاسلام . طبع بالقاهرة سنة ١٩٧١ بطبعة لجنة التأليف والترجمة ترجمة عبد المجيد عابدين وحسن ابراهيم .

صموئيل مشرقى :

مصادر الكتاب المقدس . طبع بمطبعة الأمانة بالقاهرة عام ١٩٧٣ م .
وحدة الأفانيم . طبع بدار الطباعة العربية عام ١٩٦٣ م " دار الكتب " .

غوش سمعان :

الله ذاته ونوع وحدانيته . طبعته دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة عام ١٩٧٤ م ، وتم ايداعه بدار الكتب تحت رقم ٢٧٥٨ لسنة ١٩٧٤ م .
الله طرق اعلانه عن ذاته . أصدرته رابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الأدنى بمطبعة النيل المسيحية .

قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة . أصدرته دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة سنة ١٩٧٣ م .

فايز فارس :

حقائق أساسية فى الايمان المسيحى ، طبع بمجمع الكنائس للشرق الأدنى بدار الجيل للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ م .

الكاتن . و . جردنر وآخرون :

التفسير البيضاوية المسيحية للرسالة الى العبرانيين . أصدرته دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة . وطبعته مطبعة كوستاف توماس وشركاه طبعة ثانية .

١ - كريسى موريسون :

الملم يدعو للايمان . طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٥ م
ترجمة محمود صالح الفلى .

— ليبي ميخائيل :

هل المسيح هو الله ؟ طبع بالمطبعة التجارية الحديثة الطبعة الثانية عام ١٩٧٢م

— لوس زيتون جرجس :

لقاء روحى بين القرآن والانجيل والتوراة ، طبع بمطبعة قاصد خير بالقاهرة . رقم الايداع بدار الكتب ٤٠١٥ لسنة ١٩٧٤م .

— منسى عبدالنور :

القاب المسيح ، طبعته دار الجيل للطباعة طبعة أولى سنة ١٩٦٨م

— موريس يقارسنى :

تاريخ الكنيسة ، نقله عن الفرنسية الأب ج . عفيقى اليسوعى . طبعته دار — المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٥م . ونشره المعهد الممادى .

— ول ديورانت :

قصة الحضارة . ترجمة محمد بدران . طبع بمطابع الدجوى بالقاهرة الطبعة الثالثة عام ١٩٧٣م وأتفقت على ترجمته الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

— هانى رزق :

يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته . طبع بمطبعة النصر طبعة ثانية سنة ١٩٧١م

— يسى منصور :

نقد انجيل برنابا . طبعته مطبعة دار نشر الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٧٣م

— لجنة التاريخ القبطى :

تاريخ الالة القبطية . الحلقة الثانية خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر . طبع بمطبعة القنطف والمقطم بمصر طبعة ثالثة عام ١٩٢٥ .

— الله يتجلى فى عصر الملم :

تأليف نخبة من العلماء الامريكيين بمناسبة الحئة الدولية لطبيعيات الارض ، وأشرف على تحريره ، جسون كلوفر مونسا ، وترجمه الدكتور الدرداش عبدالمجيد سرحان ، راجعه وعلق عليه الدكتور محمد جمال الدين القنوى ، الناشر مؤسسة الحبلى وشركاء للنشر والتوزيع بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر القاهرة — نيويورك . الطبعة الثالثة عام ١٩٦٨م .

— انجيل برنابا :

طبع بمطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة سنة ١٦٥٨ م على نفقة مطبعة المنار
وقدم له كل من السيد محمد رشيد رضا ه سنة ١٣٢٦ ه والدكتور خليل
سماعة سنة ١٩٠٨ م .

— موسوعة تاريخ العالم :

ترجمة محمد محمود الصياد . طبع بمكتبة النهضة المصرية .